طبقات فحول الشعراء

ابن سلام الجمحي

To PDF: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أسيد قال: قرئ على القاضي وهو الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة، قال محمد بن سلام الجمحي.

ذكرنا العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها إذا كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وسادتها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم، ولا يستغنى عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر.

وفي الشعر مفعول مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربية، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف. وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، و لم يعرضوه على العلماء. وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفي. وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه.

وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره. ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتها بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها ومنه البصر بغريب النخل، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده، مع تشابه لونه ومسه وذرعه، حتى يضاف كل صنف إلى بلده الذي خرج منه وكذلك بصر الرقيق، فتوصف الجارية فيقال: ناصعة اللون، جيدة الشطب، نقية الثغر، حسنة العين والأنف، جيدة النهود، ظريفة اللسان، واردة الشعر، فتكون في هذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر، ولا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة، وتوصف الدابة فيقال: خفيف العنان، لين الظهر، شديد الحافر فتى السن، نقى من العيوب، فيكون بخمسين دينار أو نحوها، وتكون أخرى بمائتي دينار وأكثر، وتكون هذه صفتها.

ويقال للرجل والمرأة، في القراءة والغناء: إنه لندى الحلق، طل الصوت، طويل النفس مصيب للحن ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بون بعيد، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفة

ينتهي إليها، ولا علم يوقف عليه. وإن كثرة المدارسة لتعدي علي العلم به. فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به.

قال محمد: قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله: بآي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى؟ قال له: هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه؟ قال: نعم. قال أفتعلم في الناس من هو أعلم في الشعر منك؟ قال: نعم. قال فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت.

وقال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك.

قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء! فهل ينفعك استحسانك إياه؟ وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه، محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير. قال الزهري: لا يزال في الناس علم ما بقى مولى آل مخرمة، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله. و لم يكن ذلك له عذرا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ومن أداه منذ آلاف السنين، والله تبارك وتعالى يقول: "فقطع دابر القوم الذين ظلموا" "سورة الأنعام: 45" أي لا بقية لهم، وقال أيضاً: "وأنه أهلك عادا الأولى، وثمود فما أبقى" "سورة النجم: 50،51"، وقال في عاد "فهل ترى لهم من باقية" "سورة الحاقة: 8" وقال: "ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله" "سورة إبراهيم: 9".

وقال يونس بن حبيب: أول من تكلم بالعربية، ونسي لسان أبيه، إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما. أخبرني مسمع بن عبد الملك، أنه سمع محمد بن علي يقول قال أبو عبد الله بن سلام: لا أدري أرفعه أم لا، وأظنه قد رفعه أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل ابن إبراهيم صلوات الله عليهما.

وأخبرني يونس، عن أبي عمرو بن العلاء قال: العرب كلها ولد إسماعيل، إلا حمير وبقايا جرهم. وكذلك يروى أن إسماعيل ابن إبراهيم جاورهم وأصهر إليهم ولكن العربية التي عنى محمد بن علي، اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي صلى الله عليه، وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا.

لم يجاوز أبناء نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان، اقتصروا على معد. و لم يذكر عدنان جاهلي قط غير لبيد بن ربيعة الكلابي في بيت واحد قاله، قال:

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون معد فلتزعك العواذل

وقد روى لعباس بن مرداس السلمي بيت في عدنان قال:

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بمذحج حتى طردوا كل مطرد

والبيت مريب عند أبي عبد الله فما فوق عدنان، أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب، والله أعلم بها، لم يذكرها عربي قط. وإنما كان معد بإزاء موسى بن عمران بن عمران صلى الله عليه، أو قبله قليلاً وبين موسى وعاد وثمود، الدهر الطويل والأمد البعيد.

فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعراً، فكيف بعاد وثمود؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث، ولم يرو قط عربي منها بيتاً واحداً، ولا رواية للشعر، مع ضعف أسره وقلة طلاوته.

وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك: ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما علي عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه؟ فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق، ومثل ما روى الصحفيون، ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليل على علم.

وكان لأهل البصرة في العربية قدمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية.

وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها وأنهج سبيلها، ووضع قياسها: أبو الأسود الدؤلي وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندل بن يعمر بن نفاثة بن حلس بن ثعلبة بن ثعلبة بن عدى بن الدئل، وكان رجل أهل البصرة، وكان علوي الرأي وكان يونس يقول: هم ثلاثة الدول، من حنيفة ساكنه الواو، والديل: في عبد القيس، والدئل: في كنانة، رهط أبي الأسود وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب، فغلبت السليقية، ولم تكن نحوية، فكان سراة الناس يلحنون، ووجوه الناس، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم.

وكان ممن أخذ عنه يحيى بن يعمر، وهو رجل من عدوان، وعداده في بنى ليث، وكان مأموناً عالماً يروى عنه الفقه. روى عن ابن عمرو، وابن عباس، وروى عنه قتاده، وإسحاق بن سويد، وغيرهما من العلماء، وأخذ ذلك عنه أيضاً ميمون الأقرن، وعنبسة الفيل، ونصر بن عاصم الليثي، وغيرهم.

قال ابن سلام: أخبرني يونس بن حبيب، قال الحجاج لابن يعمر: أتسمعني ألحن؟ قال: الأمير أفصح الناس قال يونس وكذلك كان ولم يكن صاحب شعر قال: تسمعني ألحن؟ قال: حرفاً. قال: أين؟ قال: في القرآن. قال ذلك أشنع له! فما هو؟ قال: تقول: "قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله"

"سورة التوبة: 24"، قرأها بالرفع، كأنه لما طال عليه الكلام نسى ما ابتدأ به. والوجه أن يقرأ: "أحب إليكم" بالنصب، على خبر كان وفعلها. قال: وأخبرني يونس قال: قال له: لا جرم، لا تسمع لي لحناً أبداً. قال يونس: فألحقه بخراسان، وعليها يزيد بن المهلب فأخبرني أبي قال: كتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج: إنا لقينا العدو ففعلنا، واضطررناهم إلى "عرعرة الجبل" فقال الحجاج: ما لابن المهلب ولهذا الكلام؟ فقيل له: إن ابن يعمر هناك. فقال: فذاك إذاً! ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وكان أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل. وكان معه أبو عمرو ابن العلاء، وبقى بعده بقاء طويلاً وكان ابن أبي إسحاق أشد تجريداً للقياس، وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها.

وكان بلال بن أبي بردة جمع بينهما بالبصرة وهو يومئذ وال عليها، ولاه خالد بن عبد الله القسري، زمان هشام بن عبد الملك قال أبو عبد الله، قال يونس، قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي إسحاق بالهمز يومئذ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه.

وكان عيسى بن عمر أخذ عن ابن أبي إسحاق، وأخذ يونس عن أبي عمرو بن العلاء، وكان معهما مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهري، وكان ابن أبي إسحاق خاله، وكان حماد بن الزبرقان ويونس يفضلانه.

وسمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه قال: هو والنحو سواء أي هو الغاية. قال: فأين علمه من علم الناس اليوم؟ قال: لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه يومئذ، لضحك به، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه، ونظر نظرهم، كان أعلم الناس.

قال: وقلت ليونس: هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً؟ قال: قلت له: هل يقول أحد الصويق؟ يعني السويق. قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس.

وسمعت يونس يقول: لو كان أحد انبغى أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد، كان انبغى لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك.

قال: فأخذ على الفرزدق شيء في شعره فقال: أين هذا الذي يجر في المسجد خصييه ولا يصلحه؟ يعنى ابن أبي إسحاق.

أخبرني يونس: أن أبا عمرو كان أشد تسليما للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم. كان عيسى يقول: أساء النابغة في قوله حيث يقول:

فبت كأني ساورتني ضئيلة الرقش في أنيابها السم ناقع

يقول: موضعها "ناقعاً". وكان يختار السم والشهد، وهي علوية.

وأخبرني يونس، أن ابن أبي إسحاق قال للفرزدق في مديحه يزيد بن عبد الملك:

مستقبلين شمال الشأم تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائمنا يلقى وأرحلنا على زواحف تزجى، مخها رير

قال ابن أبي إسحاق: أسأت، إنما هي رير، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع. وقال يونس: والذي قال حسن جائز. فلما ألحوا على الفرزدق قال: "على زواحف نزجيها محاسير". قال: ثم ترك الناس هذا ورجعوا إلى القول الأول.

وكان يكثر الرد على الفرزدق، فقال فيه الفرزدق:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

رد الياء على الأصل. وهي أبيات، ولو كان هذا البيت وحده تركه ساكناً.

وكان مولى آل الحضرمي، وهم حلفاء بنى عبد شمس بن عبد مناف. والحليف عند العرب مولى، من ذلك قول الراعي، يريد به غنياً، وهم حلفاؤهم:

جزى الله مولانا غنياً ملامة شرار موالى عامر في العزائم

وقال الأخطل:

أتشتم قوماً أثلوك بنهشل ولولاهم كنتم كعكل مولياً؟

يعنى حلف الرباب لسعد، وإنما قالها لجرير.

وقال الكلبي يحضض عذرة على فزارة:

وأشجع إن لاقيتموهم فإنهم لذبيان مولى في الحروب وناصر

وكان عيسى بن عمر إذا اختلف العرب نزع إلى النصب.

كان عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق يقرآن: "يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين" "سورة الأنعام: 27". وكان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس، يرفعون: نرد، ونكذب، ونكون. قلت لسيبويه: كيف الوجه عندك؟ قال الرفع. قلت: فالذين قرأوا بالنصب؟ قال: سمعوا قراءة ابن أبي إسحاق فاتبعوه.

وكان عيسى بن عمر يقرأ: "الزانية والزاني" "سورة النور: 2"، "والسارق والسارقة" "سورة المائدة: 38"

وكان ينشد:

يا عديا لقلبك المهتاج

وكان يقرأ: "هؤلاء بناتي هن أطهر لكم" "سورة هود: 78" فقال له أبو عمرو بن العلاء: هؤلاء بنى هم ماذا؟ فقال: عشرين رجلا. فأنكرها أبو عمرو.

وكان أبو عمرو وعيسى يقرآن: "يا جبال أوبي معه والطير" "سورة سبأ: 11"، ويختلفان في التأويل. كان عيسى يقول: على النداء، كقولك: "يا زيد والحارث" لما لم يمكنه: "يا زيد يا الحارث". وكان أبو عمرو يقول: لو كانت على النداء لكانت رفعاً ولكنها على إضمار: وسخرنا الطير، كقوله على إثر هذا: "ولسليمان الريح" "سورة سبأ: 12"، أى سخرنا الريح.

وقال يونس: قال ابن أبي إسحق في بيت الفرزدق:

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجرف

ويروى أيضاً: مجلف، المجرف: الذى تجرفته السنة وقشرته، والمجلف: الذي صيرته جلفاً، للرفع وجه. قال أبو عمرو: ولا أعرف لها وجهاً. وكان يونس لا يعرف لها وجهاً. قلت ليونس: لعل الفرزدق قالها على النصب، و لم يأبه؟ فقال: لا، كان ينشدها على الرفع. وأنشدنيها رؤية على الرفع.

وتقول العرب: سحته وأسحته، يقرأ بهما في القرآن جميعاً، فمن قرأ "فيسحتكم بعذاب" "سورة طه: 61"، فهو من أسحت يسحت فهو مسحت، وهي التى قال الفرزدق. ومن قرأ: "فيسحتكم"، فهو من سحت يسحت فهو مسحوت.

وأخبرني الحارث البناني، أخو أبي الجحاف، أنه سمع الفرزدق ينشد:

فيا عجباً حتى كليب تسبني كأن أباها نهشل أو مجاشع

كأنه جعله غاية فخفض.

ثم كان الخليل بن أحمد: وهو رجل من الأزد، من فراهيد يقال هذا رجل فراهيدي، ويونس يقول: فرهودي، مثل فردوسي فاستخرج من العروض، واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرج أحد، و لم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء كلهم.

رجع إلى قول الشعراء، وإلى قول العلماء فيه. ولكل من ذكرنا قول فيه.

قال: فنقلنا ذلك إلى خلف بن حيان أبي محرز، وهو خلف الأحمر، اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدقه لساناً. كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً، أو أنشدنا شعراً، أن لا نسمعه من صاحبه.

وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم. وأعلم من ورد علينا من أهل البصرة: المفضل بن محمد الضبى

الكوفي.

ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام، والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء.

وقد اختلف الناس والرواة فيهم. فنظر قوم من أهل العلم بالشعر، والنفاذ في كلام العرب، والعلم بالعربية، إذا اختلف الرواة فقالوا بآرائهم، وقالت العشائر بأهوائها، ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم. فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة، متكافئين معتدلين.

وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون.

قال ابن سلام: قال ابن عون، عن ابن سيرين، قال: قال عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه".

فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعو رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير. وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، صار ذلك إلى بنى مروان أو صار منه.

قال يونس بن حبيب: قال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير.

ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه، قلة ما بقي منه بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر. وإن لم يكن لهما غيرهن، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة، وإن كان ما يروى من الغثاء لهما، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة. ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير، غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر. وكانا أقدم الفحول، فلعل ذلك لذاك فلما قل كلامهما، حمل عليهما حمل كثير.

ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف. وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع.

فمن قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم وكان جاور في بهراء، فرابه ريب فقال:

قد رابني من دلوي اضطرابها و النأي في بهراء واغترابها

إن لا تجئ ملأى يجئ قرابها

وقد قال قوم إنه كان من بهراء فجاور عمرو بن تميم، وأنه قال:

قد رابني من دلوي اضطرابها والنأي عن بهراء واغترابها

ولا نرى ذلك كما قالوا، بلا هو كما ذكر: العنبر بن تميم. وكان على عائشة محرر من ولد إسماعيل، فلما قدم سبى العنبر أمرها رسول الله صلى الله علية أن تعتق منهم، وهم أصحاب الحجرات.

أخبرني أبو محرز واصل بن شبيب المنافي، قال: كان سعد ومالك ابني زيد مناة بن تميم، فكان سعدا أسودهما، وكان مالك ترعية يعزب في الإبل، وأمهما: مفداة بنت ثعلبة بن دودان بن أسد، وخالتهما: ممناة بنت ثعلبة، أم ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل، أبي شيبان وقيس وذهل وتيم، وهو الحصن.

وقال أبو محرز: زار ثعلبة ابنته وهي حامل بسعد، فمخضت ليلاً، فاستحيت من أبيها وزوجها، فخرجت، فأعجلها الولاد، فطرقت على قرية نمل. فأدركها أبوها، وزجر، فقال: لئن صدقت الطير، ليملأن ابنك هذا الأرض من ولده.

قال أبو محرز: فتزوج مالك بن زيد مناة، النور بنت جل بن عدى بن عبد مناة بن أد وهم عدى وتيم، ويقال لتيم: تيم عدى، وهما من الرباب، وكانت امرأة زولة جزلة.

فلما اهتداها مالك، خرج سعد في الإبل فعزب فيها ثم أوردها لظمئها، ومالك في صفرة، وكان عروساً فأراد القيام، فمنعه امرأته من القيام، فجعل سعد وهو مشتمل يزاول سقيها ولا يرفق، فقال:

يظل يوم وردها مزعفرا وهي خناطيل تجوس الخضرا

فقالت النوار لمالك: ألا تسمع ما يقول أخوك؟ أجبه. قال: وما أقول؟ قالت: قل:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

فولدت حنظلة الأغر، وفيه بيت تميم وشرفها. وقال حنظلة: ولدت لمالك وولد لى مالك. وقال جرير لعمر بن لجأ:

فلم تلدوا النور، ولم تلد كم مفداة المباركة الولود

ومما يروى من قديم الشعر قول دويد بن زيد بن نهد، قال حين حضره الموت:

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته

أو كان قرني واحداً كفيته　　يا رب نهب صالح حويته

ورب غيل حسن لويته　　ومعصم مخضب ثنيته

وقال أيضاً: ألقى على الدهر رجلاً ويدا والدهر ما أصلح يوماً أفسدا يصلحه اليوم ويفسده غدا قال: وأوصى بنيه عند موته فقال: أوصيكم بالناس شراً، لا تقبلوا لهم معذرة، ولا تقيلوهم عثرة.

وقال أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، وهو منبه أبو باهلة وغني والطفاوة:

قالت عُمَيرَةُ: ما لِرأسِكَ بَعدَمَا　　نَفِدَ الزّمانُ أتَى بِلونٍ مُنكَرِ

أعُمَيرَ إنّ أباكِ شَيبَ رأسَهُ　　كَرّ اللّيالي وَاختِلافُ الأعصُرِ

فبهذا البيت سُميَ أعصُرَ، وقد يقول قومٌ: يَعصُرُ، وليس بشيء.

ومنهم المُستَوغِر بن رَبيعَة بن كَعب بن سَعد بن زيد مناة ابن تميم كان قديماً، وبقي بقاءً طويلاً حتى قال:

ولقَد سَئِمتُ مِنَ الحَياةِ وطُولِها　　وازددتُ من عدَدِ السّنِينَ مِئِينَا

مِئَةٌ أتَت من بَعدِها مِئتان لي　　وازددتُ من عَدَدِ الشهورِ سِنِينَا

هَل ما بَقا إلاّ كما قد فاتنا　　يومٌ يكُر وليلةٌ تحدُونا

قوله بقا: يريد بقي، وفنا: يريد فَنِيَ، وهما لغتان لطيئ. وقد تكلمت بهما العرب، وهما في لغة طيئ أكثر، قال زهير بن أبي سلمى:

تَرَبّعَ صَارَةً حتّى إذا ما　　فنا الدّحلاَنُ عنهُ والإضَاءُ

أنشدنيها يونس. وأنشدني له عبد الله بن ميمون المرئ:

إذا ما المرءُ صمّ فَلم يُناجي　　وَأودَى سَمهُ إلاّ ندَايَا

وَلاعَبَ بِالعَشِيّ بنِى بَنِيهِ،　　كَفِعلِ الهرّ يَحترِش العَظَايَا

يُلاعبُهم، وَوَدوا لَو سَقوهُ　　من الذيفان مترعة ملايا

فلا ذاق النعيم ولا شرابا　　ولا يسقِي منَ المرضِ الشفايَا

ومنهم زهير بن جناب الكلبي، كان قديماً شريف الولد، وطال عمره فقال:

أَبنِي إن أَهلِك فإني　　قد بَنَيتُ لكم بَنيه

وجعلتكم أبناء سا　　داتٍ زنادكم وريه

من كلّ ما نال الفتى　　قد نِلتُهُ، إلا التّحِيه

كم من مُحَيي لا يُوَا　　زيني،ولا يَهَبُ الرّعيّه

ولقد رأيتُ النارَ للسّلا ... فِ توقَدُ في طميه

ولقد رحلتُ البازلَ ال ... وجنَاءَ ليس لها وَلِيّه

ولقد غدَوتُ بمُشرِفِ ... الطّرَفينِ لم يغمز شظِيه

فأصَبتُ من حُمرِ القَنا ... نِ معاً ومن حُمُرِ القَفِيّه

ونطقتُ خُطبة ماجدٍ ... غير الضعيف ولا العَيِيه

والموت خيرٌ للفتى ... وليَهلِكَن وبه بقيه

من أن يُرَى الشيخَ البَجَا ... لَ، وقَد يُهادَى بالعَشيّه

وقال جذيمة الأبرش:

رُبما أوفَيتُ في علَمٍ ... تَرفعن ثَوبي شَمالاتُ

في فُتو أنا رابئُهم، ... من كلال غزوة ماتوا

ليتَ شِعرِي ما أماتَهُمُ؟ ... نَحنُ أدلَجنا وهم بَاتوا

وقال امرؤ القيس:

عُوجا على الطّلَلِ المُحِيل لعلنا ... نبكي الدّيارَ كما بكى ابن حذام

وهو رجل من طيئ لم نسمع شعره الذي بكى فيه، ولا شعراً غير هذا البيت الذي ذكره امرؤ القيس.

وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل، قتلته بنو شيبان، وكان اسم المهلهل عدياً، وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره كهلهلة الثوب، وهو اضطرابه واختلافه، ومن ذلك قول النابغة:

أتاك بقولٍ هَلهَلِ النّسجِ كاذبٍ ... ولم يأت بالحقّ الذّي هوَ ناصعُ

وزعمت العرب أنه كان يدعى في شعره، ويتكثر في قوله بأكثر من فعله.

وكان شعراء الجاهلية في ربيعة: أولهم المهلهل، والمرقشان، وسعد بن مالك، وطرفة بن العبد، وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزة، والمتلمس، والأعشى، والمسيب بن علس.

ثم تحول الشعر في قيس، فمنهم: النابغة الذبياني وهم يعدون زهير بن أبي سلمى من عبد الله بن غطفان، وابنه كعباً ولبيد، والنابغة الجعدي، والحطيئة، والشماخ، وأخوه مزرد، وخداش بن زهير، ثم آل ذلك إلى تميم، فلم يزل فيهم إلى اليوم.

كان امرؤ القيس بن حجر بعد مهلهل، ومهلهل خاله، وطرفة وعبيد وعمرو بن قميئة والمتلمس، في عصر واحد.

فكان من الشعراء من يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء يقال: يتهكم ويتهكم. قال الفضل: ويقال: ليلة بهرة، إذا كان قمرها مضيئاً ومنهم من كان ينعى على نفسه ويتعهر. منهم امرؤ القيس، قال:

وَمِلك حُبْلى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ فَأَلْيْتُها عن ذي تمائِمَ مُحْوِلِ

وقال:

دَخَلْتُ وقَدْ أَلقت لِنَوْمٍ ثِيابها لَدَى السّتْرِ، إلاّ لِبْسَةَ المُتَفَضّلِ

وقال:

سَمَوْتُ إليها بَعْدَ ما نامَ أَهْلُها سُمُوّ حبابِ الماءِ حَالاً على حَالِ

ومنهم الأعشى، قال:

ظَلِلْتُ أرْعاها وظَلّ يَحوطُها، حتى دَنَوْتُ إذِ الظّلامُ دَنَالَها

وقال:

وأقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الغانِيا تِ، إمّا نكاحاً وإما أُزَنْ

وقال:

وقد أُخْرِجُ الكاعبَ المُسْتَرَا ةَ من خِدْرِها، وأُشِيعُ القِمارَا

وقال:

ورَادِعَةٍ بالطّيبِ صَفْراءَ عنْدَنا لِجَسّ النّدَامى في يَدِ الدِرْعِ مَفْتَقُ

وقال:

وقَدْ أخالسُ رَبّ البيتِ غَفْلَتَهُ، وقد يُحاذِرُ منّي، ثُمّ ما يَئِلُ

وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام في هذا الفن قال:

هُمَا دَلَتَاني من ثمانِينَ قامةً كما انْقَضّ بَازٍ أقْتَمَ الرّيشِ كاسرُهْ

فلَمّا اسْتَوَتْ رِجْلايَ في الأرضِ نادتَا أحيّا يُرَجّى، أم قتيلاً نحاذِرُهْ

فقلتُ :ارْفعوا الأسبابَ لا يفْطُنوا بنا! ووليّتُ في أعجازِ لَيلٍ أُبادِرُهْ

وأصبحتُ في القوم الجُلُوسِ، وأصبحتْ مُغَلّقةً دُوني عليها دسَا كرُهْ

قالها وهو بالمدينة، فأنكرت ذلك قريش، وأزعجه مروان بن الحكم وهو وال على المدينة، فأجله ثلاثاً، ثم أخرجه عنها.

قال، وقال يونس: كان للفرزدق غلامان، أحدهما اسمه وقاع والآخر نقطة ولوقاع يقول الفرزدق:

تغَلْغَلَ وقّاعٌ إليها، فأصبحتْ ... تخوضُ خُداريّا من الليلِ أخضرَا

لطِيفٌ، إذا ما انغلّ أدركَ ما ابتغى، ... إذا هو للظّبي الغريرِ تقتّرا

وقال أيضاً:

فأبلغَهُنّ وحيَ القولِ عنّي ... وأدخلَ رأسه تحت القرامِ

أُسَيّدُ ذو خريّطةٍ نهاراً، ... من المُتلَقّطي قَرَدِ القُمامِ

فقلنَ له: نواعدُك الثريا ... وذاك إليه مُجْتَمَعُ الزّحامِ

ثلاثٌ واثنتانِ، فهنّ خمس ... وسادسةٌ تميلُ إلى الشّمامِ

الشّمامُ: المشامّةُ.

فبِتنَ بجانبيّ مُصَرّعاتٍ ... وبتّ أُفض أغلاقَ الختَامِ

وكان جرير مع إفراطه في الهجاء، يعف عن ذكر النساء، كان لا يشبب إلا بامرأة يملكها.

قال ابن سلام: فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم. وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم، ثم كانت الرواة بعد، فزادوا في الأشعار التي قيلت. وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولاما وضعوا، ولاما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم، فيشكل ذلك بعض الإشكال.

قال ابن سلام: أخبرني أبو عبيدة أن ابن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة فنزل النحيت، فأتيته أنا وابن نوح العطاردي، فسألناه عن شعر أبيه متمم، وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا، وإذا كلام دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها فلما توالى لك علمنا أنه يفتعله.

وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها: حماد الراوية وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار.

قال ابن سلام، أخبرني أبو عبيدة، عن يونس، قال: قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها،

فقال: أما أطرفتني شيئاً! فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى، قال: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به، وأنا أروى شعر الحطيئة؟! ولكن دعها تذهب في الناس.

قال ابن سلام، أخبرني أبو عبيدة، عن عمر بن سعيد بن وهب الثقفي قال: كان حماد لي صديقاً ملطفاً، فعرض على ما قبله يوماً، فقلت له: أمل على قصيدة لأخوالي بني سعد بن مالك، لطرفة، فأملى علي:

إنّ الخليطَ أجدّ مُنْتَقَلهْ ولذاك زُمّتْ غُدوَةً إبِلُهْ

عَهدي بهم في النقب قد سَنَدوا تهدي صعاب مطيّهم ذُلُلُهْ

وهي لأعشى همدان.

وسمعت يونس يقول: العجب ممن يأخذ عن حماد، وكان يكذب ويلحن ويكسر.

ثم إنا اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم إلى رهط أربعة، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة، ثم اختلفوا فيهم بعد. وسنسوق اختلافهم واتفاقهم، ونسمي الأربعة، ونذكر الحجة لكل واحد منهم وليس تبدئتنا أحدهم في الكتاب نحكم له، ولابد من مبتدأ ونذكر من شعرهم الأبيات التي تكون في الحديث والمعنى.

طبقات الشعراء الجاهليين

الطبقة الأولى

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة.

ونابغة بني ذبيان، واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ويكنى أبا أمامة.

وزهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة.

والأعشى، وهو ميمون بن يس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، ويكنى أبا بصير.

أخبرني يونس بن حبيب: أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة.

وأخبرني يونس كالمتعجب: أن ابن أبي إسحاق كان يقول: أشعر أهل الجاهلية مرقش، وأشعر أهل الإسلام كثيّر. و لم يقبل هذا القول و لم يشيع.

وأخبرني شعيب بن صخر، عن هارون بن إبراهيم، قال: سمعت قائلاً يقول للفرزدق: من أشعر الناس يا أبا فراس؟ قال: ذو القروح، يعني امرأ القيس. قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدّهُمُ ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقابُ

وأفلتُنّ علْباءُ جريضاً ... ولو أدركنه صفر الوطاب

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: سمعت رجلاً يسأل يونس عن قوله: صفر الوطاب، فقال: سألنا رؤبة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله، فصفرت وطابه من اللبن. وقال غيره: صفر الوطاب، أي أنه كان يقتل، فيكون جسمه صفراً من دمه، كما يكون الوطاب صفراً من اللبن.

وأخبرني شعيب بن صخر، قال: سمعت عيسى بن عمر ينشد عامر بن عبد الملك لزهير أو النابغة، فقال: يا أبا عبد الله، هذا والله لأقول الأعشى:

لسنا نقاتلُ بالعِصِيّ ولا نُرَامي بالحجارهْط

وأخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: مر لبيد بالكوفة في بني نهد، فأتبعوه رسولاً سؤولاً يسئله: من أشعر الناس؟ قال: الملك الضليل فأعادوه إليه، قال: ثم من؟ قال الغلام القتيل وقال غير أبان: ابن العشرين، يعني طرفة قال: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل يعني نفسه فهذان امرؤ القيس وطرفة.

قال يونس: كل شيء في القرآن: فأتبعه، أي طالبه وأتبعه، يتلوه.

فاحتج لامرئ القيس من يقدمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى.

كان أحسن أهل طبقته تشبيهاً، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرمة.

وقال من احتج للنابغة: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر، والشعر يحتاج إلي البناء والعروض والقوافي، والمتكلم مطلق يتخير الكلام وإنما نبغ بالشعر بعدما أسن واحتنك، وهلك قبل أن يهتر.

ويروى أن عمر بن الخطاب قال: أي شعرائكم يقول:

فلست بمستبقٍ أخاً لا تلُمّه إلى شعثٍ، أي الرجال المهذب؟

قالوا: النابغة. قال: هو أشعرهم وبنو سعد بن زيد مناة تدعى هذا البيت لرجل من بني مالك بن سعد يقال له: شقة، أنشدناه له حلابس العطاردي. وأخبرني خلف الأحمر أنه سمع من أعراب بني سعد لهذا الرجل.

وأخبرني خلف: أنه سمع أهل البادية من بني سعد يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر، فمن رواه للنابغة قال:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى مربِضَ المُستثفِرِ الحامي

وهي الكلمة التي أولها:

قالت بنو عامرٍ: خالوا بني أسد يا بؤسَ للجهل ضرّاراً لأقوام

ومن رواه للزبرقان بن بدر قال:

إن الذئاب ترى من لا كلاب له وتحتمي مربِض المُستَثفر الحامي

ويروى: وتتقي، وهذا البيت في قوله:

أبلغ سراة بني عوف مغلغلة

وسألت يونس عن البيت فقال: هو للنابغة، أظن الزبرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاءه موضعه، لا مجتلباً له.

وقد تفعل ذلك العرب، لا يريدون به السرقة، قال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي:

تلك المكارم لا قَعْبانِ من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

وقال النابغة الجعدي، في كلمة فخر بها، ورد فيها على القشيري:

فإن يكن حاجبٌ ممن فخرت به فلم يكن حاجبٌ عمّاً ولا خالا

هلاّ فخَرتَ بيَومي رَحْرحان، وقد ظنت هوازن أن العِزّ قد زالا

تلك المكارمُ لا قعبانِ من لبنٍ شيبَا بماءٍ فعادا بعد أبوالا

ترويه عامر للنابغة، والرواة مجتمعون أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله.

وقال غير واحد من الرجاز:

عند الصباح يحمد القوم السّرى

إذا جاء موضعه جعلوه مثلاً، وقال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صَحْبي على مَطِيّهُم يقولون: لا تهلك أسى وتجمّلِ

وقال طرفة:

وقوفاً بها صَحبي علي مطيّهمُ يقولون :لا تهلك أسى وتجلّد

ويروى عن الشعبي، عن ربعي بن حراش، أن عمر بن الخطاب قال: أي شعرائكم الذي يقول:

فألفيتُ الأمانة لم تخُنْها كذلك كان نوحٌ لا يخونُ

وهذا غلط على الشعبي، أو من الشعبي، أو من ابن حراش. أجمع أهل العلم أن النابغة لم يقل هذا، و لم يسمعه عمر، ولكنهم غلطوا بغيره من شعر النابغة، فإنه قد ذكر لي أن عمر بن الخطاب سأل عن بيت النابغة:

حَلَفْتُ فلم أترك لنفسِك رِيبة وليس وراء الله للمرء مذهب

وحريٌّ أن يكون هذا البيت، أو البيت الأول.

وجدنا رواة العلم يغلطون في الشعر، ولا يضبط الشعر إلا أهله. وقد تروى العامة أن الشعبي كان ذا علم بالشعر وأيام العرب، وقد روى عنه هذا البيت، وهو فاسدٌ. وروى عنه شيء يحمل على لبيد:

باتت تشكي إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعين

فإن تعيشي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاءٌ للثمانين

ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث، ويستعان به على السهر عند الملوك، والملوك لا تستقصي.

وكان قتادة بن دعامة السدوسي من رواة الفقه، عالماً بالعرب وبأنسابها، و لم يأتنا عن أحدٍ من رواة الفقه من علم العرب أصح من شيء أتانا عن قتادة.

أخبرنا عامر بن عبد الملك قال: كان الرجلان من بني مروان يختلفان في الشعر، فيرسلان راكباً فينيخ ببابه، يعني قتادة بن دعامة، فيسأله عنه ثم يشخص.

أخبرني سعيد بن عبيد، عن أبي عوانة أنه قال: شهدت عامر بن عبد الملك يسأل قتادة عن أيام العرب وأنسابها وأحاديثها، فاستحسنته. فعدت إليه فجعلت أسأله عن ذلك.

ويروى عن بعض أصحابنا، قال: رأيت راكباً قدم من الشأم، فأناخ على باب قتادة فسأله: من قتل عمراً وعامراً التغلبين يوم قضة؟ قال جحدر: فأعادوا إليه الرسول: كيف قتلهما جميعاً؟ فال أعتوراه، فطعن هذا بالسنان وهذا بالزج، فعادى بينهما. ثم رحل مكانه.

وكان أبوالمعتمر الشيباني كثير الحديث عن العرب، وعن معاوية وعمرو بن العاص وزياد وطبقتهم، وكان يقول أخذته عن قتادة وكان أبو بكر الهذلي يروى هذا العلم عن قتادة.

أخبرني عيسى بن يزيد بن دأب بإسناد له، عن ابن عباس قال، قال لي عمر: أنشدني لأشعر شعرائكم. قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال زهير. قلت وكان كذلك! قال: كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه.

وأخبرني عمر بن موسى الجمحي، عن أخيه قدامة بن موسى، وكان من علماء أهل المدينة: أنه كان يقدم زهيراً. قلنا: فأي شعره كان أعجب إليه؟ قال: التي يقول فيها:

قد جعلَ المبتغون الخيرَ في هرِم والسائلون إلى أبوابه طُرُقَا

مَنْ يلقَ يوماً على علاته هرماً يلقَ السّماحة منه والنّدى خُلُقا

وقال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعراً، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق، وأشدّهم مبالغة في المدح،وأكثرهم أمثالاً في شعره.

وأخبرني أبو قيس العنبري و لم أرَ بدوياً يزيد عليه عن عكرمة بن جرير، قال: قلت لأبي: ياأبه، من أشعر الناس؟ قال: أعن أهل الجاهلية تسألني أم أهل الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام، فإذ ذكرت أهل الجاهلية فأخبرني عن أهلها. قال: زهير شاعرها. قال: قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر. قلت:

فالأخطل؟ قال: يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني، فإني أنا نحرت الشعر نحراً.

وقال أصحاب الأعشى: هو أكثرهم عروضاً، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحاً وهجاء وفخراً ووصفاً، كل ذلك عنده.

وكان أول من سأل بشعره، و لم يكن له مع ذلك بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه.

وشهدت خلفاً، فقيل له: من أشعر الناس؟ فقال: ما ننتهي إلى واحد يجتمع، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس. قلت: فأيهم أعجب إليك يا أبا محرز؟ قال الأعشى. قال: أظنه قال: كان أجمعهم.

وكان أبو الخطاب الأخفش مستهتراً به يقدمه. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: مثله مثل البازي، يضرب كبير الطير وصغيره. ويقول: نظيره في الإسلام جرير، ونظير النابغة الأخطل ونظير زهير الفرزدق.

وروى سليمان بن إسحق الربالي، عن يونس، أنه قال: الشعر كالسراء والشجاعة والجمال، ولا ينتهي منه إلى غاية.

أخبرني الميب بن سعيد، عن هشام بن القاسم، مولى بن غُبر – وقد رأيته، وكان علية أهل البصرة، وكان يصلى على جنائز بني غُبر – قال أول من سأل بشعره الأعشى.

و لم يقو من هذه الطبقة ولا من أشباههم إلا النابغة في بيتين، قوله:

أمِنَ آلِ ميَّة رائحٌ أو مُغتدِى ... عَجلانَ، ذا زادٍ وغيرَ مزوّدِ

زَعَم البوارحُ أنّ رحلتنا غداً ... وبذاك خبّرنا الغداف الأسودُ

وقوله:

سقطَ النّصيفُ ولم يرد إسقاطهُ ... فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقدُ

العنم: نبت أحمر يصبغ به، فقدم المدينة، فعيب ذلك عليه، فلم يأبه لهما حتى أسمعوه إياه في غناءٍ – وأهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو، وكانوا يكتبون، لجوارهم أهل الكتاب – فقالوا للجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلي. فلما قالت: الغداف الأسود ويعقد وباليد، علم وانتبه، فلم يعد فيه. وقال قدمت الحجاز وفي شعري صنعة، ورحلت عنها أشعر الناس.

قال يونس: عيوب الشعر أربعة: الزحاف، والسناد، والإقواء، والإيطاء، والإكفاء وهو الإ قواء.

والزحاف أهونها وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فينكره السمع ويثقل على اللسان. وهو في ذلك جائز. والأجزاء مختلفة فمنها ما نقصانه أخفى، ومنها ما نقصانه أشنع قال الهذلي:

لعلّك إما أمُّ عمرو تبدلت سواكَ خليلاً شاتمي تستخيرها

فهذا مزاحف في كاف سواك، وهو خفي، ومن أنشده:

لعلك إما أم عمرو تبدلت خليلا سواك شاتمي تستخيرها

فهذا أفظع، وهو جائز. والاستخارة: الاستعطاف. ويقال: تبغمت الظبية تستخير ولدها أي تستدعيه. ومنه قيل أستخير الله: أي أستعطفه.

وهو نحو قول الفرزدق:

فإن كان هذا الأمرُ في جاهليةٍ علمتَ من المولى القليلُ حلائبُهْ

ولو كان هذا غير دينِ محمدٍ لأديتَهُ، أو غصّ بالماء شاربُهْ

مزاحف خفي، ومن قال: "لأديت أو لغص بالماء شاربه" فهو أفظع. وهو أكثر من أن يعد.

وكان الخليل بن أحمد يستحسنه في الشعر إذا قل في البيت والبيتين، فإذا توالى وكثر في القصيدة سمج. فإن قيل: كيف يستحسن منه شيء وقد قيل هو عيب؟ قال: يكون هذا مثل القبل والحول واللثغ في الجارية، قد يشتهى القليل منه الخفيف، وهو إن كثر عند رجل في جوار، أو اشتد في جارية، هجن وسمج. والواضح في الخيل يستطرف ويشتهى خفيفه، مثل الغرة والتحجيل، فإذا كثر وفشا كانت هجنة ووهناً. وخفيف البلق يحتمل في الخيل، و لم أر أبلق قط و لم أسمع به سابقاً.

والإقواء هو الإكفاء، مهموز وهو أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعة، وأخرى مخفوضة أو منصوبة، وهو في شعر الأعراب كثير، ودون الفحول من الشعراء، ولا يجوز لمولد لأنهم قد عرفوا عيبه، والبدوي لا يأبه له فهو أعذر.

فقلت ليونس: أكان عبيد الله بن الحر يقوي؟ قال: الإقواء خير منه يعني من فوقه من الشعراء يقوى غير أن الفحول قد استجازوا في موضع نحو قول جرير:

عرينٌ من عُرَينةَ ليس منّا بَرِءتُ إلى عُرَيْنة من عرينِ

عرفنا جعفراً وبني عُبيدٍ وأنْكرْنا زعانِف آخرين

وقال سحيم بن وثيل:

عَذَرْتُ البُزْلَ إن هي خاطرتْني فما بالي وبالُ ابن اللّبُونِ

وماذا يدري الشعراء مني وقد جاوزتُ رأسَ الأربعينِ

فموضع هذه الأبيات له ولجرير، النصب، ولكنه كأنه سكت عند القافية.

ومنه الإيطاء، وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة، فإن كان أكثر من قافيتين فهو أسمج له، وقد يكون. ولا يجوز لمولد، إذ كان عنده عيباً. فإذا اتفق اللفظ واختلف المعنى، فهو جائز، نحو قولك: "محمد" تريد الاسم، و "جواد محمد"، تريد الفعل. وتقول: "خيار"، تريد: خيار من الله، وتقول: "خيار"، أي خيار من قوم، فيجوز. ونحو هذا كثير، وأهل البادية لا ينكرونه. وأنشد سلمة ابن عياش أبحية النميري، كلمة طويلة جداً يقول فيها:

طَرِبتَ وما هذا بحِين تَطربِ ورأسُك مُبيض العذارين أشيبُ

قال له النميري: أرى فيها عيباً. قال: ما هو؟ قال: لم أرك أعدت قافية بعد قافية. عده عيباً. أظنه عابه إذ رأى أنه هرب منه.

والمواطأة في الأمر، يقال منه: واطأته على كذا وكذا، ومنه: "ليواطئوا عدة ما حرم الله" أي ليوافقوا. كانت العرب تحرم أربعة أشهر من السنة، كما كان بأيديهم من إرث إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكانت توالى عليهم ثلاثة أشهر: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، فيطول عليهم أن لا يغزوا ولا يحاربوا، وكان لهم نسأة من بني كنانة، تؤخر المحرم عاماً وترده عاما،و ذلك قول الله عز وجل: "إنما النسى زيادة في الكفر" "سورة التوبة: 37" وهي في الذين يريدون أن يجعلوا أربعة حرما. المحرم، عام حجة الوداع من النبي صلى الله عليه، الشهر الذي حرمه الله بعينه، فقال: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض".

وكان الذي يسمع الناس عنه صلى الله عليه وسلم، ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي، وكان في صوته رقاع. فأصاب بعد ذلك في عهد عمر بن الخطاب حداً بالشأم، فضرب فأدركته الحمية، فلحق بالروم، فهلك فيهم، فكره الناس بعد ذلك أن يقيموا حداً بأرض العدو.

وكانت العرب تسمى رجباً: الأصم، ويسمونه منصل الأسنة، وكانوا ينصلون أسنتهم فيه لموضع الحرب، قال دريد بن الصمة:

تَدَاركَهُ في مُنْصِلِ الألّ بعدما مضى غير دَأْدَاةٍ، وقد كاد يعطبُ

والدأداةُ: الليلة التي تكون في آخر الشهر يشك فيها.

والسِّنَاد: وهو أن تختلف القوافي نحو: نقيبٌ وعيبٌ؛ وقريبٌ، وشيبٌ، منه قول الفضل ابن العباس اللهبي:

عبدُ شمْس أبي، فإن كنتِ غَضْبيَ فاملْئي وجهك الجميلَ خُمُوشَا

وقال:

وبنا سميت قريش قريشا

وقال:

.....ولا تمليت عيشا

وقال عدي بن زيد:

فناجاها، وقد جمعت فُيُوجا على أبوابِ حصْنٍ مُصلْتينا

فقدمت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً ومينا

قال المفضل: "كذباً مبيناً"، فر من السناد، والرواية هي الأولى على قوله: "وميتا".

وقال الفضل بن عبد الرحمن بن عباس، في مرثية زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم:

.....ليس ذا حين الجمود

ثم قال:

.....فوق العمود "

ثم قال:

وكيف جمود دمعك بعد زيد

ومنه قول العرب: خرج القوم برأسين متساندين، أي هذا على حياله وهو من قولهم: "كانت قريش يوم الفجار متساندين"، أي لا يقودهم رجل واحد.

وقال الحجاج، فأفرط وجاوز السناد، مع حذقه:

ثم رأى أهل الدّسِيعِ الأعظم خِنْدف، والجد الخِضَمّ المُخْضم

وعليةَ الناس وأهل الحُكّمِ ومستقر المصحف المرقم

عند كريم منهم مكرم معلم آى الهدى معلم

مباركٍ للأنبياء خاتمِ وخِنْدِفٌ هامة هذا العالمِ

فساند في بيتين سناداً فاحشاً أخذه الناس عليه.

وأخبرني سلمة بن عياش، قال قلت لرؤبة: أبوك أشعر منك. قال: أنا أشعر منه، هو يقول:

وخندف هامة هذا العالم

وقال العجاج:

يا ليت أيام الصبا رواجعا

وهي لغة لهم، سمعت أبا عون الحرمازي يقول: "ليت أباك منطلقاً، وليت زيداً قاعداً". وأخبرني أبو يعلى: أن منشأه بلاد العجاج، فأخذها عنهم.

وقد تغلط مقاحيم الشعراء وثنيانهم والمقحم: الذي يقتحم سناً إلى أخرى، ليس بالبازل ولا المستحكم.

والثنيان: العاجز الواهن، قال أوس بن حجر:

وقد رام بحري قبل ذلك طامياً من الشعراء كل عودٍ ومقحم

وقال أوس بن مغراء:

ثُنْيانا، إن أتاهم، كان بدأهُمُ وبدؤهم، إن أتانا، كان ثنيانا

فيغلطون في السين والصاد، والميم والنون، والدال والطاء، وأحرف يتقارب مخرجها من اللسان، تشتبه عليه. أنشدني أبو العطاف:

أرْمي بها مطالع النجوم رمىَ سليمان بذي غضونِ

وقال زغيب بن نسير العنبري:

نظرت بأعلى الصوقِ والبابُ دونَه إلى نَعَمٍ ترعى قوافي مسردِ

الصوق: السوق. ثم قال: "كحيل مخلط"، فقلت له: قل "معقد" فيصح لك المعنى وتستقيم القوافي. قال: أجل! فاستعدته فعاد إلى قوله الأول. وقال أبو الدهماء العنبري:

فلا عيبَ فيها غير أن جنينها جهيضٌ، وفي العينين منها التخاوُصُ

ثم قال: "بالثياب الطيالس" ثم قال: "والماء جامس". وكان يقول: "الصويق، وبر مكيول، وثوب مخيوط".

وقال أبو الدهماء يهجو شويعرا من عكل وكان أبو الدهماء أفصح الناس فقال يذكر جردانه:

ويلُ الحَبالى إذ أصاب الرّكَبَا يستخرجُ الصبيان منه خِذَما

واستحسن الناس من تشبيه امرئ القيس:

كأنّ قلوبَ الطّيرِ رطْباً ويابساً لدَى وَكْرِها العُنّابُ والحشفُ البالي

وقوله:

كأني بفَتْخَاءِ الجناحين لقوةٍ دفوفٍ من العِقبان، طأطأتُ شمْلالِ

وقوله:

بعِجلِزَةٍ قد أترَزَ الجَريُ لحمَها كميتٍ، كأنها هِرَاوةُ منْوَالِ

وصُم حوامٍ ما يقين من الوجى، كأن مكان الردفِ منها على رالِ

وقوله:

نظرتُ إليها، والنجوم كأنها مصابيحُ رُهبانٍ تُشبّ لقُفالِ

كأن الصّوَار، إذ تجاهَدْنَ غُدوةً على جمزَى خيلٌ تجول بأجلال

وقوله:

أيقتلني والمشرَفيّ مضُاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ؟

وقوله:

كأني غداة البين حين تحملوا لدَى سَمُراتِ الحيّ، ناقفُ حنظلِ

وقوله:

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطّه السيلُ من علِ

وقوله:

له أيْطلاَ ظبيٍ، وساقا نعامةٍ وإرخاء سرحان، وتقريبُ تتفُلِ

وقوله:

دَريرٍ كخُذْرُوفِ الوليدِ، أدَرّه تتابعُ كفّيه بخيطٍ موصّلِ

وقوله:

كُمَيْتٍ، يَزِلّ اللّبْدُ عن حالِ متْنِه كما زلّتِ الصّفواءُ بالمتنزّلِ

وقوله:

كأن دماءَ الهاديات بنحرِهِ عُصارةُ حِنّاءٍ بشيبٍ مُرَجّلِ

وقوله:

وليلٍ كموجِ البحرِ، أرخى سُدُوله عليّ، بأنواع الهموم ليبتلي

قوله:

فيالكَ من ليلٍ كأن نجومَهُ بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمّ جندلِ

خيروا بينه وبين قول النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خِلتُ أن المُنتأى عنك واسع

فزعم بعض الأشياخ أن بيت النابغة أحكمهما وقوله:

ترائبها مصقولةٌ كالسّجنجلِ

هي المرآة بالرومية.

وقوله:

إذا ما الثّريا في السماء تعرّضت تعرّضَ أثناء الوشاح المفصّلِ

قال: فأنكر قومٌ قوله: "إذا ما الثريا في السماء تعرّضت". وقالوا: الثريا لا تعرض. وقال بعض العلماء عني الجوزاء. وقد تفعل العرب بعض ذلك، قال زهير:

فَتُنتجْ لكمْ غِلمانَ أشأم، كلهم كأحمر عادٍ، ثم تُرضع فتفطم

يعني: أحمر ثمود. وقوله:

يظلّ العذارى يرتمين بلحمها وشحمٍ كهُداب الدّمَقسِ المُفتّلِ

وقال يصف فرساً:

بذي ميعه،كأن أدبي ساقطه وتقريبه،هوناً، دآليل ثعلب

عظيم،طويل مطمئن،كأنه بأسفل ذي مأوان،سرحه مرقب

له أيطلا ظبي وساقا نعامه وصهوة غير قائم فوق مرقب

له جؤجؤ حشر.كآن لجامه يعالى به في رأس جذع مشذب

وعينان كالماويتين،ومحجر إلى سند مثل الرياح المنضب

اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه نقول هزيز الريح مرت بأثأب

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مخضب

وقال أيضاً:

تروح كأنها مما أصاب معلقه بأحقيها الدلى

إذا ما قام حالبها أرنّتْ كأنّ الحيّ صبحهم نَعِيّ

أخبرني يونس بن حبيب، قال، قال ذو الرمة: من أحسن الناس وصفاً للمطر؟ فذكروا قول عبيد:

دانٍ مُسِفٍ فُوَيْقَ الأرض هيْدَبُه يكاد يدفعُهُ من قام بالراحِ

فمن بنجوته كمن بمَحفله والمستكِنّ كمن يمشي بقرواحِ

فجعلها يونس لعبيد، وعلى ذلك كان إجماعنا، فلما قدم المفضل صرفها إلى أوس بن حجر وذكروا قول عبد بني الحسحاس:

نَعِمْتُ به ظنّا، وأيقنتُ أنه ... يحُط الوُعولَ والصّخور الرّواسيا

وما حرّكتْه الريح حتى ظننته ... بحرّةِ ليلى أو بنخلة ثاويا

فدرّ على الأنهاء أول مُزْنِهِ ... فعنّ طويلاً يسكب الماء ساحيا

رُكامٌ يسُحُ الماء عن كل فيقةٍ ... ويغدر في القيعان رَنقاً وصافيَا

ومرّ على الأجبال أجبالِ طيئ ... كما سُقْتَ منكوبَ الّدوابر حافيا

أجشّ هزيمٌ سيْلُهُ مع ودْقِهِ ... ترى خُشُبَ الغُلاّن فيه طوافيا

بكى شجْوَه واغتاظ حتى حسبتُهُ ... من البعد لما جلجل الرعدُ حاديا

فقال ذو الرمة: بل قول امرئ القيس أجود حيث يقول:

ديمةٌ هَطْلاءُ فيها وطفٌ ... طبق الأرض تحرّى وتَدرّ

تُخرجُ الودّ إذا ما أشجذت ... وتواريه إذا ما تشتكرْ

وترى الضبّ خفيفاً ماهراً ... ثانيا بُرثنهُ ما ينْعَفِرْ

وترى الشجراء في ريقها ... كرؤوس قُطّعت فيها الخُمُرْ

ساعةً، ثم انتحاها وابلٌ ... ساقط الأكناف واهٍ منهمرْ

راحَ تمْريهِ الصبا، ثم انتحى ... فيه شؤبوبُ جنوبٍ منفجر

ثجّ حتى ضاق عن آذيه ... عرض خيمٍ فخفافٌ فيسر

قد غدا يحملني في أنفه ... لاحقُ الأيطلِ محبوكٌ ممر

الطبقة الثانية

أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله بن عدي بن نمير بن أسيد بن عمرو بن تميم، وهو المقدم عليهم.

وبشر بن أبي خازم الأسدي وكعب بن زهير بن أبي سلمى.

والحطيئة، أبو مليكة، جرول بن أوس بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان.

وأوس نظير الأربعة المتقدمين، إلا أنا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط.

وقال يونس، قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوس فحل مضر، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه. وكان زهير راويته.

وقال أبو على الحرمازي: كان أوس زوج أم زهير.

قلت لعمرو بن معاذ التيمي، وكان بصيراً بالشعر: من أشعر الناس؟ قال: أوس. قلت: ثم من؟ قال: أبو ذؤيب.

قال: فأوس شاعر مضر، والأعشى شاعر ربيعة.

... وكان أخوه بجير بن زهير أسلم، وشهد مع النبي عليه السلام فتح مكة وحنيناً، فأرسل إليه كعبٌ أبياتاً ينهاه عن الإسلام، وذكره للنبي عليه السلام فأوعده، فأرسل بجير إليه: "ويلك! إن النبي أوعدك، وقد أوعد رجالاً بمكة فقتلهم، وهو والله قاتلك أو تأتيه فتسلم"، فاستطير ولفظته الأرض.

أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام، قال: وأخبرني محمد بن سليمان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب قال: قدم كعب متنكراً حين بلغه عن النبي ما بلغه، فأتى أبا بكر، فلما صلى الصبح أتى به وهو متلثم بعمامته، فقال: يا رسول الله! رجل يبايعك على الإسلام. وبسط يده وحسر عن وجهه، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مكان العائذ بك، أنا كعب بن زهير. فتجهمته الأنصار وغلظت عليه، لما ذكر به رسول الله، ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه. فأمنه رسول الله، فأنشد مدحته التي يقول فيها:

بانت سعادُ، فقلبي اليومَ متبولُ — متيّم إثرها، لم يُشفَ، مكبولُ

حتى انتهى إلى قوله:

وقال كلّ خليلٍ كنتُ آمُلُه — لا ألْفِينّكَ، إني عنك مشغولُ

فقلت :خلّوا سبيلي، لا أبالكم — فكلّ ما وعَد الرحمن مفعولُ

كل ابنِ أنثى، وإن طالت سلامتُه — يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ

نُبّئتُ أن رسول الله أوعدَني — والعفو عند رسول الله مأمول

إلى قوله:

إن الرسول لَسَيفٌ يستضاءُ به — مهنّدٌ من سيوف الله مسلولُ

في فتنةٍ من قريشٍ قال قائلهم — ببطن مكة، لما أسلموا: زولوا

زالوا، فمازال أنكاسٌ ولا كشفٌ — يوم اللّقاء، ولاسودٌ معازيلُ

لا يقع الطّعنُ إلا في نحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليلُ

فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريش، أي: اسمعوا! حتى قال:

يمشون مشْيَ الجمالِ الزّهرِ، يعصِمُهم ضربٌ، إذا عرّد السود التنابيلُ

يعرض بالأنصار، لغلطتهم كانت عليه. فأنكرت قريش ما قال، وقالوا: لم تمدحنا إذ هجوتهم! و لم يقبلوا ذلك حتى قال:

من سرّهُ كَرَمُ الحياةِ، فلا يزل في مقنبٍ من صالحِ الأنصار

الباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وسطوة الجبار

يتطهرون كأنه نُسُكٌ لهم بدماء من عَلِقوا من الكفار

صدموا علياً يوم بدر صدمةً ذلتْ لوقعتها جميع نزارِ

يعني بني علي بن مسعود، وهم بنو كنانة.

فكساه النبي صلى الله عليه بردة، اشتراها معاوية من آل كعب بن زهير بمال كثير قد سمي. فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين. زعم ذلك أبان.

وكان الحطيئة متين الشعر شرود القافية، وكان راوية لزهير وآل زهير، واستفرغ شعره في بني قريع.

وقال لكعب بن زهير: قد علمت روايتي شعر أهل البيت وانقطاعي، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً، فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع. فقال كعب:

فمن للقوافي؟ شانها من يَحوكها إذا ما ثوى كعبٌ وفوّز جرولُ

يقول، فلا يعيي بشيء يقوله ومن قائليها من يسيء ويعمل

كفيتك، لاتلقى من الناس واحداً تَنَخل منها مثل ما يتنخلُ

يُثقفها حتى تلينَ متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل

فاعترضه مزرد بن ضرار واسمه يزيد، وهو أخو الشماخ، وكان عريضاً أي شديد العارضة كثيرها فقال:

وباسْتِكَ إذ خلفتني خلف شاعر من الناس لم أكْفِئ ولم أتنحلِ

فإن تجْشبا أجشب، إن تتنخلا وإن كنتُ أفتى منكما أتنخّلِ

ولستَ كحسّان الحسام بن ثابتٍ ولستَ كشمّاخ ولا كالمخبّلِ

وأنت امرؤٌ من أهل قدسِ أوارةٍ أحلّتك عبد الله أكنافَ مبهلِ

مبهل: جبل لعبد الله بن غطفان. وقدس أوارة: جبل لمُزينة. فعزاه إلى مزينة.

وكان أبو سلمى وأهل بيته في بني عبد الله بن غطفان،فبهم يعرفون، وإليهم ينسبون، فقال كعب بن زهير يثبت أنه من مزينة:

ألا أبلغا ها المعرّضَ آية أيقظان قال القول إذ قال أو حلمْ

يقال: حلم في المنام أي حلم من الحلم إلى قوله:

أعيرتني عزّاً عزيزاً ومعشرا كراماً بنوا لي المجد في باذخٍ أشم؟

هم الأصل مني حيث كنت وإنني من المُزنييّن المُصفين بالكرمْ

وقد كانت العرب تفعل ذلك، لايعزى الرجل إلى قبيلة غير التي هو منها، إلا قال: أنا من الذين عبتَ.

كان أبو ضمرة، يزيد بن سنان بن أبي حارثة، لاحى النابغة فنماه إلى قضاعة، فقال النابغة:

جمّع محاشك إلى يزيدُ، فإنني أعددتُ يربوعاً لكم وتميماً

ولحقْتُ بالنسب الذي عيرتني ووجدتُ نصرك يا يزيد، ذميماً

حدبَتْ عليّ بطونُ ضنّة كلها، إنْ ظالماً فيهم وإن مظلوماً

لولا بنو نهْد بن عوف أصبحت بالنّعف أمك، يا يزيد، عقيماً

ضنّة بن كبير بن عذرة.

وكان رهط الزبرقان بن بدر يخلجون إلى بني كعب بن يشكر، إلى ذي المجاسد، عامر بن جشم بن كعب، فقال الزبرقان:

فإن أَكُ من كعبِ بن سعدٍ، فإنني رضيت بهم من حيّ صدقٍ ووالدِ

وإن يك من كعب بن يشكر منصبي فإن أبانا عامرٌ ذو المجاسدِ

قال ابن سلام: ولقد أخبرني بعض أهل العلم من غطفان أنهم من بني عبد الله من غطفان، وأن اعتزاءه إلى مزينة كقول هؤلاء، وأما العامة فهو عندهم مزنيّ ولبس لزهير، ولا لبنيه صليبةً، شعر يعتزون فيه إلى غطفان ولا إلى مزينة، إلا بيت كعب ذاك، وقول بجير:

صبحناهم بسبعٍ من سُلَيْم وألفٍ من بني عثمانَ وافِ

وقد يجوز أن يكون غير قومه من المزنيين، فذكرهم كما ذكر سليماً.

ولم يزل في ولد زهير ولم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، ولا في ولد أحد من الإسلاميين ما اتصل في ولد جرير.

وكان الحطيئة قد عمر دهراً في الجاهلية، وبقي في الإسلام حيناً، وكان جشعاً سؤولاً

وكان مع علقمة بن علاثة حين نافر عامر بن الطفيل، فقال يفضل علقمة:

يا عام، قد كنت ذا باعٍ ومكرمةٍ ... لو أن مسعاة من جاريْتَهُ أمَمُ

جاريتَ فرعاً أجاد الأحوصان به، ... ضخم الدّسيعةِ في عِرْنِينِه شمَمُ

لا يُصْعِبُ الأمر إلا ريْثَ يركبُهُ، ... ولا يبيتُ على مالٍ له قسمُ

وكان الأعشى مع عامر بن الطفيل ولبيد بن ربيعة.

وشهد الحطيئة نفار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، أحد بني عدي بن فزارة، وزبّان بن سيار بن عمرو بن جابر، أحد بني مازن بن فزارة، فقال يفضل عيينة على زبان:

أبى لك آباءٌ، أبى لكَ مجدُهم ... سوى المجد، فانظر صاغراً من تنافره

قبورٌ أصابتها السيوف ثلاثةٌ ... نجومٌ هوت في كل نجم مَرائِرُه

فقبرٌ بأجبال، وقبر بحاجرٍ ... وقبر القليب أسعر الحرب ساعِرُه

وَشَرُّ المَنايا هالِكٌ وَسطَ أَهلِهِ ... كَهَلكِ الفَتَاةِ أَيقَظَ الحَيَّ حاضِرُه

قبر بأجبالٍ: يريد قبر بدر بن عمرو، قتيل بني أسد بن خزيمة.

وقبر القليب، وهو الهباءة: قبر حذيفة بن بدر بن عمرو، قتيل بني عبس. وقبر بحاجر: يعني قبر حصن بن حذيفة بن بدر، قتيل بني عقيل بن كعب ونمير بن عامر.

قال: كان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت له قريش العطايا،والناس في سنة مجدبة، وسخطة من خليفة فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم إلى بعض،فقالوا قد قدم علينا هذا الرجل، وهو شاعر، والشاعر يظن فيحقق، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأل، فإن أعطاه جهد نفسه بهرها وإن حرمه هجاه. فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً معداً يجمعونه بينهم له فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً، حتى جمعوا له أربعمئة دينار، وظنوا أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا له: هذه صلة آل فلان، وهذه صلة آل فلان فأخذها، فظنوا أ نهم قد كفوه عن المسئلة، فإذا يوم الجمعة قد استقبل الإمام ماثلا ينادي بعد الصلاة فقال: من يحملني على نعلين وقاه الله كبّة جهنم.

أخبرنا أبو خليفة، أخبرنا ابن سلام، قال وأخبرني يونس النحوي، خرج الحطيئة مع ابنته مليكة، وامرأته أُمامة، على ذَودٍ له ثلاث، فنزل منزلاً وسرح زوده. فلما قام للرواح فقد إحداهن، فقال:

أذئبُ الفقر أم ذئبٌ أنيس ... أصاب البكْرَ، أم حدَثُ الليالي؟

ونحن ثلاثةٌ وثلاث ذودٍ ... لقد جار الزمان على عيالي!

وكان سبب هجائه الزبرقان، أنه صادفه بالمدينة وكان قدمها على عمر رضي الله عنه، فقال الحطيئة: وددت أني أصبت رجلاً يحملني وأصفيه وأقتصر عليه. قال الزبرقان: قد أصبته، تقدم على أهلي فإني على إثرك. فقدم فنزل بحراه، وأرسل الزبرقان إلى امرأته أن أكرمي مثواه. وكانت ابنته مليكة جميلة، فكرهت امرأته مكانها، فظهرت لهم منها جفوة وبغيض بن عامر بن لأي بن شماس، أحد بني قريع بن عوف ينازع يومئذ الزبرقان الشرف؛ والزبرقان أحد بني بهدلة بن عوف، وبغيض أرسخ في الشرف من الزبرقان، وقد ناوأه الزبرقان ببدنه حتى ساواه بل اعتلاه فاغتنم بغيض وأخواه، علقمة وهوذة، ما فيه الحطيئة من الجوفة، فدعواه إلى ما عندهما، فأسرع. فبنوا عليه قبة، ونحروا له وأكرموه كل الإكرام وشدوا بكل طنب من أطناب خبائه جلة من بربي هجر قال: والمخبل شاعر مفلق، وهو ابن عمهم يلقاهم إلى أنف الناقة، وهو جعفر بن قريع. قال: وقدم الزبرقان أسيفاً عاتباً على امرأته فمدح بني قريع، وذم الزبرقان فاستعدى عليه الزبرقان عمر، فأقدمه عمر، وقال للزبرقان: ما قال الزبرقان؟ فقال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر لحسان: ما تقول؟ أهجاه؟ وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان، ولكنه أراد الحجة على الحطيئة قال: ذرق عليه! فألقاه عمر في حفرة اتخذها محبساً، فقال الحطيئة:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ ... حُمْرِ الحواصلِ، لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيت كاسبهمْ في قعر مُظْلمةٍ ... فاغفر عليك سلامُ الله يا عمرُ

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليد النّهى البشرُ

ما آثروك بها إذ بايعوك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الإثَرُ

وكان الزبرقان شاعراً مفلقاً، وكان يعاتبه و لم يكن يهجوهم، وكان حليماً وكانا في عداوتهما مجملين، وقد تقدم عليه المخبل بالهجاء، فقال:

لعمرك إن الزبرقان لدائبٌ ... على الناس يعدو نوكه ومجاهاه

ولما رأيت العزّ في دار أهله ... تمنيت، بعد الشيب أنك ناقله

ولما نرَ الأخفاف تمشي على الذرى، ... ولما يكن أعلى العِضاه أسافله

ولما يزُل عن رأس صهوة عصمها ... ولما يدع وِردَ العراق مناهله

وينْفِسُ في ما أورثتني أوائلي ... ويرغب عما أورثته أوائله

فإن كنتَ لا تُمْسي بحظك راضياً فدع عنك حظي إنني اليوم شاغله

أتيت امرءًا أحمى على الناس عرضَهُ فما زلت، حتى أنت مقعٍ، تناضله

فأقع كما أقعى أبوك على استه رأى أن ريماً فوقه لا يعادله

ومدح سعيد بن العاص، وكان سعيد لا تأخذه العين، كان يقال له: عكة العسل، فقال:

خفيفُ المِعَى، لايملأ الهمّ صدره إذا سمْته الزادَ الخبيث عيوف

وقال له أيضاً:

سعيدٌ، فلا يغْرُرك خفة لحمه؛ تخدّد عنه اللحم وهو صليب

وهو أحد من اتصل به الشرف من خمسة آباء، وابنه عمرو بن سعيد.

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلي، بإجازته لي، يذكر عن محمد بن سلام: أن الحطيئة كان ينتمي إلى بني ذهل بن ثعلبة فقال:

إن اليمامة خير ساكنها أهل القرية من بني ذُهْلِ

قال: والقرية، منازلهم، و لم ينبت الحطيئة في هؤلاء.

قال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء: دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متنكراً فلما قام الناس وبقي الخواص: أراد الحاجب أن يقيمه، فأبى أن يقوم فقال سعيد: دعه. وتذاكروا أيام العرب وأشعارها، فلما أسهبوا قال الحطيئة: ما صنعتم شيئاً. فقال سعيد: فهل عندك علم من ذلك؟ قال: نعم. قال: فمن أشعر العرب؟ قال الذي يقول:

قد جعل المبتغونَ الخيرَ في هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طرُقا

قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

يعني زهيراً والنابغة، ثم قال: وحسبك بي إا وضعت إحدى رجلي على الأخرى: ثم عويت في إثر القوافي كما يعوى الفصيل في إثر أمه! قال: فمن أنت؟ قال: أنا الحطيئة. فرحب به سعيد، وأمر له بألف دينار.

الطبقة الثالثة

أبو ليلى، نابغة بني جعدة: وهو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأبو ذؤيب الهذلي، وهو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن

تميم بن سعد بن هذيل.

والشماخ بن ضرار بن سنان بن أمامة، أحد بني سعد بن ذبيان.

ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر.

وكان النابغة قديماً، شاعراً مفلقاً، طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من النابغة الذبياني، ويدل على ذلك قوله:

فمن يكُ سائلاً عني فإني ... من الفتيان أيامَ الخُنانِ

أتت مئةٌ لعام ولدتُ فيه ... وعشرٌ بعد ذلك وحجّتان

وقد أبْقَتْ خُطُوبُ الدّهرِ مني ... كما تُبقي من السيف اليماني

تفلّلَ وهو مأثورٌ جُرَازٌ ... إذا اجتمعت بقائمه اليدان

وقوله:

ندَامايَ عند المنذر بن مُحَرّق ... فأصبح منهم ظاهر الأرض مقفرا

وكان الذبياني مع النعمان وفي عصره، و لم يكن له قدم وكان الجعدي مختلف الشعر مغلباً، فقال الفرزدق: مثله مثل صاحب الخلقان: ترى عنده ثوب عصب وثوب خز، وإلى جنبه سمل كساء. وكان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه إلى قلة التكلف، فيقول: عنده خمار بواف ومطرف بآلاف. بواف: يعني بدرهم وثلث.

وإذا قالت العرب: مغلب، فهو مغلوب. وإا قالوا: غلب فهو غالب.

وغلبت عليه ليلى الأخيلية وأوس بن مغراء القريعي، و لم يكن إليه ولا قريباً منه. وغلب عليه عقال بن خالد العقيلي، وكان مفحماً، بكلام لا بشعر.

وهجاه سوار بن أوفى القشيري وفاخره، وهجاه الأخطل بأخرة.

حدثني إبراهيم بن شهاب قال، حدثنا الفضل بن الحباب قال، حدثني أبو الغراف قال، قال النابغة الجعدي: إني وأوس بن مغراء لنبتدر بيتاً ما قلناه بعد، لو قاله أحدنا لقد غلب على صاحبه. قال ابن سلام: وكانا يتهاجيان، و لم يكن أوس إلى النابغة في قريحة الشعر، وكان النابغة فوقه، فقال أوس بن مغراء:

فلستُ بعافٍ عن شَتِيمَةِ عامرٍ ... ولا حابسي عما أقول وعيدُها

ترى اللؤمَ ما عاشوا جديداً عليهمُ ... وأبقى ثياب اللاّبسين جديدها

لعمرُك ما تبلَى سرابيل عامرٍ من اللؤمِ، مادامت عليها جلُودها

فقال النابغة: هذا البيت الذي كنا نبتدر! وغلب الناس أوساً عليه.

نا ابن سلام قال، قلت ليونس: كيف تقرأ: "وجئتك من سبأ بنبأ يقينٍ"؟ فقال: قال الجعدي، وهو أفصح العرب:

من سَبَأ الحاضرينَ مأربَ إذْ يبْنُونَ من دون سيْلِه العَرِمَا

وهو على قراءة أبي عمرو ويونس فجعل يونس القصيدة للجعدي. وسمعت أبا الورد الكلابي سأل عنها أبا عبيدة فقال: لأمية. ثم أتينا خلفاً الأحمر فسألناه، فقال: للنابغة، وقد يقال لأمية.

نا ابن سلام قال، ذكر مسلمة بن محارب، عن أبيه قال: دخل النابغة على عثمان بن عفان، فقال: أستودعك الله يا أمير المؤمنين وأقرأ عليك السلام. قال: لِمَه؟ قال أنكرت نفسي، فأردت أن أخرج إلى إبلي فأشرب من ألبانها وأشم من شيح البادية.

وذكر بلده. فقال: يا أبا ليلى: أما علمت،أن التعرب بعد الهجرة لا يصلح؟ قال:لا والله ما علمت وما كنت لأخرج حتى أستأذنك.فأذن له، وضرب له أجلاً. فخرج من عنده فدخل على الحسن بن علي فودعه، فقال له الحسن: أنشدنا من بعض شعرك. فأنشده:

الحمدُ لله لا شريكَ لهُ، من لم يقُلْها فنفسَهُ ظَلَمَا

فقال له: يا أبا ليلى! ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت؟ قال: يابن رسول الله، والله إني لأول الناس قالها، وإن السروق من سرق أمية شعره.

وقال يونس: كان الجعدي أوصف الناس لفرس، أنشدت قوله رؤبة:

فإنْ صَدَقوا قالوا: جوادٌ مُجرّبٌ ضليعٌ، ومن خيرِ الجياد ضَلِيعُها

قال رؤبة: ما كنت أرى المرهف منها إلا أسرع. و لم يكن رؤبة والعجاج صاحبي خيل، ولكن كانا صاحبي إبل ونعتها.

نا ابن سلام، قال: أخبرني ابن دأب، قال: تزوج النابغة امرأة من بني المجنون، وهم عدد بني جعدة وشرفهم، فنازعته وادعت الطلاق، فكان يراها في منامه، فقال:

مالي وما لابنةِ المجنونِ تطْرُقُني بالليل؟ إن نهاري منك يكفيني

لا أجذَعُ البَوّ، بوّ الزُعمِ، أرأمُهُ ولاأقيمُ بدارِ العجزِ والهُونِ

وشرُّ حشوِ خِباءٍ أنتَ مولِجُهُ مجنونةٌ هُنَّباءٌ بنْتُ مجنونِ

تسْتَخنِثُ الوَطْبَ لم تَنْقُضْ مَريرتَه وتأكلُ الحبَّ صرفاً غير مطحونِ

قال ابن دأب: وكان النابغة علوي الرأي، وأخذ مروان ابنه وإبله بالمدينة، فخرج ومدح مروان بن الحكم بأبيات.

قال ابن سلام: وأنا منها في شك، ولكنه قال ما لا أشك فيه:

فَمَنْ راكبٌ يأتي ابن هندٍ بحاجتي ... ومروانَ، والأنباءُ تُنْمَى وتُجلَبُ

ويُخْبِرُ عني ما أقول ابن عامر ... فنعمَ الفتى، يُأوى إليه، المعَصَّبُ

فإن تأخذوا مالي وأهلي بِظِنَّةٍ ... فإني لحرابُ الرجال مُحرّبُ

صبورٌ على ما يكرهُ المرءُ كله، ... سوى الظلم، إني إن ظُلِمْتُ سأغضبُ

أصيب ابن عفان الإمامُ، فلم يكن ... لذي حسبٍ بعد ابن عفان مغْضَبُ

وكان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميزة فيه ولا وهن.

قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان: من أشعر الناس؟ قال: حياً أو رجلاً؟ قال: حياً. قال أشعر الناس حياً هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب. قال ابن سلام: هذا ليس من قول أبي عمرو، ونحن نقوله.

أخبرني أبو خليفة قال، حدثنا محمد بن سلام قال، أخبرني عمرو بن معاذ المعمري، قال: في التوراة: أبو ذؤيب مؤلف زورا. وكان اسم الشاعر بالسريانية: " مؤلف زورا ".

فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية، وهو كثير بن اسحق، فأعجب منه، وقال: قد بلغني ذاك وكان فصيحاً، كثير الغريب، متمكناً في الشعر.

فأما الشماخ، فكان شديد متون الشعر، أشد أسر كلام من لبيد، وفيه كزازة، ولبيد أسهل منه منطقاً.

وكان للشماخ أخوان، وهو أفحلهم،: مزرد، وهو أشبههما به، وله أشعار وشهرة وجزء، وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب:

جَزَى الله خيراً من أميرٍ، وباركتْ ... يد الله في ذاك الأديم الممزَّقِ

فمن يَسْعَ أو يركبْ جَنَاحَيْ نعامةٍ ... ليُدركَ ما حاولتَ بالأمس يُسْبَقِ

قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائقَ في أكمامها لم تفتّق

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته ... بكَفَّيْ سَبَنْتَي أزرقِ العين مُطْرِقِ

أنا ابن سلام، قال: أخبرني شعيب بن صخر قال: كانت عند الشماخ امرأة من بني سليم، إحدى بني حرام بن سمال، فنازعته وادعت عليه طلاقاً، وحضر معها قومها فأعانوها، واختصموا إلى كثير بن

الصلت وكان عثمان أقعده للنظر بين الناس، وهو رجل من كندة، عداده في بني جمح، ثم تحولوا إلى بني العباس، فهم فيهم اليوم، فرأى كثير عليه يميناً، فالتوى الشماخ باليمين، يحرضهم عليها، ثم حلف. وقال:

أتتْني سُلَيْمٌ قضُّها وقضيضها تُمَسِّحُ حولي بالبقيع سِبالها

يقولون لي: يا احلِفْ! ولستُ بحالفٍ أخاتِلُهم عنها لكيما أنالها

ففرَّجْتُ همَّ النَّفسِ عني بحَلْفَةٍ كما شقَّتِ الشَّقراءُ عنها جلالها

وكان لبيد بن ربيعة، أبو عقيل، فارساً شاعراً شجاعاً، وكان عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام، وكان مسلماً رجل صدق.

قال: وكتب عمر إلى عامله: أن سل لبيداً والأغلب ما أحدثا من الشعر في الإسلام. فقال الأغلب:

أرَجَزاً سألتَ أمْ قصيدا فقد سألتَ هيِّناً موجودا

وقال لبيد: قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران. فزاد عمر في عطائه، فبلغ به ألفين. فلما ولي معاوية قال: يا أبا عقيل، عطائي وعطاؤك سواء! لا أراني إلا سأحطك! قال: أو تدعني قليلاً، ثم تضم عطائي إلى عطائك فتأخذه أجمع.

قال وعمر عمراً طويلاً. وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه: يمدحهم، ويرثيهم، ويعد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم. وكان يطعم ما هبت الصبا، وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الصبا قال: أعينوا أبا عقيل على مروءته.

الطبقة الرابعة

وهم أربعة رهط فحول شعراء، موضعهم مع الأوائل وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة.

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة.

وعبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر، أحد بني دودان بن أسد بن خزيمة.

وعلقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

وعدي بن زيد بن حمار بن زيد بن أيوب، أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم.

فأما طرفة فأشعر الناس واحدة، وهي قوله:

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ وقفت بها أبكي وأُبكي إلى الغد

وتليها أخرى مثلها وهي:

أصحوتَ اليومَ أم شاقتْك هِرّ ومن الحُبّ جنونٌ مُستقر

ومن بعد له قصائد حسان جياد.

وعبيد بن الأبرص، قديم، عظيم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب، لا أعرف له إلا قوله:

أقفر من أهله ملحُوبُ فالقُطَبِيَّتُ فالذنوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك.

وعلقمة بن عبدة، وهو علقمة الفحل وعلقمة الخصي من رهط علقمة الفحل ولابن عبدة ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر:

ذهبْتَ من الهِجْران في كل مذْهَب ولم يك حقاً كل هذا التَّجنُّبِ

والثانية:

طَحَا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ بُعَيْد الشَّبابِ عصرَحانَ مشيبُ

والثالثة:

هلْ ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ أم حبْلُها إذ نأتكَ اليوم مصرومُ

ولاشيء بعدهن يذكر.

نا أبو خليفة، أنا أبو عثمان المازني، عن الأصمعي، عن نافع بن أبي نعيم قال: مر رجل من مزينة بباب رجل من الأنصار، وقد كان يتهم بامرأته، فتمثل:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

فاستعدى رب البيت عليه عمر، فقال له عمر: ما أردت؟ قال: وما علي في أن أنشدت شعراً! قال: قد كان له موضع غير هذا ثم أمر به فحد.

وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف، فلان لسانه وسهل منطقه، فحمل عليه شيء كثير، وتخليصه شديد واضطرب فيه خلف الأحمر، وخلط فيه المفضل فأكثر.

وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات، وله بعدهن شعر حسن، أولهن:

أرواحٌ مودعٌ أمْ بُكورُ؟ أنت، فاعلم، لأي حالٍ تصيرُ

نا أبو خليفة، أنا ابن سلام. قال: سمعت يونس وقد تمثل بهذا البيت:

أيها الشَّامتُ المُعَيَّر بالدهرِ أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيام بل أنت جاهلٌ مغرورُ

فقال: لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذه أو قال: مثل هذه. وقوله:

أتعرف رسم الدار من أم معْبَدِ نعم، فرماك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ

وقوله:

ليس شيءٌ على المنونِ بباقٍ غير وجهِ المُسَبِّحِ الخلاَّقِ

وقوله:

لم أرَ مثل الفتيان في غبرِ الأيام ينسَوْنَ ما عواقبها

الطبقة الخامسة

وهم أربعة رهط: خداش بن زهير بن ربيعة ذي الشامة بن عمرو، وهو فراس الضحياء، بن عامر بن صعصعة.

والأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم.

وأبو يزيد، المخبل بن ربيعة بن عوف قتال بن أنف الناقة بن قريع.

وتميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان بن عبد الله بن ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة.

فخداش شاعر. قال أبو عمرو بن العلاء: هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد.

وكان يهجو قريشاً، ويقال إن أباه قتلته قريش أيام الفجار، وهو الذي يقول:

أبي فارسُ الضَّحياء عمرو بن عامر أبي الذَمَّ واختار الوفاءَ على الغدرِ

فيا أخوينا من أبينا وأمنا، إليكم إليكم، لا سبيل إلى جسرِ

وهو الذي يقول:

يا شدةً ما شدَدْنا غير كاذبةٍ على سخينةَ، لولا الليلُ والحرمُ

إذ يتَّقينا هشامٌ بالوليد، ولو أنا ثقفنا هشاماً، شالتِ الجذَمُ

سخينة: شيء تعير به قريش، فجعله اسماً لها. هشام والوليد: ابنا المغيرة المخزوميان.

وقال القصيدة المنصفة:

فأبلغ، إن عرضتَ، بنا هشاماً وعبد الله أبلغ والوليدا

أولئك، إن يكن في الناس خيرٌ فإن لديهم حسباً وجودا

هُمُ خيرُ المعاشر من قريشٍ وأوراها، إذا قدحتْ، زنودا
بأنا يوم شمْطةَ قد أقمنا عمودَ المجدِ، إن له عمودا
فجاؤوا عارضاً برداً، وجئنا كما أضرمْتَ في الغابِ الوقودا
فعانقنا الكماةَ وعانقونا عِراكَ النُّمْرِ واجهتِ الأسودا
فلم أرَ مثلهم هزموا وفلوا ولا كذيادنا عنقاً مجمودا

هشام والوليد: ابنا المغيرة، وعبد الله: ابن جدعان. وكان يعتمد على ابن جدعان بالهجاء، فزعموا أنه لما رآه ورأى جماله وجهارته وسيماه قال، والله لا أهجوه أبداً.

والأسود بن يعفر، يكنى أبا الجراح أخبرني يونس: أن رؤبة كان يقول: يعفر، بضم الياء والفاء، فقال يونس: يقال يُونُس ويُونِس، ويُوسُف ويُوسِف.

وكان الأسود شاعراً فحلاً، وكان يكثر التنقل في العرب يجاورهم، فيذم ويحمد، وله في ذلك أشعار. وله واحدة رائعة طويلة، لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته، وهي:

نامَ الخَلِيُّ وما أحسُّ رُقادي والهمُّ مُحْتَضرٌ لديَّ وسادي

وله شعر جيد، ولا كهذه.

وذكر بعض أصحابنا أ نه سمع المفصل يقول: له ثلاثون ومئة قصيدة.

ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه. وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي، ويتجوزون في ذلك بأكثرمن تجوزنا 0

وأسمعني بعض أهل الكوفة شعراً زعم أنه أخذه عن خالد بن كلثوم، يرثى به حاجب بن زرارة. فقلت له: كيف يروى خالد مثل هذا، وهو من أهل العلم، وهذا شعر متداع خبيث؟ فقال: أخذناه من الثقات ونحن لا نعرف هذا ولا نقبله.

وقال يمدح الحارث بن هشام بن المغيرة وكانت أسماء بنت مخربة النهشلية عند هشام بن المغيرة، فولدت له أبا جهل والحارث، ثم تزوجها أبو ربيعة بن المغيرة فأولدها عبد الله وعياشاً، وكان الحارث بن هشام قام بغزوة أحد، وكان له فيها أثر. فقال:

إن الأكارم من قريش كلها قاموا، فراموا الأمر كل مرام
حتى إذا كثُر التحاول بينهم فصل الأمور الحارث بن هشام
وسما ليثرب لايريد طعامها إلا ليصلح أهلها بسُوام

وغزا اليهود فأسلموا أبناءهم، صمِّى، لما لقيت يهود، صَمَامِ!

والمخبل شاعر فحل وهو أبو يزيد، وله يقول الفرزدق:

وهب القصائد النَّوابغ إذ مضَوا وأبو يزيد وذو القُرُوح وجرولُ

وللمخبل شعر كثير جيد؛ هجا به الزبرقان وغيره، وكان يمدح بني قريع ويذكر أيام سعد. وشعره كثير.

وتميم بن أبي بن مقبل، شاعر مجيد مغلب، غلب: عليه النجاشي، و لم يكن إليه في الشعر، وقد قهره في الهجاء فقال:

إذا الله عادى أهلَ لُؤمٍ ودِقّةٍ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبلِ

ثم هاجى النجاشي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فغلبه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.

وكان ابن مقبل جافياً في الدين، وكان في الإسلام يبكي أهل الجاهلية ويذكرها، فقيل له: تبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم؟ فقال:

ومالِيَ لا أبكي الديار وأهلها، وقد زارها زوّار عكّ وحميرا

وجاء قطا الأجباب من كل جانب فوقَّعَ في أعطاننا ثم طيَّرا

الطبقة السادسة

أربعة رهط، لكل واحد منهم واحدة: أولهم عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. وله قصيدة، التي أولها:

ألاهبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

والحارث بن حلزة بن مكروه بن بديد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر ابن وائل. وله قصيدة التي أولها:

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وله شعر سوى هذا، وهو الذي يقول في شعره:

لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

وعنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس. وله قصيدة، وهي:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

وله شعر كثير، إلا أن هذه نادرة، فألحقوها مع أصحاب الواحدة.

وسويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل، وله قصيدة، أولها:

بسطت رابعة الحبل لنا فمددنا الحبل منها ما اتسع

وله شعر كثير، ولكن برزت هذه على شعره. وهو الذي يقول:

جررت على راجي الهوادة منهم وقد تلحق المولى العنود الجرائر

قال، حدثني أبو بكر عبد الله بن مصعب قال: لما خلع ابن الزبير يزيد بن معاوية، والمنذر بن الزبير يومئذ بالبصرة، وعروة بن الزبير بمصر، شخصا إليه – ومسافتهما يومئذ غير متقاربة – فلما رآها تمثل ببيت سويد:

جررت على راجي الهوادة منهم وقد تلحق المولى العنود الجرائر

الطبقة السابعة

أربعة رهط محكمون مقلون، وفي أشعارهم قلة، فذاك الذي أخرهم.

منهم سلامة بن جندل بن عبد الرحمن بن عبد عمرو بن الحارث، وهو مقاعس، بن عمرو بن كعب بن سعد.

وحصين بن الحمام المريم، بن ربيعة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة، وهو فارس شاعر شريف.

والمتلمس، وهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله ابن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة، ويقال ضبيعة أضجم، والأضجم: الحارث الخير بن عبد الله بن ربيعة بن دوفن، وبه ضجمت ربيعة، وكان سيدا. والمتلمس خال طرفة بن العبد، وإنما سمي المتلمس لقوله:

فهذا أوان العرض حي ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس

والمسيب بن علس بن عمرو بن قمامة بن زيد بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن جشم بن بلال بن خماعة بن جلى بن أحمس بن ضبيعة. واسم المسيب: زهير، وإنما سمي المسيب حين أوعد بني عامر بن ذهل، فقالت بنو ضبيعة: قد سيبناك والقوم. وهو خال الأعشى، وهو الذي يقول في القعقاع بن معبد بن زرارة:

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة إلى القعقاع

أنت الذي زعمت معد أنه أهل التكرم والندى والباع

الطبقة الثامنة

أربعة رهط: عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة.

والنمر بن تولب بن أقيش بن عبد الله بن كعب بن عوف بن الحارث بن عدي بن عوف بن عبد مناة بن أد، وهو عكل.

وأوس بن غلفاء الهجيمي.

وعوف بن عطية بن الخرع، والخرع يقال له عمرو بن عيش بن وديعة بن عبد الله بن لؤي بن عمرو بن الحارث بن تيم ابن عبد مناة بن أد.

حدثني مسمع بن عبد الملك، وهو كردين، قال: قول امرئ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

قال: صاحبه الذي ذكر، عمرو بن قميئة. وبنو قيس تدعى بعض شعر امرئ القيس لعمرو بن قميئة، وليس ذلك بشيء.

والنمر بن تولب جواد لا يليق شيئا، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق. وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه: الكيس، لحسن شعره.

وهو الذي يقول:

لا تغضبن على امرئ في ماله وعلى كرائم صلب مالك فأغضب

وإذا تصبك خصاصة فارج الغني وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

وقال أيضاً:

عَلَيْهِنَّ يَوْمَ الوِرْدِ حَقٌّ وحُرْمَةٌ وهُنَّ غَداةَ الغِبِّ عندَكِ حُفَّلُ

وقال أيضاً:

أَقي حَسَبي بِه ويَعِزُّ عِرْضي عليَّ إذَا الحَفِيظَة أدْرَكَتْني

وأَعْلَمُ أنْ سَتُدْرِكُني المَنَايا فَإلا أَتَّبِعْها تَتَّبِعْني

وقال أيضاً:

أَعاذِلَ إنْ يُصْبِحْ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بَعِيدٌ نَآني صاحبي وقَرِيبي

تَرَىْ أنَّ ما أنفقْتُ لم يَكُ ضَرّني وأنَّ الّذي أفْنَيْتُ كان نَصِيبي

وعمر عمرا طويلاً، فكان هجيراه: أصبحوا الراكب! أعبقوا الراكب! لعادته التي كان عليها.

قال: وخرفت امرأة من العرب – عرب كرام لا أبالي أن لا أسميهم – وكانت تقول: زوجوني. فقال عمر: ما لهج به أخو عكل أسرى مما لهجت به صاحبتكم.

وذكر خلاد بن قرة بن خالد السدوسي، عن أبيه، وعن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير أخي مطرف بن عبد الله قال: بينما نحن بهذا المربد جلوس، إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس فوقف علينا. فقلنا: والله لكأن هذا ليس من أهل هذا البلد! قال: أجل والله! وإذا معه قطعة من جراب، أو أديم، فقال: هذا كتاب كتبه لي محمد رسول الله صلى الله عليه. فأخذناه فقرأناه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم "هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه، لبني زهير بن أقيش – قال الجريري: هو حي من عكل – إنكم إن شهد تم أن لا إله الله وأني رسول الله وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم الخمس من الغنائم، وسهم ذي القربى، والصفي – وربما قال: وصفية – فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله".

فقال لهم القوم: حدثنا، أصلحك الله، بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه0 يقول:صوم شهر الصبر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، يذهبن وحر الصدر. فقال له القوم: أأنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه؟ قال: ألا أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه؟ لا حدثتكم حديثا! ثم أومأ بيده إلى صحيفته، ثم انصاع مدبرا.

ففي حديث قرة عن يزيد،فقيل لي لما ولى: هذا النمر بن تولب العكلي الشاعر.

وعوف بن الخرع جيد الشعر، وهو الذي يرد على لقيط ابن زرارة قيله:

أَحَقٌّ مالٍ فَكُلُوهُ بِأُكْلْ ... أَمْوالُ تَيْمٍ وعَدِيّ وعُكُلْ

ياضَبُّ كُنْ عَمّاً كَرِيماً واعْتَزِلْ ... ذَرْنا وتَيماً وعَدِيّاً نَنْتَضِلْ

وقال:

فأَمَّا الأَلأمانِ بنُو عَدِيّ ... وتَيْمً حِينَ تَزْدَحِمُ الأُمُورُ

فَلاَ تَشْهَدْ بهمْ فِتْيَانَ حَرْبٍ ... ولكن أَدْنِ مِنْ حَلَبٍ وَغِيرِ

إذا دَهَنُوا رِماحَهُمُ بزُبْدٍ ... فإنّ رِمَاحَ تَيْمٍ لاتَضِيرُ

فقال عوف بن الخرع:

هَلاغضبت على اُبن أُمِّكَ مَعْبَدٍ ... والعامِرِيُّ يَقُودُه بصِفادِ

أَذَكَرْتَ من لَبَنِ المُحَلَّق شَرْبَةً ... والخَيل تَعدُو في الصَّعِيد بَدَادِ

هَلا فَوَارسَ رَحْرَحَان هَجَوْتُمُ؟ عُشَرٌ تَناوَحُ في سَرارَةِ وَادِ

لا تَأْكلُ الإبِلُ الغِرَاثُ نَباتَهُ كَلاَّ ولَيْسَ عِمادُهُ بِعمادِ

وعوف يقول أيضا:

يَاقُرَّةَ بنَ هُبَيْرَةَ ابنَ أُقَيْشِرٍ يا سَيِّدَ السَّلَمَات إنّك تَظْلِمُ !

وأوس بن غلفاء الذي يقول:

أَلا قالتْ أُمامةُ يومَ غَوْلٍ: تَقَطَّعَ بِأُين غَلْفاءَالحِبال!

ذَريني إنَّما خَطَإِي وصَوْبي عَليَّ وَإنّ ما أهلَكْتُ مالُ

وهو الذي يرد علىيزيد بن الصعق قوله:

إذا مَامات مَيْتٌ من تَميمٍ فَسَرَّكَ أنْ يَعِيشَ فَجِيءْ بزَادِ

وقوله:

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَني تميمٍ بِآيَةِ ما يُحِبُّون الطَّعامَا

فقال أوس بن غلفاء:

فَإنّكَ من هِجاء بني تَميمٍ كَمُزْدَادِ الغَرَام إلى الغَرَام

هُمُ ضَرَبُوكَ أُمَّ الرّأس حَتَّى بدَتْ أُمّ الشُّؤُونِ عن العِظَامِ

إذا يَأسُونَها نَشزَتْ عَلَيْهِمْ شَرَنْبَثَةُ الأَصَابع أُمُّ هَامِ

وهُمْ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ من حُبَارَي وهُمْ تَرَكوكَ أَشْرَدَ من نَعَامِ

وقال أيضا:

هُمُ قَتَلُوا أباكَ فلَمْ تُبَيِّنْ لِحقِّ :مَا الأَغَرُّ مِنَ البَهيمِ

وَهُمْ مَنُّوا عليْكَ فلَمْ تُثِبْهُم ثَوَابَ المرْءِ ذي الحَسَبِ الكرِيمِ

الطبقة التاسعة

أربعة رهط: ضابيء بن الحارث بن أرطاة بن شهاب بن عبيد بن خاذل ابن قيس القبيلة بن حنظلة بن مالك، من البراجم.

وسويد بن كراع العكلي.

والحويدرة، واسمه قطبة بن محصن بن جرول بن حبيب الأعظ بن عبج الغزي بن حزيمة بن رزام بن مازن

بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان.

وسحيم، عبد بني الحسحاس بن هند بن سفيان بن غضاب بن كعب بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

قال: وكان ضابيء بن الحارث بذيا كثير الشر، وكان بالمدينة،وكان صاحب صيد وصاحب خيل، فركب فرسا به يقال له قيار، - وكان ضعيف البصر - ولقيار يقول:

فَمَنْ يَكُ أَمْسي بالمدينَةِ رَحْلُهُ ... فَإنّي وَقَيَّاراً بها لَغَرِيبُ

يقول: إني بها لغريب،وقياراً أيضا.

ثم إنه وطيء صبيا دابته فقتله، فرفع إلى عثمان بن عفان، فاعتذر بضغف بصره وقال: لم أره و لم أعمده. فحبسه عثمان ما حبسه، ثم تخلص.

وكان استعار كلب صيد من قوم من بني هُشل،يقال له قرحان،فحبسه حولا، ثم جاؤوا يطلبونه وألحوا عليه حتى أخذوه، فقال ضابيء:

تجشَّمَ دُوني وَفْدُ قُرْحَانَ خُطّةً ... تظَلُّ بها الوَجْناءُ وهي حَسِيرُ

فأرْدَفْتُهم كلباً فراحُوا كأنَّما ... حَبَاهُمْ بتَاجِ المَرْزُبَانِ أميرُ

فأمَّكُمُ لا تَتْركوها وكَلْبَكُمْ ... فإنَّ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ كبيرُ

إذا عَثَّتَتْ من آخرِ الليلِ دُخْنَةٌ ... يظلُّ لها فوقَ الفِراشِ هَرِيرُ

فاستعدوا عليه عند عثمان. فقال: ويلك! ما سمعت أحدا رمى امرأة من المسلمين بكلب غيرك! وإني لأراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه لأنزل فيك قرآنا، ولو كان أحد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء لقطعت لسانك. فحبسه في السجن.

فعرض أهل السجن يوما، فإذا هو قد أعد حديدة يريد أن يغتال عثمان بها، فأهانه وركسه في السجن، فقال:

لا يُعْطِيَنْ بعدِي امرُؤٌ ضَيْمَ خُطَّةٍ ... حِذَارَ لِقَاءِ المَوْتِ والموتُ نَائِلُهْ

فلا تَتْبِعَنِّي إنْ هَلَكْتُ مَلامةً ... فليس بعَارٍ قَتْلُ من لا تُقَاتِلُهْ

هَمَمْتُ ولَم أفْعلْ وكِدْتُ ولَيْتَني ... تَرَكْتُ على عُثْمان تَبْكي حَلائِلُهْ

وَمَا الفتْكُ ما آمَرْتَ فيه ولا الّذي ... تُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتَ أَنَّك فَاعِلُهْ

وقائلةٍ:لا يُبْعِدِ اللهُ ضابِئاً إِذَا القِرْنُ لم يُوجَدْ لَه مَنْ يُنَازِلُهْ

وقَائلةٍ: إنْ مات في السِّجْن ضَابيءٌ لَنِعْمَ الفَتَى تَخلُو بِه وتُداخلُهْ

وقائلةٍ :لا يُبْعِدِ الله ضَابئاً إِذَا اْحمرَّ من حِسّ الشِّتَاءِ أَصَائِلُهْ

و لم يزل ضابيء في السجن حتى مات.

فلما قتل عثمان وثب عمير ابنه على عثمان بعد أن قتل فيقال إنه كسر صلبه، أو كسر ضلعا له.

فلما قدم الحجاج العراق، والمهلب بإزاء الأزارقة قد أرفض عنه أصحابه، فنادى الحجاج في بعث المهلب وأجلهم ثلاثا. فجاء عمير بن ضابيء، وقد كبر يومئذ، بابن له شاب إلى الحجاج، فقال: أيها الأمير، إني قد كبرت، وهذا ابني شاب جلد يقوم مقامي. فهم بقبوله، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، هذا عمير، صاحب أمير المؤمنين عثمان! فقدمه فضرب عنقه. فذعر الناس، فخرجوا إلى المهلب. فلما تساقطوا عليه، قال: لقد قدم العراق أمير ذكر.

وقال في ذلك عبد الله بن زبير الأسدي:

تَجَهَّزْ فإمّا أَنْ تَزُورَ اُبنَ ضَابيءٍ عُمَيراً وَإمّا أَنْ تَزُورَ المُهَلَّبَا

هُما خُطَّنَا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ منهما رُكوبُك حَوْلِيَّ من الثَّلْجِ أَشْهبَا

وسويد بن كراع العكلي، وكان شاعرا محكما، وكان رجل بني عكل، وذا الرأي والتقدم فيهم.

قال: وكان بعض بني عدي تيم ضرب رجلا من بني ضبة ثم من بني السيد – وهم قوم نكد شرس، وهم أخوال الفرزدق – فتجمعوا حتى ألم أن يكون بينهم قتال. فجاء رجل من بني عدي، فأعطاه يده رهينة لينظر ما يصنع المضروب، فقال خالد بن علقمة بن الطيفان، أحد أحلاف بني عبد الله بن دارم:

أسَالِمُ إنِّي لا إخَالُكَ سالماَ أتيْتَ بني السِّيدِ الغُوَاةَ الأَشَائِماَ

أسالِمُ إن أفْلَتَّ من شرِّ هذه فَنَحِّ فِراراً إنما كنْتَ حالماَ

أسَالم ما أعْطَى اُبنُ مَامَةَ مِثْلَها ولا حاتمٌ فِيما بَلا النَّاسُ حاتِماَ

فقال سويد بن كراع – وعكل وتيم وعدي وضبة إخوة، وهم الرباب – يرد على ابن الطيفان دخوله بينهم:

أشَاعرَ عَبْدِ الله إن كنْتَ لائِماً فَإنِّي لمَا تَأْتي من الأَمْرِ لائِمُ

تُحَضِّض أفْناءَ الرِّبابِ سَفَاهَةً وعِرْضُك مَوتُورٌ ولَيْلُكَ نائمُ

وهَلْ عجَبٌ أن تُدْرِكَ السِّيدُ وتْرَها؟ وتَصْبرُ للحَقِّ السَّرَاةُ الأَكارِمُ

رأيْتكَ لم تَمْنَع طُهَيَّةَ حُكَمْها وأعْطَيتَ يَرْبوعاً وأنفُكَ راغمُ

وأنتَ امرؤٌ لا تَقْبَل الصُّلح طائعاً ولكن متَى تُظأ فَإنَّك رائِمُ

وقال أيضا:

خليليَّ قُومَا في عَطُالَةَ فانْظُرَا أناراً تَرى مِنْ ذِي أبا نينِ أم بَرْقَا؟

فإن يَكُ بَرْقٌ فهو بَرْقُ سَحابةٍ تُغادِرُ ماءً لا قليلاً ولارَنْقَا

وإن تَكُ نارٌ فهي نارٌ بمُلْتَقىً مِنَ الرِّيح تَزْهَاها وتَعْفقُها عَفْقَا

لأُ عليّ أوْقَدتْها طَمَاعةً بأوبةِ سَفْرٍ:أن تكونَ لهَا وَفْقَا

وهو الذي يقول:

فَإنْ تَزْجُراني يا ابنَ عَفَّان أَزْدَجِرْ وإنْ تَتْرُكاني أحْمِ عِرْضاً مُمنَّعا

وقوله: تزجراني، وتتركاني، وإنما يريد واحدا، وقد تفعل هذا العرب، قال الفرزدق:

عَشِيَّةَ سَال المِرْبَدَانِ كِلاهُما عَجَاجةَ مَوْتٍ بالسُّيوفِ الصَّوارِمِ

وقال أيضا:

أخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عليكُمُ لنَا قَمَراها والنُّجُوم الطَّوالعُ

وقال أبو ذؤيب:

وحتَّى يؤُوبَ القارِظَان كِلاهُما ويُنْشَر في القَتْلى كُلَيْبٌ الطَّوالعُ

وهو رجل واحد من عترة، ذهب أن يجتني القرظ،فلم يثبت أنه رجع.

وقول بشر بن أبي خازم يدل على أنه واحد:

فرَجِّي الخَيْرَ وانْتَظِري إيَابي إذا مَا القَارظُ العَنَزِيُّ آبا

وقال العجاج: لا تحسَبَنَّ الخَنْدَقَيْنِ والحَفَرْ وهو خندق واحد.

أخبرني يونس بن حبيب: أن رجلاً من بني السيد قتل رجلاً من قومه، فأتاهم الفرزدق، وهم أخواله،فعرض عليهم الدية وأن يرهنهم ابنه بذلك، فخافوا شره، وأن لا يستطيعوا الإقدام عليه، فأبوا. فقال الفرزدق:

ألَمْ تَرَني أزْمَعتُ وَثْبَةَ حازِمٍ لأفْديَ بابني مِنْ رَدَى المَوْتِ خَالِيَا

وكنْتُ ابْنَ أشْياخٍ يُجيرون مَنْ جَنَى ويُحْيُون كالغَيْثِ العِظامَ البَوَاليا

ولمَّا دَعاني وهْوَ يَرْسُفُ لم أكنْ بَطِيئاً عن الدَّاعي ولا مُتَوانِيَا

شَدَدْتُ على نِصْفي إزارِي وربَّما شددْتُ لأَحْناءِ الأُورِ إزَاريا
وقلْتُ أَشِطُّوا يا بَني السِّيد حُكمَكُم عَلَيَّ فإني لا تَضِيقُ ذِراعيَا
عَرَضْتُ عَلى السِّيد الأَشَائِم مُوفِياً بمقَتْولِهم عند المقَادَةِ غالِيَا
غُلاماً أبوهُ المُسْتجارُ بقَبْرِه وصَعْصَعَةُ الفَكَّاكُ من كان عانِيا
إذا خُيِّر السِّيديُّ بين غَوايَةٍ ورُشْدٍ أتىَ السِّيديُّ ما كان غاوِيَا
فإنْ تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عَظيمةٍ وإلاّ فَإنِّي لا إِخالُك ناجِيا

وقال بعد ذلك يفتخر بهم:

بنُو السِّيدِ الأَشائِمُ للأَعادِي نَمَوْنِي للعُلَى وبَنُو ضِرَارِ

حدثني حاجب بن يزيد، عن أبيه قال: إن جريراً كان ينشد هذه الأبيات وشيخ من ثعلبة بن يربوع، يقول له العقار بن النحار – أو النحار بن العقار – قاعد بالماء قد شد له حاجباه من الكبر، حين قال جرير – وضبه كلها ثعلبة وبكر ابنا سعد بن ضبة – فذكر أخوال الفرزدق:

أَثَعْلَبَ أُولي خَلْفَةً ما ذَكرتُكم بسُوءٍ ولكنِّي عَتَبْتُ عَلَى بَكْرِ
أَثَعْلَبَ إنِّي لَم أزَلْ مُذْ عَرَفْتُكم أرَى لكُمُ سِتْراً فلا تَهْتِكوا سِتري
فَلاَ تُوبِسُوا بَيْني وبَيْنَكُم الثرَى فَإنَ الذي بيني وبينَكُمُ مُثْرِي
فَما شَهِدَتْ يومَ النَّقَا خَيْلُ هَاجِرٍ لا السِّيدُ إذْيَنْحطْنَ في الأَسَلِ السُّمْرِ
وما شَهِدَتْ يومَ الغَبِيطِ مُجَاشِعٌ ولا نَقَلانَ الخَيْلِ من قُنَّتَيْ يُسْرِ

ويوم النقا: يوم قتل فيه بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين، قتلته ثعلبة بن سعد بن ضبة دون بكر، والغبيط: أسرت فيه يربوع بسطاما.

قال حاجب في حديثه: فلما أنشد جرير:

وما شهدتْ يومَ الغَبِيطِ مُجاشِعٌ

قال الشيخ الثعلبي: من المنشد؟ قالوا: أحد بني الخطفي. قال الشيخ: ولا كليب والأجل ما شهدت، ما كنا إلا سبعة فوارس من ثعلبة ابن يربوع.

وقال معاوية الضبي:

فَهذَا مكَاني أَوْ أَرَى القَارَ مُغْرَباً وحَتَّى أرَى صُمَّ الجبالِ تَكَلَّمُ

يريد أنه لا يبرحها أبدا، كما أن القار لا يكون مغريا، والجبال لا تكلم. وقد تقول العرب: حتى يكون كذا وكذا، لما لا يكون أبدا، فيقولون: "حتى تطلع الشمس من مغربها" و "حتى تقع السماء على الأرض" و "حتى يرجع الدر في الضرع" وهذا كله عندهم مما لا يكون. وقال الله عز وجل: "حتى يلج الجمل في سم الخياط" "سورة الأعراف: 40" لما لا يكون، وقال النابغة الذبياني لعامر بن طفيل:

وإنك سوفَ تَحْلُمُ أو تَنَاهي ... إذا ما شِبْتَ أو شابَ الغُرَابُ

وقال النمر بن تولب:

وقَوْلي، إذا ما أطْلَقُوا عن بَعِيرِهِمْ: ... يُلاقُونَه حَتَّى يَؤُوبَ المُنَخَّلُ

أي لا يلاقونه أبدا، وكذلك قول أبي ذؤيب:

وحتَّى يؤُوب القَارِظانِ كِلاهُما ... ويُنْشَرُ في القَتْلى كليْبٌ لوائلِ

وقال بشر بن أبي خازم:

فَرَجِّي الخيرَ وانْتَظِري إيَابي ... إذَا ما القَارِظُ العَنَزِيُّ آبَا

فهذا عندهم مما لا يكون، لأن الغراب لا يشيب، ومن مات عندهم لم يرجع.

والثالث: الحويدرة، وهو شاعر، وهو يقول في كلمة له طويلة:

رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدوةً فتَمَتّعِ ... وَغَدتْ غُدوَّ مُفارقٍ لم يَرْبَعِ

وتَزوَّدت عَيْني غَدَاةَ لَقِيتُها ... بِلِوَي عُنيزةَ نظرةً لم تَنْقَعِ

وَتَصَدَّفتْ حتَّى اسْتَبَنْتُ بواضحٍ ... صَلْتٍ كمُنْتَصَبِ الغَزَالِ الأتْلَعِ

وَبمُقْلَةٍ حَوْرَاءَ تَحْسِبُ طرْفَها ... وَسْنَانَ حُرّةِ مُسْتَهَلِّ الأدْمُعِ

والرابع: عبد بني الحسحساس. وهو حلو الشعر، رقيق حواشي الكلام.

ذكروا عن عثمان بن عفان أنه أتى بعبد من عبيد العرب نافذ، فأراد شراءه، فقيل له: إنه شاعر. قال: لا حاجة لي به، إن الشاعر لاحريم له. ويقال إنه عبد بني الحسحاس، وذلك قبل خلافة عثمان.

وأنشد عمر بن الخطاب قوله:

عُمَيرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا ... كَفَى الشَّيْبُ الإسْلامُ للمرءِ نَاهِيَا

فقال: لو قلت شعرك مثل هذا أعطيتك عليه.فلما قال:

فَبَاتَ وِسَادَاناً إلي عَلَجانَةٍ ... وحِقْفٍ تَهادَاهُ الرِّيَاحُ تَهادِيا

وَهَبَّت شَمالٌ آخِرَ اللَّيْلِ قَرَّةٌ ... وَلا ثَوْبَ إلا دِرْعُها ورِدَائيا

فما زَالَ بُرْدي طَيِّباً من ثِيابِها إلى الَحولِ حتَّى أنْهَجَ الثَّوْبُ بَاليَا

فقال له عمر: ويلك! إنك مقتول! وقال أيضا:

ولقد تحَدَّرَ من كريمَةِ بَعْضِهِمْ عَرَقٌ على مَتْنِ الفِرَاشِ وَطِيبُ

فأخذوه شارباً ثملاً، فعرضوا عليه نسوة، حتى مرت عليه التي يظنونها به، فأهوى لها، فأخذوه فقتلوه لما تحقق عندهم.

الطبقة العاشرة

وهي آخر الطبقات، وهم أربعة رهط: أولهم: أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله، سرابيل الموت – كان شاعراً سيداً – بن زهرة بن زيينة بن جندع بن ليث بن بكر عبد مناة بن كنانة.

وحريث بن محفظ.

والكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

وعمرو بن شأس بن أبي بلي، واسمه عبيد بن ثعلبة بن ذوبية بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد ابن خزيمة.

وكان أمية بن حرثان بن الأسكر قديما، وعمر في الجاهلية عمرا طويلا، وألفاه الإسلام هرما. وله شعر في الجاهلية، وشعر في الإسلام.

وكان ابناه كلاب وأخوه هاجرا إلى البصرة أيام عمر بعد ما كبر الشيخ وكف بصره فقال:

لِمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشَدا كِلابَا كتابَ الله إنْ حَفِظَ الكتَابَا؟

إذا هَتَفَتْ حَمَامَةُ بَطْنِ وَجٍّ عَلَى بَيْضَاتِها ذَكَرَا كِلابَا

تَرَكْتَ أباكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ وأمَّكَ ما تُسِيغُ لَهَا شَرَابَا

وقال أيضا:

سَأَسْتَأْدِي على الفاروق ربًّا لَهُ عَمَدَ الحَجيجُ إلى بُصَاق

إنِ الفاروق لم يَرْدُدْ كِلاباً إلى شَيْخَيْن هامُهُما زَوَاقي

فكتب عمر إلى أبي موسى بإشخاصه، فلم يرع أمية إلا ببابه يقرع، فقال: إن كان كلاب في الناس حيا إنه لهو.

وخطة كلاب، البصرة، في بني سليم، يقال لها: مربعة كلاب، وتقول لها العامة: مربعة الكلاب، بلا علم.

ومر بأمية غلام له، وهو يحثو التراب على رأسه هرما ودلها، فقام ينظر إليه، فأفاق إفاقة فرآه قائما ينظر إليه، فقال:

أَصْبَحْتُ فَنًّا لرَاعي الضَّأنِ أُعْجبُهُ ... ماذا يَرِيْكَ مِنّي رَاعِي الضَّانِ

إنْ تَرْعَ ضأْناً فإنِّي قَدْ رُزِئْتُهُمُ ... بِيضَ الوُجُوهِ، بني عَمٍّ وإِخْوانْي

يَا ابَنِي أُمَيَّةَ؟ إنِّي عَنْكُما غَانِي ... وما غِنائيَ إلا أَنَّني فاني

يَا ابنَى أُمَيَّة إلاّ تَشْهدَا كبَرِي ... فإنَّ نَأيَكُمَا والمَوْتَ سيَّانِ

الثاني: حريث بن محفظ المازني، وهو جاهلي إسلامي له في الجاهلية أشعار. وهو الذي يقول:

ونحنُ طَرَدْنا الحيَّ بكرَ بنَ وائلٍ ... إلى سَنَةٍ مِثْلِ السِّنانِ ونارِ

ومُومٍ وطاعونٍ وحَصْبَةِ قاتِلٍ ... وَذِي لِبَدٍ يَغْشَى المُهَجْهِجَ ضارِي

وحُكْمِ عَدُوٍّ لا هَوادةَ عِنْدَهُ ... ومَنْزِلِ ذُلٍ في الحياةِ وعَارِ

يعني محل بكر بن وائل، وهو السواد، والسواد أوبأ البلاد على الرجال والإبل من البر. وقوله: "وحكم عدو" يعني حكما للعجم على بكر بن وائل، فذلك قوله: "وحكم عدو لا هوادة عنده".

وقال أيضا:

تَقُولُ ابنةُ الضبيِّ يوم لَقِيتُها: ... تغيَّرتَ حتى كِدْتُ مِنْك أُهالُ

فإن تَعْجَبي منّي عُمَيْرُ فقد أتت ... ليالٍ وأيامٌ علىَّ طِوالُ

إنِّي لَمِنْ قَومٍ تَشِيبُ سَراتُهمُ ... كذاكِ وفيهِمْ نائلٌ وَفَعالُ

وقال:

أَلَمْ تَرَ قَوْمي إنْ دَعاهُمْ أَخُوهم أَجابُوا ... وإن يَغْضَبْ عَلَى القَوْمِ يَغْضَبُوا

هُمُ حَفِظُوا غَيْبي كما كنْتُ حافظاً ... لِقَوْمي أُخرَى مِثْلَها إن تَغَيّبُوا

بنُو المَجْدِ لم تقْعُدْ بهم أُمَّهاتُهُمْ ... وآباؤُهم آباءُ صِدْقٍ فأَنْجَبُوا

قال ابن دأب: أدخل الحارث بن نوفل بن الحارث ابن المطلب على معاوية فتيانا من فتيان بني عبد مناف، فقال معاوية: هؤلاء كما قال أخو بني مازن:

بنُو المَجْدِ لم تقُعد بهم أمَّهاتُهُم ... وآباؤهم آباءُ صدْقٍ فأنجبوا

قال أبو عبد الله، قال الحجاج وهو على المنبر: أنتم والله يا أهل الشأم كما قال القائل:

بنو المجد لم تقعُد بهم أمَّهاتُهُم وآباؤهم آباءُ صِدْقٍ فأنجبُوا

وحريث تحت منبر،فقال: أنا قائلة أيها الأمير: فقال: كذبت، ذاك حريث بن محفظ. قال: أنا حريث! قال: فما جملك على الرد على هكذا؟ قال: ما ملكت حين تمثل الأمير بشعري أن أخبرته بمكاني.

والثالث: الكميت بن معروف، وهو شاعر – وجده الكميت بن ثعلبة شاعر – وكميت بن يزيد الآخر شاعر. والكميت ابن معروف الأوسط أشعرهم قريحة، والكميت بن زيد أكثرهم شعرا.

قال الكميت بن معروف:

أقُولُ لنَدْمانَيَّ والحَزْنُ بَيْننا وغُبْرُ الأعالي من خُفافٍ فَوَارِعُ :

أَنارٌ بَدَتْ بَيْنَ المُسَنَّاةِ والحمَى لعَيْنَيْكَ أم بَرْقٌ من اللَّيل لامعُ؟

فإن يك بَرْقاً فهو بَرْقُ مُخيلةٍ لَها رَيِّقٌ لم يخْلُفِ الشَّيْمَ رائعُ

وإن تَكُ نارٌ فَهي نارٌ تَشُبُّها قَلُوصٌ وتَزْهاها الرِيّاحُ الزَّعازعُ

وما مُغْزِلٌ أدْماءُ مَرْتَعُ طِفْلِها أرَاكٌ وسِدْرٌ بالمِرَاضَيْنِ يانِعُ

بأحْسَنَ منْها يوم قالتْ لِتِرْبِها: سَلِيه يُخَبِّرنا مَتى هو راجعُ؟

فقلتُ لها: واللّهِ ما مِنْ مُسافرٍ يُحيطُ لَهُ علمٌ بِما اللّهُ صانعُ

والرابع: عمرو بن شأس، كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، أكثر أهل طبقته شعرا. وكان ذا قدر وشرف ومنزلة في قومه.

جاوره رجل من بني عامر بن صعصعة،ومع العامري بنت له جميلة، فخطبها، فقال له العامري: أما ما دمت في جوارك فلا تنزل مني على الاقتسار والقهر، ولكن إذا رجعت إلى قومي فاخطبها. فغضب عمرو وآلى يمينا أن يتزوجها أبدا، إلا أن يصيبها سباء. فلما رجع الرجل إلى قومة أراد عمرو غزوهم، ثم قال: قد كان بيني وبين الرجل عهد وميثاق وجوار! فاستحيي وتذمم أن يفعل، وقال:

إذا نَحْنُ أدْلَجْنا وأنْتِ أمامَنا كَفَى لِمَطايانا بِرَيَّاكِ هادِيَا

ولولا اتِّقاءُ اللّهِ والعَهْدُ قد رَأى مُبَيِّنَةً منَّا تُثِيرُ النَّواديَا

ونَحنُ بنو خَيْرِ السِّباعِ أكِيلَهُ وأجْحِرَةً لَمَّا تَحفَّظَ عادِيَا

لنا حاضرٌ لم يَحْضُرِ النَّاسُ مثلَهُ وبادٍ إذا عَدُّوا فأكرَمُ بادِيَا

قال: ونزل رجل من بني حنظلة بإبل له عظيمة في جوار بني سعد بن ثعلبة دودان بن أسد بن خزيمة، رهط عمرو بن شأس، فأقام فيهم سنوات ثم رحل عنهم. فأغارت طيء على إبله فذهبوا بها، فرجع إلى بني سعد بن ثعلبة، فقال: قد برئت ذمتكم، ولكني أصبت، وقد عدت على طيء: فركب معه بني سعد إلى طيء، فأخذوا أكثر إبله وأدوه إلى مأمنه، فقال عمرو بن شأس:

أبَأْنا لِقاحَ الحَنْظَليَّ بمثْلِها ... لِقاحاً وقُلْنا: دُونَك اُبْنَ مُكَدَّمِ

وَفاءٍ ولم تُشرِفْ عليه نُفوسُنا ... حَناجِرُها كأنَّها صَوْغُ حَنْتَمِ

وكان لعمرو ابن يقال له عرار، من أمة سوداء،وكانت امرأته تؤذيه وتستخف به، فقال عمرو في كلمة له:

أرادَتْ عِرَاراً بالهَوَانِ ومَنْ يُرِدْ ... عَرَاراً لَعمْري بالهَوان فقد ظَلَمْ

وإنَّ عِراراً إن يَكُنْ غيرَ وَاضِحٍ ... فإنِّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنكبِ العَمم

وإنَّ عِراراً إن يكُنْ ذا شكيمةٍ ... تلَقَّيْتِها منهُ فما أَمْلِكُ الشِّيَمْ

فإن كُنْتِ مِنّي أو تُريدين صُحْبَتي ... فكُوني له كالسَّمْنِ رُبَّتْ لَّهُ الأَدَمْ

وَإلا فَسِيري مثلَ ما سارَ راكِبٌ ... تَعَجَّلَ خِمْساً لَيْسَ في سَيْرِهِ أَمَمْ

وقال عمرو في كلمة له طويلة:

مَتى تَعْرِفِ العَيْنانِ أَطْلالَ دِمنَةٍ ... لِلَيْلَى بأفلَى ذِي مَعارِكَ تَدْمعَا

عَلَى النَّحْرِ والسِّرْبَالِ حَتَّى تَبُلَّه ... رَشَاشاً ولم تَجْزع إِلَى الدَّار مَجْزَعَا

خَلِيلَيّ عُوجَا اليومَ نَقْضِ لُبانةً ... وإلّا تَعُوجَا اليَوْمَ لا نَنْطَلِقْ مَعَا

وإنْ تَنْظُرَ أني اليَوْمَ أَتْبَعُكُما غَداً ... أَذَلَّ قِياداً من جَنِيبٍ وَأَطْوَعَا

وَقَدْ زَعَما أن قَدْ أَمَلَّ عليْهِمَا ... ثَوائي وقَوْلي كُلّما ارْتَحَلا اُرْبَعَا

وَما لَبَثٌ في الحيِّ يَوْماً وليلةً ... بِزَائِدِ ما قَدْ فاتَ صَيْفاً وَمَرْبَعَا

فَجُودَا لِهِنْدٍ في الكَرَامة مِنْكُمَا ... وإن شِئْتُما أَن تَمنَعَا بَعْدُ فَامْنَعَا

انقضى خبر العشر الطبقات.

طبقة أصحاب المراثي

قال: وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر الطبقات.

أولهم: متمم بن نويره بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، رثى أخاه مالكا.

والخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة، رثت أخويها صخرا ومعاوية.

وأعشى باهلة – واسمه عامر بن الحارث بن رياح بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن – رثى المنتشر بن وهب بن عجلان بن سلمة بن كراثة بن هلال بن عمرو ابن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن.

وكعب بن سعد بن عمرو بن عقبة – أو علقمة – بن عوف بن رفاعة، أحد بني سالم بن عبيد بن سعد بن جلان بن غنم بن غني بن أعصر، رثى أخاه أبا المغوار.

والمقدم عندنا متمم بن نويرة، ويكنى أبا نهشل، رثى أخاه مالك بن نويرة، وكان قبله خالد بن الوليد بن المغيرة، حين وجهه أبو بكر، رضى الله عنه، إلى أهل الردة. فمن الحديث ما جاء على وجهه، ومنه ما ذهب معناه علينا، للاختلاف فيه. وحديث مالك مما اختلف فيه فلم نقف منه على ما نريد. وقد سمعت فيه أقاويل شتى، غير أن الذي استقر عندنا أن عمر أنكر قتله، وقام على خالد فيه وأغلظ له، وأن أبا بكر صفح عن خالد وقبل تأوله.

وكان مالك رجلاً شريفاً فارساً شاعراً، وكانت فيه خيلاء وتقدم، وكان ذا لمة كبيرة، وكان يقال له الجفول. وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من أمثاله من العرب، فولاه صدقات قومه بني يربوع. فلما قبض النبي صلى الله عليه اضطرب فيها فلم يحمد أمره، وفرق ما في يديه من إبل الصدقة، فكلمه الأقرع ابن حابس المجاشعي والقعقاع بن معبد بن زرارة الدارمي، فقالا له: إن لهذا الأمر قائماً وطالباً، فلا تعدل بتفرقة ما في يديك. فقال:

أَرَانْي اللّهُ بالنَّعَمِ المُنَدَّى ... بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ وقد أرَاني

تُمَشِّي يَا اُبنَ عَوْذَةَ في تَميمٍ ... وَصَاحُبك الأُقَيْرِعُ تَلْحَياني

حَمَيْتُ جَميعَها بالسَّيْف صِلْتاً ... ولم تَرْعَشْ يَدَايَ ولا بَنَاني

عوذة: يعني أم القعقاع، وهي معاذة: بنت ضرار بن عمرو .

وقال:

وقُلتُ: خُذُوا أَمْوَالكم غير خائفٍ ... ولا ناظرٍ فيما يَجِيءُ من الغَدِ

فَإن قامَ بالأمر المُخَوَّفِ قائمٌ ... مَنَعْنا وقلنا: الدِّينُ دِينُ مُحَمَّد

فطرق خالد مالكاً وقومه – وهم على ماءٍ لهم يقال له البعوضة تحت الليل –، فذعرهم، وأخذوا السلاح. فكان في حجة خالد عليهم، أنه أنظرهم إلى وقت الأذان فلم يسمع أذانا. وتقول بنو تميم: إنه لما هجم عليهم خالد قال: من أنتم؟ قالوا: المسلمون. قال: ونحن المسلمون، فما بال السلاح؟ قالوا: ذعر تمونا! قال: فضعوا السلاح.

والمجتمع عليه: أن خالداً حاوره وراده، وأن مالكاً سمح بالصلاة والتوى بالزكاة. فقال خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً، لا تقبل واحدة دون الأخرى؟ قال:قد كان يقول ذلك صاحبكم! قال: وما تراه لك صاحباً؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك. ثم تحاولا، فقال له خالد: إني قاتلك. قال: وبذا أمرك صاحبك؟ قال: وهذه بعد! والله لا أقيلك.

فيقول من عذر مالكاً: إنه أراد بقوله: "صاحبك" أنه أراد القرشية. وتأول خالد غير ذلك فقال: إنه إنكار منه للنبوة. وتقول: بنو مخزوم: إن عمرو بن العاص قال لخالد – وقد كان لقيه وهو منصرف من عمان، وكان النبي صلى الله عليه وجهه إلى ابن الجلندي – فقال لخالد: يا أبا سليمان، إن رأت عينك مالكاً فلا تزايله حتى تقتله.

وكان خالد يحتج على مالك بأشعاره التي كتبنا. وكلم أبو قتاده الأنصاري خالداً في ذلك كلاماً شديداً فلم يقبله، فآلى يميناً أن لا يسير تحت راية أميرها خالداً أبدا. وقال له عبد الله بن عمر،وهو في القوم يومئذ: يا خالد، أبعد شهادة أبي قتادة؟ فأعرض عنه. ثم عاوده، فقال:يا أبا عبد الرحمن، اسكت عن هذا، فإني أعلم مالا تعلم. فأمر ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه، ففعل.

قال ابن سلام: سمعني يونس يوماً أراد التميمية في خالد وأعذره، فقال: يا أبا عبد الله، أما سمعت بساقي أم تميم؟ وصارت أم تميم إلى خالد بنكاح أو سباء، وعابه عليه عمر بن الخطاب قال: قتلت امرأ مسلماً ووثبت على امرأته بعقرباء، يوم بني حنيفة.

قال: ومن أحسن ما سمعت من عذر خالد، ما ذكروا أن عمر قال لمتمم بن نويرة: ما بلغ من جزعك على أخيك؟ – وكان متمم أعور – قال: بكيت عليه بعيني الصحيحة حتى نفد ماؤها، فأسعدتها أختها الذاهبة. فقال: عمر لو كنت شاعراً لقلت في أخي أجود مما قلت. قال أمير المؤمنين، لو كان أخي أصيب مصاب أخيك ما بكيته. فقال عمر: ما عزاني أحد عنه بأحسن مما عزيتني.

وبكى متمم مالكاً فأكثر وأجاد، والمقدمة منهن قوله:

لَعمْرِي ومَا دَهْرِي بتَأبين هَالكٍ ولا جَزَعٍ ممَّا أصابَ وأوْجَعَا

قال ابن سلام: وأخبرني يونس بن حبيب: أن التأبين مدح الميت والثناء عليه، قال رؤبة:

فَامْدَحْ بِلالاً غيرَ مَا مُؤَبَّنِ

والمدح للحي.

وبكت الخنساء أخويها صخراً ومعاوية. فأما صخر فقتلته بنو أسد، وأما معاوية فقتلته بنو مرة غطفان.

فقالت في صخر كلمتها التي تقول فيها:

وإنّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِه ... كأنّه عَلَمٌ في رَأْسه نَارُ

وقالت في معاوية:

ألا مَا لِعَيْنِكِ أمْ مَالَهَا؟ ... لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَها

وقالت في صخر الكلمة الأخرى:

أمِنْ حَدَثِ الأَيَّام عَيْنُك تَهْمُلُ ... وتَبْكي على صَخْرٍ وفي الدّهْر مَذهَلُ

وأعشى باهلة، رثى المنتشر بن وهب الباهلي، قتيل بني الحارث بن كعب فقال في كلمته:

لا يَأمَنُ الناسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ... من كلّ أَوْبٍ وإنْ لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ

لا يَغْمِزُ السَّاقَ من أَيْنٍ ولا وَجَعٍ ... ولا يَزَالُ أمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ

إنّي أَشُدُّ حَزِيمي ثُمّ يُدْرِكني ... مِنْك البَلاَءُ ومِنْ آلائِك الذِّكَرُ

فإن جَزِعْنا فمثْلُ الشَّرِّ أَجْزَعَنَا ... وإنْ صَبَرْنَا فَإنَّا مَعْشَرٌ صُبُرُ

إمَّا سَلَكْتَ سبيلاً كُنْتَ سالِكَها ... فَاذْهبْ فَلاَ يُبْعِدَنْك الله مُنْتَشِرُ

لا يُصْعِبُ الأَمْرَ إلا رَيْثَ يَرْكَبُه ... وكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الفَحْشاءِ يأتَمِرُ

والرابع: كعب بن سعد الغنوي، رثى أخاه أبا المغوار بكلمة قال فيها:

فَخبَّرتُماني أَنَّما الموتُ بالقُرَى ... فكيفَ وهذي رَوْضَةٌ وكَثِيبُ!

وماءُ سَماءٍ كان غَيْرَ مَحَمَّةٍ ... بِدَاوِيَّةٍ تَجْري عليه جَنوبُ

ومَنْزِلَةٍ في دَارِ صِدْقٍ وغِبْطَةٍ ... وما اُقْتَالَ في حُكْمٍ عَلَيَّ طَبِيبُ

فلو كانَتِ الموْتَى تُباعُ اُشْتَريتُه ... بما لم تَكُنْ عنه النُّفُوس تَطِيبُ

بِعَيْنِيَّ أو كِلْتَا يَدَيَّ وقيل لي ... هُوَ الغانِمُ الجَذْلانُ حين يَؤُوبُ

ودَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى؟ ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عند ذَاك مُجِيبُ

فَقُلْتُ: ادْعُ أُخْرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ دَعْوَةً ... لعلَّ أَبَا المِغْوارِ مِنْكَ قَرِيبُ

شعراء القرى العربية

وهي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة، والبحرين. وأشعرهن قرية المدينة.

شعراؤها الفحول خمسة: ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس.

فمن الخزرج، من بني النجار: حسان بن ثابت. ومن بني سلمة: كعب بن مالك. ومن الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة. ومن الأوس: قيس بن الخطيم، من بني ظفر. وأبو قيس بن الأسلت، من بني عمرو بن عوف.

أشعرهم حسان بن ثابت. وهو كثير الشعر جيده، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. لما تعاضدت قريش واستبت، وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقى. وكان أبوه ثابت بن المنذر بن حرام، من سادة قومه وأشرافهم. والمنذر الحاكم بين الأوس والخزرج في يوم سميحة - وهو يوم من أيامهم مشهور -، وكانوا حكموا في دمائهم يومئذ مالك بن العجلان بن سالم بن عوف، فتعدى في مولى له قتل يومئذ، وقال: لا آخذ فيه إلا دية الصريح. فأبوا أن يرضوا بحكمه، فحكموا المنذر بن حرام، فحكم بأن هدر دماء قومه الخزرج، واحتمل دماء الأوس، فذكره حسان في شعره في قصيدته التي قال فيها:

مَنَع النّوْمَ بالعِشاءِ الهُمُومُ

وأسرت مزينة ثابتا، أبا حسان، فعرض عليهم الفداء فقالوا: لا نفاديك إلا بتيس! - ومزينة تسب بالتيوس - فأبي وأبوا. فلما طال مكثه، أرسل إلى قومه: أن أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم.

وحدثني يزيد بن عياض بن جعدبة أن النبي صلى الله عليه لما قدم المدينة، تناولته قريش بالهجاء، فقال لعبد الله بن رواحة: رد عني. فذهب في قديمهم وأولهم، فلم يصنع في الهجاء شيئا. فأمر كعب ابن مالك، فذكر الحرب، كقوله:

نصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرنَ بخَطْونا قُدُماً ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

فلم يصنع في الهجاء شيئا. فدعا حسان بن ثابت فقال: أهجهم وائت أبا بكر يخبرك - أي بمصائب القوم -. وكان أبو بكر علامة قريش، وكان جبير بن مطعم أخذ العلم عن أبي بكر.

أخبرنا شعبة، عن عدي بن ثابت الأنصاري: أنه سمع البراء بن عازب الأنصاري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه: أهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك.

قال ابن جعدبة في حديثه: وأخرج حسان لسانه حتى ضرب به على صدره وقال: والله يا رسول الله، ما أحب أن لي به مقولا في العرب. فصب على قريش منه شآبيب شر، فقال رسول الله صلى الله عليه:

اهجهم، كأنك تنضحهم بالنبل.

ومن شعره الرائع الجيد، ما مدح به بني جفنة من غسان، ملوك الشام في كلمة:

للّه دَرُّ عِصابةٍ نادَمْتُهُمْ ... يوماً بِجِلِّقَ في الزَّمانِ الأوَّلِ

يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البَريصَ عليهمُ ... بَرَدَى يُصَفَّق بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ

يُغشَوْن حَتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ ... لا يَسْألون عن السَّوَادِ المُقْبِلِ

أوْلادُ جَفْنَةَ عِنْدَ أبِيهِمُ ... قَبْرِ اُبن مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

وقال في الكلمة الأخرى الطويلة:

لنا الَجفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسْيافُنا يَقْطُرْن من نَجْدَةٍ دَمَا

أبَي فِعْلُنا المعروفِ أن نَنْطِقَ الخَنا ... وقائِلُنا بالعُرْفِ إلا تَكلُّمَا

وقوله:

وإن اُمْرىً أَمْسَى وأَصْبَح سَالِماً ... من الناس إلا مَا جَنى لَسَعيدُ

ولما قال للحارث بن عوف بن أبي حارثة المري:

وأَمَانَةُ المُرِّيِّ حَيثُ لَقِيتَه ... مثْلُي الزُّجاجةِ صَدْعُها لم يُجْبَرِ

قال الحارث: يا محمد، أجرني من شعر حسان، فو الله لو مزج به الماء البحر مزجه.

وأشعار حسان وأحاديثه كثيرة.

وكعب بن مالك، شاعر مجيد. قال يوم أحد في كلمة:

فَجِئْنَا إلى مَوْجٍ من البَحْرِ وَسْطَه ... أَحابِيشُ منهم حَاسِرٌ ومُقَنَّعُ

ثلاثةُ آلافٍ ونحنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلاَثُ مِئِينَ إن كَثُرْنا وأَرْبَعُ

وكانوا سبعمئة.

فَرَاحُوا سِراعاً مُوجِفينَ كأَنَّهُمْ ... جَهَامٌ هَرَاقتْ مَاءهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ

ورُحْنَا وأُخْرَانا تَطَانَا كأَنَّنا ... أُسُودٌ على لَحْمٍ بِبِيشةَ ظُلَّعُ

وقال كعب في أيام الخندق:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بَعْضُه ... بَعْضاً كمَعْمَعةِ الأَبَاءِ المُحْرَقِ

فَلْيَأْتِ مَأْسَدةً تُسَلُّ سُيوفُها ... بَيْنَ المَذَادِ وبَيْنَ جِزْعِ الخَنْدَقِ

وقال بعد ذلك في كلمة أيضا:

قَضَيْنا من تِهامَةَ كلَّ رَيْبٍ وخَيْبَرَ ثُمّ أجْمَمْنَا السُّيُوفَا
نُخَيِّرها ولو نَطقت لَقَالتْ قَواطِعُهنَّ :دَوْساً أو ثَقِيفَا
فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْهَا بساحَةِ دَارِكم مِنَّا أُلُوفَا
فَنَنتَزِعُ العُروشَ ببَطْن وَجٍّ ونَتْرُكُ دَارَكم مِنَّا خُلُوفَا
ونُرْدِي اللَّاتَ والعُزَّي ووَدّا ونَسْلُبُها القَلائِدَ والشُّنوفَا

حدثني عمر بن معاذ التيمي المعمري وغيره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه لكعب بن مالك: أترى الله نسي لك قولك:

زَعَمَتْ سَخِينةُ أنْ ستَغْلِبُ رَبَّها ولَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلاَّبِ

وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك، هو وهلاك ابن أمية ومرارة بن الربيع، فتاب الله عليهم، كما قص في سورة براءة.

ويروي أن قومه قالوا في ذلك: لو اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه ببعض ما يعتذر به الناس، عذرك. قال: إني لأصنعهم لساناً وأقدرهم على ذلك، ولكن والله لا أعتذر إليه بكذب وإن عذرني فيطلعه الله عليه. فيقال: إن الله عز وجل أنزل فيه: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" "سورة التوبة 119". وشهد العقبة و لم يشهد بدرا.

وعبد الله بن رواحة، عظيم القدر في قومه، سيد في الجاهلية، ليس في طبقته التي ذكرنا أسود منه. شهد بدراً. وكان في حروبهم في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم. وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه.

وقال عبد الله بن رواحة، وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه في غمرة القضاء، يقودها، وقد اجتمع أهل مكة وغلمانهم ينظرون إليه، وهو يقول:

خَلُّوا بَني الكُفَّار عن سَبِيلِهِ خَلُّوا فكلُّ الخَيْرِ مَعْ رَسُولِهِ
نَحنُ ضَرَبنا كُمْ على تَأْوِيلِهِ كما ضَرَبنَا كُمْ على تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهِ ويُذْهِلُ الخليلَ عن خَلِيلِهِ

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة منصرفة من العمرة، فخرص على أهل خيبر، فقال لهم لما شكوا الخرص:

فنحنُ نأخذُها بذلك قالوا بهذا قامتِ السَّموات والأرضُ

وقد روى عمر بن أبي زائدة قال: سمعت مدرك بن عمارة ابن عقبة بن أبي معيط يقول: قال عبد الله بن رواحة: مررت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وهو في نفر من أصحابه، فأضب القوم: يا عبد الله بن رواحة! يا عبد الله بن رواحة! فعرفت أن رسول الله صلى الله عليه دعاني، فانطلقت إليهم مسرعا، فسلمت، فقال: ههنا. فجلست بين يديه فقال – كأنه يتعجب من شعري –: كيف تقول الشعر إذا قلته؟ قلت: أنظر في ذلك ثم أقول. قال: فعليك بالمشركين. قال: فلم أكن أعددت شيئا، فأنشدته، فلما قلت:

فَخبِّرُوني أَثْمانَ العَبَاءِ متَى كُنْتُم بَطَاريقَ أو دَانتْ لكم مُضَرُ؟

قال: فكأني عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه الكراهة إذ جعلت قومه أثمان العباء فقلت:

نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ فَنَأْسِرُهم فِينَا النَّبيُّ وفينَا تُنْزَلُ السُّوَرُ
وقد علمتم بأنَّا ليسَ غَالِبَنَا حيٌّ من الناس إنْ عَزُّوا وإن كَثُروا
يَا هَاشِمَ الخَيرِ إنَّ اللّه فَضَّلكم عَلَى البَرِيَّة فَضلاً مَالَهُ غيَرُ
إنّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخيرَ أعرِفُهُ فِراسةً خَالفتْهُمْ في الّذي نَظَرُوا
ولوْ سألتَ أَو اسْتَنْصَرتَ بَعْضَهُمُ في جُلِّ أَمْرِكَ ما آوَوْا اوَما نَصَرُوا
فَثَبَّتَ اللّهُ مَا آتَاكَ من حَسَنٍ تَثْبِيتَ مُوسى ونَصْراً كالّذي نُصِرُوا

فأقبل على بوجهه متبسماً. ثم قال: وإياك فثبت الله.

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مؤته ثالث ثلاثة أمراء: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وابن رواحة. فلما قتل صاحباه، كأنه تكره الإقدام فقال:

أقْسَمتُ يا نَفْسُ لَتَنْزِلنَّهْ طَائِعَةً أوْلا لتُكْرَهِنَّهْ
وَطَالما قَدْ كُنْت مُطْمَئِنَّهْ مَا لي أرَاكِ تَكْرَهِينَ الجنَّةْ؟

فقتل يومئذ.

وأبو قيس بن الأسلت، وهو شاعر مجيد، وهو الذي يقول في حرب بينهم وبين الخزرج:

قَدْ حَصَّتِ البَيضَةُ رأْسي فَما أَطْعَمُ نَوْماً غَيْرَ تَهْجَاعِ
أَسْعَى عَلَى جُلِّ بَني مَالكٍ كُلُّ امرئ في شَأنِهِ سَاعِ

وهو يقول في قصيدة:

فَلَسْتُ لَحاصِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْنَا نُجالِدُ كُمْ كَأَنَّا شَرْبُ خَمْرِ

مَلَكْنَا النَّاسَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ فَلَمْ نُغْلَبْ وَلَمْ نُسْبَق بِوِتْرِ

هَمَمْنَا بِالإقامَةِ ثُمَّ سِرْنَا مَسِيرَ حُذَيْفَةِ الخَيْرِ بْنِ بَدْرِ

وذكروا أنه أقبل يريد النبي صلى الله عليه، فقال له عبد الله ابن أبي: خفت والله سيوف الخزرج! قال: لا جرم، والله لا أسلم حولاً. فمات في الحول.

قيس بن الخطيم شاعر، فمن الناس من يفضله على حسان شعراً – ولا أقول ذلك –.

وهو الذي يقول يوم بعاث:

أتعْرِفُ رَسْماً كاُطُّرادِ المَذَاهِبِ لِعَمْرَةَ قَفْراً غيرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ

عمرة: بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، وهي أم النعمان ابن بشير الأنصاري:

دِيارُ الَّتي كادتْ ونَحنُ على مِنىً تَحُلُّ بنا لَوْلا نَجاءُ الرّكائبِ

تَراءَت لنَا كالشَّمْسِ تحتَ غَمامةٍ بَدَا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحَاجِبِ

ولَمْ أَرَهَا إلا ثَلاثاً عَلَى منىً وعَهْدي بها عَذْرَاءَ ذَاتَ ذَوائبِ

ومِثْلِك قَدْ أَصْبَيْتُ لَيستْ بكَنَّةٍ ولا جَارةٍ ولا حَلِيلَةِ صَاحِبَ

أَرِبْتُ بدَفْعِ الحَرْبِ حتّى رأيتُها عَلَى الدَّفْعِ لا تَزْدَادُ غيرَ تَقارُبِ

فلمَّا رأيْتُ الحربَ حرْباً تَجَرَّدتْ لَبِسْتُ مع البُرْدَيْنِ ثَوْبَ المُحَارِبِ

مُضَاعَفَةً يَغْشَى الأَنامِلَ رَيْعُها كأَنَّ قَتِيرَهَا عُيُونُ الجَنادِبِ

إذَا ما فَرَرْنَا كان أَسْوَأَ قَرِّنا صُدُودُ الخُدودِ وازوِارُ المناكبِ

وهو الذي يقول:

تَرَاءَتْ لنا يومَ الرَّحِيلِ بِمُقْلَتَي غَرِيرٍ بِمُلْتَفٍّ مِنَ السِّدْرِ مُفْرَدِ

وَجِيدٍ كجِيدِ الرِّئْمِ حَالٍ يَزِينُهُ عَلَى النَّحْرِ مَنْظومٌ وفَصْلُ زَبَرْجَدِ

وكأَنَّ الثُّرَيَّا فوقَ ثُغْرةِ نَحْرِها تَوَقَّدُ في الظَّلْماءِ أيَّ تَوَقُّدِ

وإنِّي لاغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ يَرَى النَّاسَ ضُلالاً ولَيْسَ بمُهْتَدِي

أُكَثِّرُ أهْلي من عِيالٍ سِوَاهُمُ وأَطْوِي على الماءِ القَرَاحِ المُبَرَّدِ

وقال:

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَة ثائرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا

وكان قيس مقيماً على شركه، وأسلمت امرأته، وكان يقال لها حواء، فكان يصدها عن الإسلام ويعبث بها، يأتيها وهي ساجدة فيقلبها على رأسها. وكان رسول الله صلى الله عليه وهو بمكة قبل الهجرة، يسأل عن أمر الأنصار وعن حالهم، فأخبر بإسلامها، وما تلقى من قيس. فلما كان الموسم، أتاه صلى الله عليه في مضربه، فلما رأى النبي صلى الله عليه رحب به وأعظمه. فقال له النبي صلى الله عليه: إن امرأته قد أسلمت، وإنك تؤذيها، فأحب أن لا تعرض لها.

قال: نعم وكرامة يا أبا القاسم، لست بعائد في شيء تكرهه. فلما قدم المدينة قال لها: إن صاحبك قد لقيني، فطلب إلى أن لا أعرض لك، فشأنك وأمرك.

شعراء مكة

وبمكة شعراء، فأبرعهم شعرا: عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.

وأبو طالب بن عبد المطلب، شاعر.

والزبير بن عبد المطلب، شاعر.

وأبو سفيان بن الحارث، شاعر.

ومسافر بن أبي عمرو بن أمية، شاعر.

وضرار بن الخطاب الفهري، شاعر.

وأبو عزة الجمحي، شاعر، واسمه عمرو بن عبد الله.

وعبد الله بن حذافة السهمي، الممزق.

وهبيرة بن أبي وهب بن عامر بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

قال، حدثني شعيب بن صخر وأبو بكر الزبيري المصعبي، قال: أصبح الناس يوما بمكة وعلى دار الندوة مكتوب:

أَلْهَى قُصَيّاً عن المَجْدِ الأَسَاطِيرُ ورِشْوَةٌ مثل ما تُرْشَى السَّفَاسِيرُ

وأَكْلُها اللَّحْمَ بَحْتاً لا خَلِيطَ لَهُ وقَوْلُها: رَحلَتْ عِيرٌ مَضَتْ عِيرُ

فأنكر الناس ذلك، وقالوا: ما قالها إلا ابن الزبعري! أجمع على ذلك رأيهم، فمشوا إلى بني سهم – وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه، أن يهجو بعضها بعضاً – فقالوا لبني سهم: ادفعوه إلينا نحكم فيه بحكمنا. قالوا: وما الحكم فيه؟ قالوا: نقطع لسانه قالوا: فشأنكم، واعملوا والله أنه لا يهجونا رجل منكم إلا فعلنا

به مثل ذلك. والزبير ابن عبد المطلب يومئذ غائب نحو اليمن، فأنتجت بنو قصي بينهم فقالوا: لا نأمن الزبير إن بلغه ما قال هذا، أن يقول شيئا، فيؤتي إليه مثل ما نأتي إلى هذا! وكانوا أهل تناصف، فأجمعوا على تخليته، فخلوه. فقال له الناس، وحملوه على قومه: أسلمك قومك و لم يمنعوك، ولو شاءوا منعوك! فقال:

لَعَمْرُكَ ما جاءَتْ بنُكْرٍ عَشِيرتي ... وَإنْ صَالَحَتْ إخْوَانَهَا لاألُومُها

بِوُدِّ جُناةِ الغَيِّ أنّ سُيُوفَنَا ... بأَيْمَانِنَا مَسْلُولةً لا نَشِيمُهَا

وقال في يوم أحد قصيدة يقول فيها:

كُلُّ بُؤْسٍ ونَعِيمٍ زَائِلٌ ... وبَنَاتُ الدّهْرِ يَلْعَبْنَ بكُلّ

وَالعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بيْنَنَا ... وسَوَاءٌ رَمْسُ مُثْرٍ ومُقِلّ

لَيْتَ أشْيَاخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... ضَجَرَ الخَزْرَجِ من وَقْعِ الأَسَلْ

حِين أَلْقَتْ بِقَنَاةٍ بَرْكَهَا ... وَاُسْتَحَرَّ القتلُ في عَبْدِ الأَشَلْ

فَقَبِلْنَا النِّصْفَ من سَادَتِهِمْ ... وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعتَدَلْ

وزعم ابن جعدبة أنه سمع هشام بن عروة ينشد هذا الشعر، وسمعته قال:عنه رويته.

وقال ابن الزبعري لبني المغيرة بن عبد الله المخزوميين وكان لهم بلاء في الفجار، وأمهم: ريطة بنت سعيد بن سعد ابن سهم، فقال:

أَلا لِلّه قَوْمٌ وَلَدَتْ أُختُ بني سَهْمِ

هِشَامٌ وأَبُو عَبْدِ مِدْرَهْ الخَصْمِ

وذُو الرُّمْحَينِ أَشْبَاكَ من القُوَّةِ والحَزْمِ

فَهذَانِ يَذُودَانِ وذَا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِي

وَإنْ أَحْلِفْ وبَيْتِ اللّهِ لا أَحْلِفْ عَلَى إثْمِ

لَمَا إنْ إخْوَةٌ بَيْنَ دُ ... رُوبِ الرُّومِ والرَّدْمِ

بِأَزْكَى مِنْ بَنِي رَيْ ... طَةَ أَوْ أَوْزَنَ في حِلْمِ

هُمُ يَوْمَ عُكَاظٍ ... مَنَعُوا النَّاسَ من الهَزْمِ

وقال: كان الفزاري ينشدها: هشاماً وأبا عبد مناف أي ولدت. وأبو عبد مناف: هاشم بن المغيرة. وذو الرمحين: أبو ربيعة بن المغيرة، أبو: عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة.

ثم أسلم ابن الزبعري، ومدح النبي صلى الله عليه واعتذر إليه فأحسن، فقال:

يَا رَسُولَ المَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ في سَنَنِ الغَ ... يِّ ومَنْ مَال مَيْلَه مَثْبُورُ

آمَنَ اللَّحْمُ والعِظَامُ بما قُلْ ... تَ فنَفْسِي الفِدَى وأَنْتَ النَّذِيرُ

وقال أيضا:

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلابِلٌ وهُمُومُ ... واللَّيلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ

مِمَّا أَتاني أنّ أَحْمَدَ لامَنِي ... فِيه فَبِتُّ كأَنَّنِي مَحْمُومُ

يَا خَيْرَ من حَمَلَتْ على أَوْصَالِهَا ... عَيْرَانَةٌ شُرُحُ اليَدَينِ رَسُومُ

إِنِّي لمُعْتَذِرٌ إِليكَ مِنَ الَّذي ... أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا في الضَّلالِ أَهِيمُ

أَيَّامَ تأمُرُني بِأَغْوَى خُطَّةٍ ... سَهْمٌ وتأمُرُني بها مَخْزُومُ

فاُغفِرْ فِدىً لك وَالِدايَ كِلاَهُما ... ذَنْبي فإنَّك رَاحِمٌ مَرْحُومُ

وعَلَيكَ من أَثَرِ المَلِيكِ عَلامَةٌ ... نُورٌ أَضَاءَ وخَاتَمٌ مَخْتُومُ

مَضَتِ العَدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا ... وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وحُلُومُ

وحدثني ابن جعدبة قال: قدم ضرار بن الخطاب الفهري وعبد الله بن الزبعري المدينة أيام عمر بن الخطاب، فأتيا أبا أحمد بن جحش الأسدي – وكان مكفوفاً، وكان مألفاً يجتمع إليه ويتحدث عنده، ويقول الشعر – فقالا له: أتيناك لترسل إلى حسان بن ثابت فنناشده ونذاكره، فإنه كان يقول في الإسلام ويقول في الكفر.

فأرسل إليه فجاء، فقال: يا أبا الوليد! أخواك تطربا إليك! ابن الزبعري وضرار، يذاكرنك ويناشدانك.

قال: نعم، إن شئتما بدأت، وإن شئتما فأبديا! قالا: نبدأ. فأنشداه، حتى إذا صار كالمرجل يفور، قعدا على رواحلهما. فخرج حسان حتى تلقى عمر بن الخطاب، وتمثل ببيت ذكره ابن جعدبة لا أذكره، فقال عمر: وما ذاك؟ فأخبره خبرهما، قال: لا جرم، لا يفوتانك. فأرسل في إثرهما فردا. وقال لحسان: أنشدهما. فأنشد حاجته، قال: أكتفيت؟ قال: نعم قال: شأنكما الآن، إن شئتما فارحلا،وإن شئتما

فأقيما.

وكان أبو طالب شاعرا جيد الكلام، أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِه ... ربيعُ اليَتَامَى عَصْمَةٌ للأَرَامِلِ

وقد زيد فيها وطولت. ورأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مئة سنة: وقد علمت أن قد زاد الناس فيها، ولا أدري أين منتهاها. وسألني الأصمعي عنها، فقلت صحيحة جيدة! قال: أتدري أين منتهاها؟ قلت: لا! وأشعار قريش أشعار فيها لين، فتشكل بعض الإشكال.

وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر. والحاصل من شعره قليل، ومما صح عنه قوله:

وَلَوْلا الُحبْشُ لَمْ تَلْبَسْ رِجَالٌ ... ثِيَابَ أَعِزَّةٍ حَتّى يَمُوتُوا

وقال قوم: ولولا الحمس وليس هذا بشئ، إنما هي الحبش يعني أنهم أخذوا ثيابهم ومتاعهم، وذاك حين جاؤوا يريدون هدم البيت، فرماهم الله، وكانت أم أيمن منهم، غنمتها قريش وهي أم أسامة بن زيد.

وهذه الأبيات للزبير بن عبد المطلب.

وقلت لخلف: من يقول؟:

إذا كُنْتَ في حَاجَةٍ مُرْسِلاً ... فَأَرْسِلْ حَكِيماً ولا تُوصِهِ

قال: يقال للزبير بن عبد المطلب. فقلت: فالخليل يقول: هذا خطأ في بناء القوافي حين يقول:

وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى ... فشَاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِهِ

لقوله: "ولا توصه" كان يقول: لا يتفق هذا. فقال خلف: أخطأ الخليل، نراها جائزة.

ولأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في الجاهلية، فسقط و لم يصل إلينا منه إلا القليل.

ولسنا نعد ما يروي ابن إسحاق ولا لغيره شعرا، ولأن لا يكون لهم شعر، أحسن من أن يكون ذاك لهم.

قال أبو سفيان:

لَعَمْرُكَ إِنَّي يَوْم أَحْمِلُ رَايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللَّات خَيْلَ مُحَمَّدِ

لكَالُمدْلِجِ الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُه ... فهذا أَوَانُ حِينَ أَهْدي وَأَهْتَدي

هَدَاني هَادٍ غَيْرُ نَفْسي وقَادَنْي ... إلى اللّه مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ

قال فبلغني أن رسول الله صلى عليه قال له: أنت طردتني كل مطرد؟! كأنه ينكرها، يردد ذلك.

وقال أبو سفيان في يوم أحد يرد على حسان بن ثابت – وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه أصابوا

في عقب بدر عيرا لقريش فيها فضة، فكانوا تنكبوا بعد طريق الشام، وأخذوا طريق العراق – فقال حسان:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَها ... جِلادٌ كأفواهِ المَخَاضِ الأوارِك

بِأَيْدِي رِجَالٍ هاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهُم ... وأَنْصَارِهِ حَقاً وأَيْدِي الملائِكِ

إِذَا سَلَكَتْ حَوْرَانَ من أَرضِ عَالجٍ ... فَقُولا لَها: إنَّ الطَّرِيقَ هُنَالِكِ

فلما كان يوم أحد، قال أبو سفيان بن الحارث يرد عليه:

شَقِيتُمْ بِهَا وغَيْرُكُم أَهْلُ ذِكْرِهَا ... فَوَارِسُ من أَبْنَاءِ فِهْرِ بن مَالِك

حَسِبْتُمْ جِلاد البِيضِ حَوْلَ بُيُوتِكُمْ ... كأَخْذِكُمُ في العِيرِ أَرْطَالَ آنُكِ

فقال أبو سفيان بن حرب لأبي سفيان بن الحارث: يا ابن أخي، لم جعلتها آنك!! إن كانت لفضة بيضاء جيدة.

ويروي الناس لأبي سفيان بن الحارث، يقول لحسان:

أَبُوكَ أَبُو سَوْءٍ وخَالُكِ مِثْلُه ... ولَسْتَ بِخَيرٍ من أَبِيكَ وخَالِكا

وَإِنَّ أحقَّ النَّاس أنْ لا تَلُومَهُ ... عَلَى اللُّؤْمِ مَنْ أَلْفَى أَبَاهُ كَذَلِكا

فأخبرني أهل العلم من أهل المدينة: أن قدامه بن موسى ابن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان. وقريش ترويه في أشعارها، تريد بذلك الأنصار والرد على حسان.

وكان ضرار بن الخطاب بن مرداس، من محارب بن فهر، من ظواهر قريش، وكان لا يكون بالبطحاء إلا قليلا. وكان جمع من حلفاء قريش ومراق كنانة ناسا، وكان يأكل بهم ويغير ويسبي ويأخذ المال.

والحارث بن فهر بطحاوية.

وكان ضرار خرج في الجاهلية في ركب من قريش، فمروا ببلاد دوس، وهم يطالبون قريشا بدم أبي أزيهر – قتله هشام بن الوليد ابن المغيرة – فثاروا بهم وقتلوا فيهم. ودوس تدعى شيئا كثيرا من القتلى، وليس ذلك بمعلوم. فقاتلهم ضرار، ثم لجأ إلى امرأة منهم يقال لها: أم غيلان – مقينة تقين العرائس، يقال إنها مولاة لهم – فأدخلته بين درعها وجلدها، ودافعت عنه هي وبناتها، وصرخت ببنيها فجاءوا، فخرج معهم ضرار فجالد أشد الجلاد، فقالت أم غيلان: ما رأيت شدة أفكل أقرب إلى حسن جلاد منه. وقال ضرار:

جَزَى اللّهُ عَنَّا أمَّ غَيْلانَ صَالحاً ... ونِسوَتَها إذْهُنَّ شُعْثٌ عَوَاطِلُ

فَهُنَّ دفَعْنَ الموتَ بَعْدَ اقْتِرابِه ... وقَدْ ظَهَرَتْ لِلثَّائرينَ مَقَاتِلُ

فَجَرَّدْتُ سَيْفي ثم قُمْتُ بَنصلِه وعَنْ أَيِّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسي أُقَاتِلُ

ولقي ضرار بن الخطاب يوم أحد عمر بن الخطاب في الجولة التي جالها المسلمون، وكان قد آلى يومئذ أن لا يقتل قرشيا، فضربه بعارضة سيفه، وقال: انج يا ابن الخطاب! فضرب الدهر ما ضرب، وولى عمر بن الخطاب، فسمعت أم غيلان بذكر ابن الخطاب فظنته ضرارا، فقدمت عليه فقال لها قوم: قدمت وهو غائب! فأتت عمر فأخبرته بالذي جاءت له، فأثابها.

وحدثني أبان الأعرج بحديثها، فقال: جاءت فلقيت ضرارا فقالت: قد عرفت بلائي ويدي، وقد وليت ما وليت. قال: ما أعرفني بذلك! ولست أنا بالذي تولى ما توهمت، ذاك عمر بن الخطاب، ولئن كان لك عندي يد وبلاء، إن لي عنده ليدا وبلاء – يعني بلاءه يوم أحد – فاذهبي بنا إليه. فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين! هذه أم غيلان، وقد عرفت ما كان من أمرها، سمعت بولايتك فظنتني الوالي، فأتتني تطلب النوال. قال: فتريد ماذا؟ قال: تعجل عطائي فأكافئها به. فأعطاها نصف عطائه، ونصف عطاء عمر.

وكان ضرار على بني محارب يوم الفجار.

وكان أبو عزة شاعرا، وكان مملقاً ذا عيال، فأسر يوم بدر كافرا، فقال: يا رسول الله، إني ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك. فقال: على أن لا تعين على! – يريد شعره – قال: نعم. فعاهده وأطلقه، فقال:

أَلا أَبْلِغَا عَنِّي النبَّي مُحَمَّداً بأَنَّك حَقٌ والمَلِيكَ حَمِيدُ
وأَنْتَ اُمْرُؤٌ تَدْعُو إلى الرُّشْدِ والتُّقَى عَلَيْكَ من اللّهِ الكَرِيم شَهِيدُ
وأنتَ امرُؤٌ بُوِّئْتَ فينا مَبَاءَةً لها دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وصُعُودُ
وإنّك مَنْ حَارَبْتَهُ لَمُحَارَبٌ شَقِيٌّ ومَنْ سَالَمْتَهُ لسَعِيُد
ولكنْ إذا ذُكِّرْتُ بَدْراً وأَهْلَها تَأَوَّبُ ما بي حسرةٌ وتَعُودُ

فلما كان يوم أحد، دعاه صفوان بن أمية بن خلف الجمحي – وهو سيدهم يومئذ – إلى الخروج، فقال: إن محمدا قد من على وعاهدته أن لا أعين عليه. فلم يزل به، وكان محتاجا، فأطعمه، والمحتاج يطمع. فخرج فسار في بني كنانة فحرضهم، فقال:

يَا بَني عَبْدِ مَنَاةَ الرُّزَّامْ أَنْتُمْ حُمَاةٌ وأَبُوكمْ حامْ
لا تَعِدُوني نَصرَكم بَعْدَ العَامْ لاَ تُسْلِمُوني لاَ يَحِلُّ إسْلامْ

أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام، قال، حدثني أبان بن عثمان – وهو قول ابن إسحاق – أن أبا عزة أسر يوم أحد، فقال: يا رسول الله من على! فقال النبي عليه السلام: لا يلسع المؤمن من جحر مرتين. وقال أبان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمدا مرتين! فقتله.

فذكرت ذلك لابن جعدبة فقال: ما أسر يوم أحد هو ولا غيره، ولقد كان المسلمون يومئذ في شغل عن الأسر، و لم ينكر قتله، وكان ينكر قتل النضر بن الحارث في يوم بدر صبرا، فقال: أصابته جراحة فارتث منها، وكان شديد العداوة، فقال: لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا ما دمت في أيديهم، فمات.

فأخبرت أبي– سلاما – بقول ابن جعدبة في أبي عزة فقال: قد قيل إن النبي صلى الله عليه لم يقتل أحد صبرا إلا عقبة بن أبي معيط يوم بدر.

قال ابن جعدبة: برص أبو عزة بعد ما أسن، وكانت قريش تكره الأبرص وتخالف العدوى، فكانوا لا يؤاكلونه ولا يشاربونه ولا يجالسونه، فكبر ذلك عليه، فقال: الموت خير من هذا! فأخذ حديدة وصعد إلى جبل حراء يريد قتل نفسه، فطعن بها في بطنه،فضعفت يده لما وجد مسها، فمارت الحديدة بين الصفاق والجلد، فسال ماء أصفر، وذهب ما كان به. فقال:

لا هُمَّ رَبَّ وَائِلٍ ونَهْدِ ... والتَّهَمَاتِ والجِبَالِ الجُرْدِ

ورَبَّ مَنْ يَرْمِي بَيَاضَ نَجْدِ ... أصبحْتُ عَبْداً لك وابنَ عَبْدِ

أبرأتَني من وَضَحٍ بِجِلْدِي ... من بَعْدِ ما طَعَنْتُ في مَعَدّي

المعد: موضع رجلي الراكب من الفرس وكان هبيرة بن أبي وهب شاعرا من رجال قريش المعدودين، وكان شديد العداوة لله ولرسوله، فأخمله الله ودحقه، وهو الذي يقول في يوم أحد:

قُدْنَا كِنَانةَ من أَكْنَافِ ذي يَمَنٍ ... عَرْضَ البِلاَد على ما كان يُزْجِيها

قَالَتْ كِنَانة: أَنَّي تَذْهَبُونَ بِنا؟ ... قُلْنَا :النَّخِيلَ! فأَمُّوها ومَا فِيهَا

وله شعر كثير وحديث.

شعراء الطائف

قال ابن سلام: وبالطائف شعر وليس بالكثير، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس الخزرج، أو قوم يغيرون ويغار عليهم. والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة، و لم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان. وأهل الطائف في طرف، ومع ذلك كان فيهم: أبو الصلت بن

أبي ربيعة.

وابنه أمية بن أبي الصلت، وهو أشعرهم.

وأبو محجن عمرة بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي.

وغيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف.

وكنانة بن عبد يا ليل.

وكان أبو الصلت يمدح أهل فارس حين قتلوا الحبشة، في كلمة قال فيها:

للّه درهم من عصبة خرجوا ... ما إن ترى لهم في الناس أمثالا

بيضا مرازبة غرا جحاجحة ... أسدا تربب في الغيضات أشبالا

لا يرمضون إذا حرت مغافرهم ... ولا ترى منهم في الطعن ميالا

من مثل كسرى وسابور الجنودلة ... أومثل وهرز يوم الجيش إذ صالا

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دار منك محلالا

واضطم بالمسك إذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم في برديك إسبالا

تلك المكارم لا تعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وكان أمية بن أبي الصلت كثير العجائب، يذكر في شعره خلق السموات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء، وكان قد شام أهل الكتاب.

أنا ابن سلام قال، فحدث سفيان وابن دأب: أن أمية مر بزيد بن عمرو بن نفيل، أخي عدي بن كعب، وكان قد طلب الدين في الجاهلية هو وورقة بن نوفل. فقال له أمية: يا باغي الخير، هل وجدت؟ قال: لا. قال: و لم أوت من طلب. قال: أبي علماء أهل الكتاب إلا أنه منا أو منكم أو من أهل فلسطين.

وناح أمية على قتلى بدر فقال:

ماذا ببدر فالعقن ... قل من مرازبة جحاجح

هلا بكيت على الكرا ... م بني الكرام أولي الممادح

وقال أمية:

وما يبقى على الحدثان غفر ... بشاهقة له أم رؤوم

تبيت الليل حانية عليه ... كما يخرمس الأرخ الأطوم

تصدى كلما طلعت لنشز ... وودت أنها منه عقيم

الغفر: ولد الوعل. والأرخ: ولد البقرة. ويخرمس: أي يتصمت. والأطوم: الضمام بين شقتيه.

ومدح أمية عبد الله بن جدعان التيمي، فقال:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك؟ إن شيمتك الحياء

كريم لا يغيره صباح عن الخلق الكريم ولا مساء

وأرضك كل مكرمة بنتها بنو تيم وأنت لهم سماء

قال ابن سلام: وأنشدنيها أبو بكر بن محمد بن واسع السلمي وأنشدنيها أيضا أبو بكر، وذكرها لخلف فعرفها.

وقال أمية:

عطاؤك زين لامرئ بذل وجهه بخير وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرئ بذل وجهه إليك كما بعض السؤال يشين

نا ابن سلام قال: وذكر عيسى بن عمر عن بعض أهل الطائف، عن أخت أمية بن أبي الصلت، قالت: إني لفي بيت فيه أمية نائم، إذا أقبل طائران أبيضان فسقطا على السقف، ففرح السقف فسقط أحدهما عليه، فشق بطنه وثبت الآخر مكانه. فقال الأعلى للأسفل: أوعى؟ قال: أقبل؟ قال: أبي – ويقال قال: زكا. قال: خسا – فرد عليه قبله وطار، والتأم السقف. قالت: فلما استيقظ قلت: له يا أخي! أحسست شيئا. قال: لا! وإني لأجد توصيبا، فما ذاك؟ فأخبرته. قال: يا أخية! أنا رجل أراد الله بي خيرا فلم أقبله. قالت: فلما مرض مرضته التي مات فيها، قالت: فإني عنده، إذ نظر إلى السماء وشق بصره ثم قال:

لبيكما لبيكما ها أناذا لديكما

لا ذو براءة فأعتذر، ولا ذو قوة فأنتصر. ثم أغمي عليه، ثم شق بصره ونظر، وقال:

لبيكما لبيكما هاأنا ذا لديكما

وقال: لا ذو عشيرة تحميني، ولا ذو مال يفديني. ثم أغمي عليه، فقلنا: قد أودى! ثم شق بصره ونظر إلى السماء فقال:

لبيكما لبيكما هاأنا ذا لديكما

بالنعم محفود، من الذنب مخضود. ثم أغمي عليه، ثم شق بصره وقال:

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما

ثم أغمي عليه، ثم أفاق فقال:

ليتني كنت قبل ما قد بد لي في قلال الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وإن تطاول دهرا قصره مرة إلى أن يزولا

ثم خفت فمات.

قال ابن سلام: وأبو محجن رجل شاعر شريف. وكان قد غلب عليه الشراب، فضرب فيه مرارا، ثم حبسه سعد بالقادسية في القصر معه، والناس يقتتلون، فجال المسلمون جولة وهو ينظر، فقال:

كفى حزنا أن تطرد الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت غناني الحديد وأغلقت مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة فقد تركوني واحدا لا أخاليا
أريني سلاحي لا أبا لك إنني أرى الحرب ما تزداد إلا تماديا

وكان مقيداً يومئذ عند زبراء، أم ولد سعد بن أبي وقاص، فقال لها: أطلقيني، فلك الله، لئن فتح الله على المسلمين وسلمت، لأرجعن حتى أضع رجلي في القيد. فأطلقته، وحملته على، فرس لسعد، فأخذ الرمح فخرج فقاتل، فحطم المشركين، وكان سبب الهزيمة. فقال سعد: لولا إن أبا محجن محبوس لقلت: الفارس أبو محجن! فلما فتح الله على المسلمين رجع إلى محبسه،فقال له سعد: لا ضربتك في الخمر أبدا. قال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها أبدا.

قال ابن سلام: ولغيلان بن سلمة شعر، وهو شريف. وكان قسم ماله كله بين ولده، وطلق نساءه. فقال له عمر: إن الشيطان قد نفث في روعك أنك ميت، ولا أراه إلا كذلك، لترجعن في مالك، ولتراجعن نساءك، أو لآمرن بقبرك أن يرجم كما يرجم قبر أبي رغال. ففعل.

شعراء البحرين

قال ابن سلام: وفي البحرين شعر كثير جيد وفصاحة، منهم: المثقف، وهو عائذ بن محصن بن ثعلبة بن واثلة بن عدي بن عوف بن دهن بن عذرة بن منبه بن نكرة – وهي القبيلة – ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس. وإنما سمي المثقف لبيت قاله:

رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

وقال أيضا:

ظعائن لا توفي بهن ظعائن ولا الثاقبات من لؤي بن غالب
ولا ثعلبيات حللن عباعبا لا أسرة القعقاع من رهط حاجب

وتميم تنشد:

ولا نهشليات أبوهن دارم ولا أسرة القعقاع من رهط حاجب

والمثقف العبدي هو الذي يقول:

أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألتك أن تبيني

ولا تعدي مواعد كاذبات تمر بها رياح الصيف دوني

فإني لو تخالفني شمالي عنادك ما وصلت بها يميني

إذا لقطعتها ولقلت: بيني! كذلك أجتوي من يجتويني

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبدا وديني؟

أكل الدهر حلا وارتحالا؟ أما يبقى علي ولايقيني!!

فأبقى باطلي والجد منها كدكان الدرابنة المطين

وهذه الأبيات بعض القصيدة، وإنما انتخبنا أجودها أبياتاً.

ومنهم: الممزق العبدي، واسمه: شأس بن نهار بن أسود، وإنما سمي الممزق ببيت قاله:

فإن كنت مأكولا فكن خيرا آكل وإلا فأدركني ولما أمزق

قال: وبلغني أن عثمان بن عفان بعث به إلى علي بن أبي طالب رحمة الله عليهما ورضي عنهما، حين بلغ منه وألح عليه.

ومنهم: المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيبان بن سود بن عذرة بن منبه بن نكرة. فضلته قصيدته التي تقول لها: "المنصفة" وأولها:

ألم تر أن جيرتنا استقلوا فنيتنا ونيتهم فريق

وقد اختلف في القائل:

هل للفتى من بنات الدهر من واقي؟ أم هل له من حمام الموت من راقي !

ورجلوني وما رجلت من شعث وألبسوني ثيابا غير أخلاق

ورفعوني وقالوا: أيما رجل! وأدرجوني كأني طي مخراق

وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح الترب أطباقي

خفض عليك ولا تولع بإشفاق فإنما مالنا للوارث الباقي

ولا أعرف باليمامة شاعراً مذكوراً.

شعراء يهود

وفي يهود المدينة وأكنافها شعر جيد، منهم: السموال بن عادياء، من أهل تيماء، وهو الذي كان امرؤ القيس استودعه سلاحه، فسار إليه الحارث بن أبي شمر الغساني فطلبه، فأغلق الحصن دونه. فأخذ ابنا له خارجا من القصر، وقال: إما أن تؤدى إلى السلاح، وإما أن أقتله. قال: أقتله، فلن أؤديها. ووفى فضرب به الأعشى المثل، فقال:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدار
إذا سامه خطتي خسف فقال له: ... قل ما تشاء فإني سامع حار
فقال :ثكل وغدر أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له: ... اقتل أسيرك إني مانع جاري

والسموأل بن عادياء يقول في كلمة له طويلة:

إن حلمي إذا تغيب عني ... فاعلمي أنني عظيما رزيت
ضيق الصدر بالخيانة لا ين ... قض فقري أمانتي ما حييت
كم فظيع سمعته فتصامم ... ت وغي تركته فكفيت
ليت شعري! وأشعرن إذا ما ... قربوها منشورة فقريت!
ألى الفضل أم على إذا حوس ... بت؟ إني على الحساب مقيت
ميت دهر قد كنت ثم حييت ... وحياتب رهن بأن سأموت

ومنهم الربيع بن أبي الحقيق، من بني النضير، وهو الذي يقول:

سائل بنا خابر أكفائنا ... والعلم قديلفى لدى السائل
لسنا إذا جارت دواعي الهوى ... واستمع المنصت للقائل
واعتلج القوم بألبابهم ... بقابل الجور ولا الفاعل
إنا إذا نحكم في ديننا ... نرضى بحكم العادل الفاصل

لا نجعل الباطل حقا ولا نلط دون الحق بالباطل

نخاف أن نسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل

ويروى: فنحمل الذم مع الحامل وكعب بن الأشرف، وهو من طيء، وأمه من بني النضير. وكان في أخواله سيدا، وبكى قتلى بدر، وشبب بنساء رسول الله صلى الله عليه ونساء المسلمين فأمر رسول الله صلى الله عليه محمد بن مسلمة ورهطا معه من الأنصار بقتله، فقتلوه. وهو يقول في كلمة:

رب خال لي لو أبصرته سبط المشية أباء أنف

لين الجانب في أقربه وعلى الأعداء سم كالذعف

ولنا بئر رواء جمة من يردها بإناء يغترف

ونخيل في تلاع جمة تخرج التمر كأمثال الأكف

وصرير في محال خلته آخر الليل أهازيج بدف

وشريح بن عمران، الذي يقول في كلمته:

آخ الكرام إن استطع ت إلى إخائهم سبيلا

واشرب بكأسهم وإن شربوا بها السم الثميلا

أأسيد إن مال ملك ت فسر به سيرا جميلا

أأسيد إن المال لا يبكي إذا فقد الخليلا

إن الكريم إذا تؤا خيه وجدت له فضولا

وسعية بن العريض، القائل في كلمة له:

بل ليت شعري حين أندب هالكا ماذا يؤبنني به أنواحي؟

أيقلن :لا تبعد فربت كربة فرجتها بيسارة وسماح

ومغيرة شعواء يخشى درؤها يوما رددت سلاحها بسلاح

ولرب مشعلة يشب وقودها أطفأت حد رماحها برماح

وكتيبة أدنيتها لكتيبة ومضاعن صبحت شر صباح

وإذا عمدت لصخرة أسهلتها أدعو بأفلح مرة ورباح

لا تبعدن فكل حي هالك لا بد من تلف فبن بفلاح

إن امرأ أمن الحوادث جاهلا ورجا الخلود كضارب بقداح

ولقد أخذت الحق غير مخاصم ولقد دفعت الضيم غير ملاح

وأبو القيس بن رفاعة، وهو يقول في قصيدته:

إذا ذكرت أمامة فرط حول ولو بعدت محلتها غريت

أكلفها ولو بعدت نواها كأني من تذكرها حميت

طليح لا يؤوب إلى جسمي كأني سم عاضهة سقيت

وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيت

وسيفي صارم لا عيب فيه ويمنعني من الرهق النبيت

متى ما يأت يومي لا تجدني بمالي حين أتركه شقيت

ألين لهم وأفديهم بنفسي مقارشة الرماح إذا لقيت

وأرهن في الحوادث كف بكري لجاري في العظيمة إن دهيت

أراه ما أقام على حقا شريكي في بلادي ما بقيت

وأبو الذيال، يقول في كلمة أولها:

هل تعرف الدار خف ساكنها بالحجر فالمستوى إلى الثمد؟

دار لبهنانة خدلجة تبسم عن مثل بارد البرد

أثت فطالت حتى إذا اعتدلت ما إن يرى الناظرون من أود

فيها فأما نقا فأسفلها والجيد منها لظبية الجرد

لا الدهر فان ولا مواعدها تأتي فليت القتول لم تعد

وعدا محاصيله إلى خلف ذاك طلاب التضليل والنكد !

هيفاء يلتذها معانقها بعد علال الحديث والنجد

تمشي إلى نحو بيت جارتها واضعة كفها على الكبد

نعم شعار الفتى إذا برد اللي ل وآضت كواكب الأسد

كأن ماء الغمام خالطة راح صفا بعد هارد الزبد

والمسك والزنجبيل على به أنيابها بعد غفلة الرصد

دع ذا ولكن بل رب عاذلة لو علمت ما أريد لم تعد

هبت بليل تلوم في شرب ال خمر وذ كر الكواعب الخرد

فقلت :مهلا فما عليك أن أم سيت غويا غيي ولا رشدي

إني لمستيقن لئن لم أمت مل يوم إني إذن رهين غد

هل نحن إلا كمن تقدمنا منا؟ ومن تم ظمؤه يرد

نحن كمن قد مضى وما إن أرى شحا يزيد الحريص من عدد

فلا تلومنني على خلقي واقني حياء الكريم واقتصدي

ودرهم بن زيد، يقول:

هجرت الرباب وجاراتها وهمك بالشوق قد يطرح

يمانية نازح دارها تقيم بغمدان لا تبرح

لعمر أبيك الذي لا أهي ن إني لأعطي وأستفلح

وأدلج بالقوم شطر الملو ك حتى إذا خفق المجدح

أمرت صحابي لكي ينزلوا فناموا قليلا وقد أصبحوا

أجدوا سراعا فأفضى بهم سراب بدؤية أفيح

طبقات الشعراء الإسلاميين

عشر طبقات: كل طبقة أربعة رهط متكافئين معتدلين.

الطبقة الأولى

جرير بن عطية بن الخطفي، واسم الخطفي حذيفة، بن بدر ابن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع.خطفه بيت قاله:

يرفعن لليل إذا ما أسدفا أعناق جنان وهاما رجفا

وعنقاً، بعد الرسيم، خيطفا

والفرزدق، واسمه همام، بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. وإنما سمي الفرزدق لأنه شبه وجهه بالخبزة، وهي فرزدقة .

والأخطل، واسمه غياث، بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن السيحان بن عمرو بن فدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. خطله قول كعب بن جعيل له: إنك لأخطل يا غلام! وراعي الإبل، واسمه عبيد بن حصين بن جندل بن قطن ابن ظويلم بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير. سمي راعي الإبل، لكثرة صفته للإبل وحسن نعته لها، فقالوا: ما هذا إلا راعي الإبل! فلزمته .

فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره. وعامة الاختلاف، أو كله،في الثلاثة ومن خالف في الراعي قليل، كأنه آخرهم عند العامة .

سمعت يونس بن حبيب يقول: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدق، فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما.

وكان يونس يقدم الفرزدق بغير إفراط، وكان المفضل الراوية يقدمه تقدمة شديدة.

وأخبرني أبو قيس العنبري ، عن عكرمة بن جرير: أن جريراً قال: نبعة الشعر الفرزدق.

وقال ابن دأب، وسئل عنهما فقال: الفرزدق أشعر عامة، وجرير أشعر خاصة .

وكان الأشهب بن رميلة يفاخر الفرزدق، فكان الفرزدق يذكر فقيماً مع بني نهشل، فاستعدوا عليه زياداً، فهرب من زياد.

فحدثني جابر بن جندل الفزاري قال: أتى الفرزدق عيسى بن خصيلة السلمي فقال: يا أبا خصيلة، إن هذا الرجل قد أخافني، وقد لفظني جميع من كنت أرجو . قال: فمرحباً يا أبا فراس. فكان عنده ليالي، ثم قال له: إني أريد أن أخرج إلى الشام. فقال له: إن قمت ففي الرحب والسعة، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها وألف درهم . فركب الناقة وخرج من عنده ليلاً وأرسل معه عيس بن خصيلة من أجازه من البيوت ، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث، فقال يمدحه:

تَخَطَّى بِيَ البَهْزِيُّ حُمْلاَنَ مَنْ أَبَى ... من النَّاسِ،والجَاني تُخافُ جَرَائِمُهْ

فَتَى الجُودِ عِيسَى والمكارمِ والعُلَى، ... إذا المالُ لم تَرْفَعْ بَخيلاً كرَائِمُهْ

ومَنْ كانَ يا عِيسَى يُؤَنِّبُ ضَيْفَهُ، ... فَضَيْفُكَ مَحْبُورٌ هَنِيٌّ مَطَاعِمُهْ

وقَالَ :تَعَلَّمْ أَنَّها أَرْحَبِيَّةٌ، ... وأنّ لَها اللَّيلَ الَّدي أَنْتَ جَاشِمُهْ

فَأَصْبَحْتُ، والمُلْقَى وَرَائي وحَنْبَلٌ، ومَا صَدَرَتْ حتّى عَلاَ النَّجْمَ عَاتِمُهْ
تَزَاوَرُ عَن أَهْلِ الحُفَيْرِ، كأَنَّها ظَلِيمٌ تَبَارَي جُنْحَ ليلٍ نَعائِمُهْ
رَأَتْ بَيْنَ عَيْنَيْها رُوَيَّةَ، وانْجَلى لَهَا الصُّبْحُ عن صَعْلٍ أَسِيلٍ مَخَاطِمُهْ

وقال أيضاً فيه:

تَدَارَكَنِي أَسْبَابُ عِيسَى من الرَّدَى، ومن يَكُ مَوْلاهُ فليْسَ بِوَاحِدِ
نَمَتْهُ النَّواصِي من سُلَيْمٍ إلى العُلَى، وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ بين نَصْرٍ وخالِدِ
سَأُثْنِي بما أَوْلَيْتَنِي وأَرُبُّه، إِذَا القَوْمُ عَدُّوا فَضْلَهُمْ في المَشَاهِدِ

فلما بلغ زياداً شخوصه، أتبعه على بن زهدم الفقيمي فلم يلحقه، فقال الفرزدق:

فَإِنَّكَ لوْ لاَقَيْتَنِي يَا ابْنَ زَهْدَمٍ لأُبْتَ شَعُاعِيّاً على شَرٍّ تِمْثَالِ

فأتى بكر بن وائل فأجاروه، فأمن ، فقال:

وقَدْ مَيَّلَتْ بَيْنَ المَسِيرِ، فَلَمْ تَجِدْ لِعَورْتِها كالحَيِّ بَكْرِ بن وَائِلِ
وسَارتْ إلى الأَحْقَافِ خَمْساً، فَأَصْبَحَتْ مَكَانَ الثُّرَيَّا مِنْ يَدِ المُتَنَاوِلِ

والحصن: ثعلبة بن عكابة، أبو شيبان وقيس وذهل وتيم .

فأتى من وجهه ذلك سعيد بن العاص بالمدينة، وهو واليها ، فمدحه وعنده الحطيئة وكعب بن جعيل، فآمنه سعيد، فبلغه أن زياداً قال: لو أتاني لآمنته وأعطيته. فقال في كلمة:

دَعَانِي زِيادٌ للعَطاء، ولَمْ أَكُنْ لآتِيَهُ، ما سَاقَ ذُو حَسَبٍ وَفْرَا
وعِنْدَ زِيادٍ، لو يُرِيدُ عَطاءَهُم، رِجالٌ كثيرٌ قد يَرَى بِهِمُ فَقْرَا
قُعُودٌ لَدَى الأَبْوَابِ: طَالِبُ حَاجَةٍ عَوانٍ من الحاجَاتِ، أو حاجةِ بِكْرَا
فَلَمَّا خَشِينَا أَن يكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرَا
نَمَيْتُ إلى حَرْفٍ أَضَرَّ بِنَيِّه اسُرِى البِيدِ واسْتَعْراضُهَا البَلَدَ القَفْرَا
يَؤُمُّ بها الآفَاقَ مَنْ لاَ يَرَى لَهُ لَدَى ابنِ أبي سُفْيان جَاهاً ولا عُذْرَا

فلما اطمأن عند سعيد قال:

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي زِياداً مُغَلْغَلَةً يَخُبُّ بها بَرِيدُ
بِأَنِّي قد فَرَرْتُ إِلَى سَعِيدٍ ولا يُسْطَاعُ ما يَحْوِي سَعِيدُ
فَرَرْتُ إليه مِن لَيْثٍ هِزَبْرٍ تَفَادَى مِنْ فَرِيسَتِه الأُسُودُ

فإن شئْتُ انتَسَبْتُ إلى النَّصَارَى وناسَبَني وناسَبْتُ اليَهودُ
وإن شئْتُ انتَسَبْتُ إلى فُقَيْمٍ وناسَبَني وناسَبْتُ القُرودُ
وأَبْغَضُهُم إليَّ بَنُو فُقَيْمٍ ولكنْ سَوْفَ أَفْعَلُ ما تَكِيدُ

وكان يدخل على القيان بالمدينة، فقال في قينة :

إذَا شِئْتُ غَنَّانِي من العَاجِ قَاصِفٌ على مِعْصَمٍ رَيَّانَ لَمْ يَتَخَدَّدِ
لِبَيْضَاءَ منْ أَهْلِ المدِينةِ، لم تَعِشْ ببُؤْسٍ، ولَم تَتْبَع حَمُولَةَ مُجْحِدِ
نَعِمْتُ بها لَيْلَ التِّمامِ، فلم يَكَد يُرَوِّي اسْتِقَائي هَامَةَ الحائِمِ الصَّدِى
وَقامتْ تُخَشِّيني زِياداً، وَأَجْفَلَتْ حَوَاليَّ في بُرْدٍ يَمَانٍ ومُجْسَدِ
فقلْتُ :دَعِيني منْ زِيادٍ فإنَّني أَرى الموْتَ وقَّافاً عَلَى كُلِّ مَرْصَدِ

وقال:

أَلَمْ يَأْتِه أنِّي تَخَلَّلُ ناقَتِي بنَعْمَانَ أَطْرافَ الأَرَاكِ النَّواعِمِ
مُقيَّدَةً تَرْعَى الأَرَاكَ، ورَحْلُها بمكَّةَ مُلْقىً عَائِذٌ بالمَحارِمِ
فَدَعْني أَكُنْ، ما كُنْتُ حَيًّا، حَمَامَةً من القَاطِنَاتِ البَيْتَ غَيرِ الرَّوَائِمِ

فأنشدها زياد فرق له، وقال عند ذلك: لو أتاني لآمنته.

وفي ذلك يقول البكري :

لَيالِي تَمنَّى أَنْ تكُونَ حَمامةً بمكَّةَ يُؤْوِيكَ السِّتَارُ المُحَرَّمُ

فلما هلك زياد، رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو ابن عمرو بن عدس الدارمي ، فقال:

رَأَيْتُ زِيادَةَ الإسْلامِ وَلَّتْ جِهَراً حين وَدَّعَها زِيادُ

فقال الفرزدق:

أَمسْكِين، أَبْكى الله عَيْنَكَ، إنَّما جَرَى في ضَلَالٍ دَمْعُها فَتحدَّرَا
بَكَيْتَ امْرَأً فَظّاً غَليظاً مُبَغَّضاً ككِسْرَى، عَلَى عِدَّائِه، أوْ كقَيْصَرَا
أَقُولُ لَهُ، لمَّا أَتاني نَعِيُّهُ: بِهِ لا بِظَبْيٍ بالصَّرَائِمِ أَعْفَرَا

فأجابه به مسكين فقال، وهي أبيات:

أَلا أَيُّها المَرْءُ الَّذي لَسْتُ قائماً ولا قَاعِداً في القَوْمِ إلاَّ انبَرَى لِيَا

فَجِئْنِي بِعَمٍّ مِثْلِ عَمِّيَ، أوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبِي، أو خَالِ صِدْقٍ كَخَالِيَا
كَعَمْرِو بْنِ عمرٍو، أَوْ زُرَارَةَ ذِي النَّدى أَوِ البِشْرِ، من كُلٍّ فَرَعْتُ الرَّوابِيَا

البشر: يعني خاله من النمر بن قاسط.

وقد مدحه مسكين فقال:

شُرَيْحٌ فارسُ النُّعْمانِ عَمِّي، وخالِي البِشْرُ بِشْرُ بَنِي هِلاَلِ
وقاتِلُ خَالِهِ بِأَبِيهِ مِنّا: سَمَاعَةُ، لم يَبِعْ حَسَباً بمَالِ

حدثني الحكم بن محمد، قال: كان تميم بن زيد، رجلاً من قضاعة، من بلقين، فكان على الهند، وفي جيشه رجل يقال له: خنيس أو حبيش، طالت غيبته على أهله، فأتت أمه قبر غالب بكاظمة، فأقامت عليه حتى علم الفرزدق مكانها. ثم أتته فطلبت إليه، فكتب إلى تميم بن زيد:

فَهَبْ لِي حُبَيْشاً، وَاتَّخِذْ فيهِ مِنَّةً لِغُصَّةِ أُمّ ما يَسُوغُ شَرَابُها
أَتَتْنِي فَعاذَتْ، يا تَمِيمُ، بِغَلِبٍ وبالحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهِ تُرَابُها
تَمِيمَ بن زَيْد، لا تكُونَنَّ حَاجَتِي بظَهْرٍ، فلاَيَخْفَى عَلَيْكَ جَوَابُها

فلما أتاه كتابه لم يدر: أخنيس أم حبيش، وفي جيشه عدة: خنيس وحبيش، فأطلقهم جميعاً له.

أبو يحيى الضبي قال: ضرب مكاتب لبني منقر قبة على قبر غالب، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا على قبر غالب بناء، ثم قدم عليه وهو بالمربد فقال :

بقَبْرِ ابنِ لَيْلَى عُذْتُ بَعْدَمَا خَشِيتُ الرَّدَى، أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ
فأَخْبرَنِي قَبْرُ ابنِ لَيْلَى فَقالَ لِي: فكاكُكَ أَنْ تَلْقَى الفَرَزدقَ بالمِصْرِ

فقال الفرزدق: صدق أبي، أنخ أنخ. ثم طاف له في الناس، فجمع له مكاتبته وفضلا .

وكان ذو الأهدام – وهو نفيع، أحد بني جعفر بن كلاب – توثب على الفرزدق فهجاه، فجاءت أمه إلى قبر غالب فعاذت به، فقال الفرزدق:

نُبِّئْتُ ذَا الأَهْدَامِ يَعْوِي، ودُونَهُ مِنَ الشَّام زَرَّاعاتُها وقُصُورُها
عَلَى حِينِ لم أَتْرُكْ مِنَ الأَرْضِ حَيَّةً ولاَ نابِحاً إلاّ اسْتَسَرَّ عَقُورُهَا

كِلاَبٌ نبَحْنَ اللَّيْثَ منْ كلِّ جانبٍ فعادَ عُوَاءِ نَبحٍ هَرِيرُهَا
عَجُوزٌ تُصَلِّي الخَمْسَ عَاذَتْ بغَالبٍ فَلاَ وَالّذِي عَاذَتْ بِهِ لا أُضِيرُهَا

لَئِنْ نافِعٌ لم يَرْعَ أرْحَامَ أُمِّه ... وكانتْ كدَلْوٍ لا يَزالُ يُعِيرُهَا
لَبِئْسَ دَمُ المَوْلُود مَسَّ ثِيَابَها ... عَشِيَّةَ نَادَي بِالغُلاَمِ بَشِيرُهَا
وإِنِّي عَلَى إِشْفَاقِها من مَخافتي، ... وَإِنْ عَقَّها بِي نَافِعٌ، لمُجِيرُهَا
ولَو أنَّ أُمَّ النَّاسِ حَوَّاءَ حَارَبتْ ... تَمِيمَ بن مُرٍ، لم تَجِدْ من يُجِيرُهَا

ويقال: إن هذا البيت ليس فيها.

قال: قدم الفرزدق من اليمامة، ودليله رجل من بلعنبر، فضل به، فقال:

وما نَحنُ، جَارتْ صُدُورُ رِكابِنا، ... بأَوَّلِ مَنْ غرّتْ دِلالةُ عاصِمِ
أرادَ طَرِيقَ العُنْصلَيْنِ، فَياسَرَتْ ... بِهِ العِيسُ في وَادِي الصُّوَى المُتَشَائِمِ
وكيفَ يَضِلُّ العَنْبَرِيُّ بِبَلْدَةٍ ... بها قُطِّعَتْ عَنْهُ سُيُورُ التَّمائمِ
وجَاءَ بجُلْمُودٍ لَهُ مثْلِ رَأْسِهِ ... لِيَشْرَبَ ماءَ القَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ
فلَمَّاتَصَافَنَّا الإِدَاوَةَ أجْهَشَتْ ... إِلَيَّ غُضُونُ العَنْبَرِيِّ الجُرَاضِمِ
فَآثَرْتُه، لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِي بِهِ ... مِن الشَّرِّ أخْشَى لاَحِقَاتِ المَلاَوِمِ
عَلَى سَاعةٍ، لَوْ أنّ في القومِ حَاتماً ... عَلَى جُودِه، ضَنَّتْ به نَفْسُ حَاتِمِ

فأجابه عاصم:

وكَيْفَ يَضِلُّ الحَنْظَلِيُّ ببَلْدَةٍ ... بهَا وَلَدَتْهُ أُمُّه غيرَ قائمِ
وزَوْرَاءَ ناءٍ ماؤُها من فَلاَتِها ... كَفَيْنَا سُرَاها القَيْنُ والقَيْنُ نائمُ
سرَيْنَا بِهِ لَيْلَ التَّمامِ، فَصَبَّحَتْ ... بِهِ العِيسُ مَرْوِيً من جِمَامِ الخَضَارِمِ

وأنشد يونس للفرزدق حين طلق النوار:

نَدِمْتُ نَدَامةَ الكُسَعِيِّ لَمَّا ... مَضَتْ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ
وَكانَتْ جَنَّةً فَخَرجْتُ مِنْهَا، ... كآدَمَ حِينَ أَخْرَجهُ الضِّرَارُ
وَكُنْتُ كَفَاقِئٍ عَيْنَيْه عَمْداً ... فأَصْبَحَ مَا يُضِئُ به النَّهَارُ
ولَوْ ضَنَّتْ يَدَايَ بهَا ونَفْسِي ... لَكَانَ عَلَيَّ لِلقَدَرِ الخِيَارُ
ومَا فَارَقْتُها شِبَعاً، ولكِنْ ... رأيْتُ الدَّهرَ يَأْخُذُ ما يُعارُ

وكان خالد بن عبد الله القسري حبس الكميت بن زيد، أبا المستهل، الأسدي، فحدثني سلام أبو المنذر القاري: أن خالداً حبس الكميت بن زيد، وكان قال لخالد:

فَإنّي وتَمْدَاحِي يَزيدَ وخالِداً ضَلَالاً، لَكالحادِي ولَيْسَ لَهُ إبِلُ

فكانت أم المستهل تدخل عليه، حتى عرف أهل السجن وبوابوه ثيابها وهيئتها. فدخلت عند غفلة منهم، فلبس ثيابها وتهيأ بهيئتها، ثم خرج، فقال:

خَرَجْتُ خُروجَ القِدْحِ قِدْحِ ابن مُقْبِلِ عَلَى الرَّغْمِ منْ تِلك النَّوابِح والمُشْلِى

علَيَّ ثِيابُ الغَانياتِ، وتَحْتَها عَزِيمةُ أَمْرٍ أَشْبَهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ

ولذلك قالت القيسية لهشام، حين كلموه في أمر الفرزدق حين حبسه خالد: كلما كان في مضر ناب أو شاعر حبسه. يعنون الكميت والفرزدق.

وأخبرنا يونس، قال: لما قدم المهدي، أتاه ابن الكميت مدلاً بطول مدح الكميت بني هاشم، فقال له المهدي: أليس أبوك الذي يقول:

فالآنَ صِرْتُ إلَى أُمَيَّةَ والأُمُورُ لها مَصَائِرْ

اذهب فليس لك عندنا شيء.

وقال الفرزدق يعاتب قومه:

جَزَى اللهَ عَنِّي في الخُطُوب مُجَاشعاً جَزَاءَ كَرِيمٍ عَالِمٍ كَيْفَ يَصْنَعُ

يُرِقُّونَ عَظْمِي ما اسْتَطَعُوا، وإنَّني أَشِيدُ لَهُمْ بُنْيَانَ مَجْدٍ وأَرْفَعُ

وإنِّي لَتَنْهَانِي عنِ الجَهْلِ فيهمُ، إذا كِدْتُ، خَلاَّتٌ من الحِلْمِ أَرْبَعُ

حَيَاءٌ، وبُقْيَا، وانتظارٌ، وأَنَّنِي كريمٌ، فأُعْطِي ما أَشَاءُ وَأَمْنَعُ

فإنْ أعفُ أَسْتَبْقِي ذُنُوبَ مُجاشعٍ فإنَّ العَصَا كانَتْ لِذي الحِلْمِ تُقْرَعُ

أخبرني أبو يحيى الضبي قال: لما هرب الفرزدق من زياد حين استعدى عليه بنو نهشل في هجائه إياهم، أتى سعيد بن العاص – وهو على المدينة أيام معاوية – فاستجاره فأجاره، وعنده الحطيئة وكعب بن جعيل التغلبي، فأنشده الفرزدق مدحته إياه التي يقول فيها: تَرَى الغُرَّ الجَحَاجِحَ من قُرَيْشٍ=إذَا ما الأَمْرُ فِي الحَدَثَانِ عَالاَ

بَنِي عَمِّ النَّبِي، ورَهْطَ عمرٍو، وعُثْمَانَ الأُلَى غَلَبُوا فَعالاَ

قِياماً يَنْظُرُونَ إلى سَعيدٍ كأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلاَلاَ

فقال الحطيئة: هذا والله هو الشعر، لا ما تعلل به منذ اليوم أيها الأمير، فقال له كعب بن جعيل: فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك. قال: بل والله أفضله على نفسي وعلى غيري. يا غلام أدركت من قبلك، وسبقت من بعدك. ثم قال له الحطيئة: يا غلام لئن بقيت لتبرزن علينا. يا غلام، أنجدت أمك؟ قال: لا، بل أبي. يريد الحطيئة: إن كانت أمك أنجدت فإني أصبتها فأشبهتني. فألفاه لقن الجواب .

فنعاه عليه الطرماح حين هجاه ، فقال:

فَاسأَلْ قُفَيْرَةَ بالمَرُّوتِ: هَلْ شَهِدَت ... سَوْطَ الحُطَيْئَةِ بَيْنَ السَّجْفِ والنَّضَدِ؟

أَمْ كان في غَالِبٍ شِعْرٌ، فيُشْبِهُهُ ... شِعْرُ ابْنِها، فيُقالَ: الشِّعْرُ من صَدَدِ؟

جَاءَتْ به نُطْفَةً من شَرِّ ما اتَّسَقَتْ ... مِنْهُ، إلى شَرِّ وَادٍ شُقَّ في بَلَدِ

قال: وأول شعر قاله الفرزدق، أن بني فقيم خرجوا يطلبون دماً لهم في قوم، فصالحوا منه على دية، فقال حين رجعوا:

لَقَدْ آبَتْ وُفُدُ بني فُقَيْمٍ ... بآلَمِ ما تَؤُوبُ به الوُفُودُ

فشكوه إلى أبيه واستعدوه منه، فقال: هو أوغد من ذاك، ليته يقول شعراً فقال الفرزدق:

تَعذَّرْتُ من شَتْمِ العَشيرةِ مُؤْلِياً ... وَلا بُدَّ للمَظنونِ أَنْ يتَعَذَّرَا

فلما سمعه أبوه قال: أنت صاحب الأول وكان يرعى غنماً لأهله – يعني في صغره – فذهب الذئب منها بكبش، فقال:

تَلُومُ على أنْ صَبَّحَ الذِّئبُ ضَأْنَها ... فأَلْوَى بكَبْشٍ وَهْوَ في الرِّعْيِ رَاتِعُ

وقدْ مَرَّ حَوْلٌ بعد حولٍ وأشهُرٌ ... بِعَوْصٍ عَلَيهِ، وَهْوَ ظَمْآنُ جَائِعُ

فلَمَّا رَأى الإقْدامَ حَزْماً، وأنَّه ... أَخُو الموْتِ مَنْ سُدَّتْ عليهِ المَطَالِعُ

أَغارَ عَلَى خوْفٍ وصَادَفَ غِرَّةً ... فَلاقَى الَّتي كانتْ عَليها المَطَامِعُ

ومَا كُنْتُ مِضْيَاعاً، ولكنّ هِمَّتي ... سِوَى الرَّعْيِ مَفْطُوماً ومُذْأَنَا يافِعُ

أَبِيتُ أَسُومُ النَّفْسَ كلَّ عَظيمةٍ، ... إذَا وُطِّنَتْ للمُكْثِرِين المَضَاجِعُ

فكان ذلك أول ما علم به من شعره وكان راعي الإبل يفضله، وفي ذلك هجاه جرير.

حدثني أبو بكر محمد بن واسع، وعبد القاهر بن السري السلميان قالا: كان منا – من بني حرام بن سمال – شويعر هجا الفرزدق، فأخذناه فأتيناه به فقلنا، ها هو ذا بين يديك، فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، لا عدوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه. فخلى عنه وقال:

فمنْ يَكُ خائفاً لأَذَاةِ شِعْرِي فقد أَمِن الهِجَاءَ بنو حَرَامِ
هُمُ قَادُوا سَفِهَهُمُ، وخافُوا قَلائِدَ مثلَ أَطْوَاقِ الحمامِ

وحدثني عبد القاهر السلمي قال: مر الفرزدق بمجلس بني حرام، ومعنا عنبسة مولى عثمان بن عفان، وهو جد عبد الكريم ابن روح، فقال: ياأبا فراس، متى تذهب إلى الأخرة قال: وما حاجتك إلى ذلك يا أخي قال: أكتب معك إلى أبي قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك، أبوك في النار، أكتب إليه مع دبالويه واصطفانوس .

حدثني عمر بن السكن الصريمي قال: مر الفرزدق ببني ربيع، وهو على بغلة، فوقف عليهم وفيهم ابن محكان، شاعرهم، وقد كان قال: من الفرزدق؟ غضباً لبني منقر حين هجاهم الفرزدق، وكان قال:

سِوَى أنَّ أعْرافَ الكَوادِنِ مِنْقراً قَبِيلةُ سَوْءٍ بارَ في النَّاسِ سُوقُهَا
وأعْيَبُ مَا فِي المِنْقَرِيَّةِ أنَّها شَدِيدٌ ببَطْنِ الحَنْظَلِيِّ لُزُوقُهَا
رَأَتْ قَوْمَهَا سُوداً قِصَاراً، وأَبْصَرَتْ فَتىً حَنْظَلِيّاً، كالهِلالِ، يَرُوقُهَا

وقال الفرزدق يهجو ربيعاً:

كأَنَّ رُبَيْعاً مِنْ عَمَايَةِ مِنْقَرٍ أَتَانٌ دَعَاهَا، فاسْتَجَابَتْ، حِمَارُهَا
تُرَجِّي رُبَيْعٌ أَنْ يَجِئَ صِغَارُها بخَيْرٍ، وقَدْ أَعْيَى رُبَيْعاً كِبارُهَا

فلما قال البعيث لجرير:

تُرَجِّي كُلَيبٌ أن يَجِئَ حديثُهَا بخَيْرٍ، وقَد أعْيَى كُلَيْباً قَدِيمُهَا

قال الفرزدق:

إذَا مَا قلْتُ قَافِيةً شَرُوداً تَنَحَّلَهَا ابنُ حَمْرَاءِ العِجَانِ

فقال عمر بن سكن في حديثه: فقال له بنو ربيع: مرحباً بسيدنا وشاعرنا قال: أير البغل في حرم سيدكم ! يعني ابن محكان.

حدثني أبو الغراف قال: أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهلي، فثقل عليه الكثير، وخشيه في القليل، وعنده عمرو بن عفري الضبي، راوية الفرزدق، وقد كان جرير هجاه لروايته للفرزدق، فقال:

وَنَبِّئْتُ جَوَّاباً وسَكْناً يَسُبُّنِي وعَمْرَو بن عِفْرَى، لا سَلامٌ على عَمْرِو

فقال عمرو بن عفري لعبد الله بن مسلم، وهو الذي يلقب الفقير: لا يهولنك أمره، أنا أرضيه عنك! بدون ما كان هم له به، فأعطاه ثلاث مئة درهم، فقبلها ورضي. ثم بلغه صنيع ابن عفري فقال:

تَفَوَّقْتَ مالَ الباهِلِيِّ، كأنّما ... تَهِرُّ عَلَى المَالِ الَّذي أنْتَ كاسِبُهْ

فَلو كُنْتَ ضَبِّيّاً صَفَحْتُ، ولو سرَتْ ... عَلَى قَدَمِي حَيّاتُهُ وعقَارِبُهْ

ولَكنْ دِيَافِيٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ ... بِحَوْرَانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أَقَارِبُهْ

فقال له ابن عفري – وأتاه في نادي قومه –: أجهد جهدك، فهل هو إلا هذا؟ فو الله لا أدع لك مساءة إلا أتيتها، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبته، ولا تنهى عن شيء إلا ركبته. فقال: إنك لا تدوم! إنك ترجع! فأكد عليه فقال: فاشهدوا أني أهاه أن يفعل بأمه كذا وكذا.

حدثني شعيب بن صخر قال: تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي، من بلعدوية، مولاة لهم، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي فألفى الفرزدق عنده، فقال: يا أبا فراس، انهض فقال: إنه لم يدعني! فقال: إن ذبيان يؤتى وإن لم يدع. ثم قال: لا تخرج من عنده إلا بجائزة. فقام معه، فلما دخل على ذبيان قال:

كَم قال لِي ابنُ أبِي شَيْخٍ وقلتُ لَه: ... كيفَ السَّبيلُ إلى مَعْرُوفِ ذُبيْانِ؟

إنّ القُلُوصَ إذا أَلْقَتْ جَآجِئَها ... بِمِثْلِ بابِكَ لم تَرْحَلْ بِحِرمْانِ

قال: أجل يا أبا فراس، فادخل! فدخل فأعطاه ثلاث مئة درهم.

وحدثني أبو بكر المدني قال: قدم الفرزدق المدينة، فوافق بها موت طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري، وكان سيداً سخياً شريفاً، فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذل قوم! قالوا: وما ذاك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه من بينكم.

قال: وأتى مكة، فأتى عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، وهو سيد أهل مكة يومئذ، وليس عنده نقد حاضر، وهو يتوقع عطيته وعطية ولده. فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقداً، ولكن عروضاً إن شئت، فإن عندنا وصفاء فرهة، فإن شئت أخذتهم. قال: نعم فأرسل إليه بوصفاء من بنيه وبني أخيه، وقال: هم لك عندنا إلى أن تشخص. وجاءه العطاء فأخبره الخبر، وفداهم. فقال الفرزدق، ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان سيداً، يطوف بالبيت يتبختر:

تَمْشِي تَبَخْتَرُ حَوْلَ البَيْتِ مُنْتَحِياً ... لَوْ كُنْتَ عَمْرَو بنَ عبدِ الله لم تَزِدِ

وتزوج الفرزدق النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي، فادعت عليه طلاقاً ، ونازعته..... حتى قدمت على ابن الزبير في خلافته، وأتبعها، واتهم رجلاً من قومه يعينونها، فقال الفرزدق:

أطَاعَت بَنِي أُمِّ النُّسَيْرِ، فأصْبَحَتْ عَلَى قَتَبٍ يَعْلُو الفَلاَةَ دَلِيلُها

تَأَمَّلْ أمِيرَ المُؤْمِنينَ، فَإِنَّها مُوَلِّهَةٌ يُوهِي الحِجَارَةَ قِيلُها

فلجأت إلى أم هاشم بنت منظور بن زبان الفزاري،امرأة ابن الزبير، ولجأ الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير، وأمه تماضر بنت منظور، فكان حمزة إذا أصلح شيئاً من أمر الفرزدق، قلبت أم هاشم رأي عبد الله إلى النوار، فقال الفرزدق:

أَمَّا البَنُونَ فلمْ تُقْبَلْ شَهَادتُهُمْ، وشُفِّعَتْ بنتُ مَنْظورِ بنِ زَبَّانَا

لَيْسَ الشَّفِيعُ الذي يَأتِيكَ مُنَّزِر أَمِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يأتِيكَ عُرْيَانَا

أخبرني إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، عن أبيه قال، قال له ابن الزبير: ما حاجتك بها وقد كرهتك! كن لها أكره، وخل سبيلها، فخرج وهو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا ليثب عليها! فبلغ ذلك ابن الزبير، فخرج وقد استهل هلال ذي الحجة، ولبس ثياب الإحرام يريد البيت ليحرم، فألفى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها، حتى جعل رأسه بين ركبتيه فقال:

أَلاَ أَصْبَحَتْ عِرْسُ الفَرَزْدقِ نَاشِزِ أَولَوْ رَضِيتْ رُمْحَ اسْتِهِ لاَسْتَقَرَّتِ

والبيت لجعفر بن الزبير، فيما ذكر عبد الله بن مصعب.

وكان الفرزدق إذا أصاب دراهم أتى بها النوار، فتحرز بعضها وتعطيه بعضها، وكانت مسلمة تأله، فكانت تزعم أنه طلقها، ويجحدها، فاحتاج يوماً فقالت: أعطيك كذا وكذا درهماً على أن تشهد على طلاقي الحسن قال: نعم. فاعطته. فقال: أيها الشيخ، إني قد طلقت النوار. قال: قد سمعنا ما قلت. فلما حضرها الموت أوصته، وهو ابن عمها، أن يصلي عليها الحسن، فأخبره فقال: إذا فرغتم فأعلموني.وأخرجت، وجاء الحسن فسبقهم الناس، فانتظروهما، فأقبلا والناس ينظرون، قد استبطؤوهم. فقال الحسن: ما للناس؟ فقال الفرزدق: يرون خير الناس وشر الناس! قال: لست بخير الناس ولست بشرهم! وقال له الحسن، وهو على قبرها: ما أعددت لهذا المضجع؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله مذ سبعون سنة.

حدثني عامر بن أبي عامر – وهو صالح بن رستم الخراز – قال: أخبرني أبو بكر الهذلي، قال: إنا لجلوس عند الحسن، إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد! الرجل يقول

في كلامه: لا والله، بلى والله! ولا يريد اليمين! فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ فقال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا!، وما قلت؟ قال: قلت:

ولَسْتَ بمأخُوذٍ بشَيءٍ تَقُولُهُ إذَا لم تَعَمَّدْ عَافِداتِ العزائِمِ

قال: ثم لم يلبث أن جاء رجل آخر فقال: يا أبا سعيد! إنا نكون في هذي المغازي، فنصيب المرأة لها زوج، أفيحل غشيانها و لم يطلقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن ما كل ما قلت سمعوا! فما قلت في ذلك؟ قال: قلت:

وذَاتِ حَلِيلٍ أَنْكَحتْنَا رِمَاحُنا، حَلاَلاً لِمَنْ يَبْنِي بِها لم تُطَلَّقِ

أخبرني محمد بن جعفر الزيبقي قال: أتى الفرزدق الحسن فقال: إني قد هجوت إبليس فاسمع. قال لا حاجة لنا فيما تقول. قال: لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس: الحسن ينهي عن هجاء إبليس. فقال الحسن: اسكت، فإنك عن لسانه تنطق.

وقال رجل لابن سيرين: وهو قائم مستقبل القبلة يريد أن يكبر: أتوضأ من الشعر؟ فانصرف بوجهه فقال:

أَلاَ أَصْبَحَتْ عِرْسُ الفَرَزْدقِ نَاشِزاً وَلَوْ رَضِيتْ رُمْحَ استِهِ لاَسْتَقَرَّتِ

ثم توجه إلى القبلة وكبر.

أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز الماجشوني، عن يحيى ابن زيد قال: دخل رجل على الحسن فسمعه يقول: والله الذي لا إله إلا هو لتموتن، والله الذي لا إله إلا هو لتبعثن. ثم قال: والله الذي لا إله إلا هو لتحاسبن. قال: فقلت: هذا حلاف! فخرجت من عنده، فأتيت ابن سيرين، فإذا عنده جرير ينشده ويحدثه، هذا صاحب باطل! فتركتهما، فندمت.

حدثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد– وكان في ديماس الحجاج زماناً، حتى أطلقه سليمان حين قام – قال: انتهيت إلى الفرزدق، وهو ينشد بمكة بالردم مديح سليمان بن عبد الملك، وهو يقول:

وَكَمْ أَطلقَتْ كَفَّاكَ من قَيْدِ بائسٍ، ومِنْ عُقْدَةٍ ما كان يُرْجَى انْحِلاَلُهَا
كَثِيراً مِنَ الأَيْدِي الَّتي قدْ تَكَنَّعَتْ وفَكَّكْتَ أَعْنَاقاً عَلَيْها غِلاَلُهَا

فقلت: أنا والله أحَدُهم! قال: فأخَذَ بيدي وقال: أيّها الناس! سلوه، فو الله ما كذبت قط.

وسمعت الحارث بن محمد بن زياد، قال: كتب يزيد بن المهلب حين فتح جرجان، إلى أخيه مدركة أو

مروان: احمل الفرزدق ليقول في آثارنا، فإذا شخص فأعط أهله كذا وكذا. قال: أحسبه قال: عشرة آلاف درهم، فقال الفرزدق: ادفعها إلي. قال: اشخص وأدفعها إلى أهلك. فأبى، وخرج وهو يقول:

دَعَانِي إلى جُرْجَانَ والرَّيُّ دونَهُ ... لآتِيَهُ إنّي إذَنْ لزَؤُورُ

لآتِيَ من آل المُهَلّبِ ذَائِراً ... بأعْرَاضِهِمْ والدَّثَراتُ تَدُورُ

سَأَبَى وتأْبَى لِي تَمِيمٌ وربَّما ... أَبَيْتُ فلمْ يَقْدِرْ علىَّ أميرُ

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: سمعت سلمة بن عياش قال: حبست في السجن، فإذا فيه الفرزدق – حبسه مالك بن المنذر بن الجارود – فكان يريد أن يقول البيت، فيقول صدره فأسبقه إلى القافية، ويجيء بالقافية فأسبقه إلى الصدر. قال لي: ممن أنت؟ قلت: من قريش. قال: كل أير حمار من قريش! من أيهم أنت؟ قلت: أفلا أخبرك بأذل منهم وألأم؟ قال: بلى! قلت: بنو مجاشع. قال: ويلك! و لم؟ قلت: أنت شاعرهم وسيدهم وابن سيدهم، جاءك شرطي مالك حتى أدخلك السجن، لم يمنعوك! قال: قاتلك الله!

أنا أبو خليفة نا ابن سلام قال: فأنشدني يونس النحوي وعبد القاهر السلمي للفرزدق، حين عزل يزيد مسلمة عن العراق، بعد قتله يزيد بن المهلب، واستعمل عمر بن هبيرة:

ولَّتْ بمَسْلَمَةَ الرَّكَابُ مُوَدَّعاً ... فَارْعَىْ فَزَارَةُ لاَ هَنَاكِ المَرْتَعُ

فَسَدَ الزَّمَانُ وبُدِّلَتْ أعْلامُهُ ... حتَّى أُمَيَّةُ عن فَزَارَةَ تَنْزِعُ

ولَقَدْ علِمْتُ إِذَا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ ... أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ في الإمارةِ أَشْجَعُ

ولَخَلْقُ رَبِّكَ مَا هُمُ ولَمِثْلُهُمْ ... في مِثْلِ ما نالَتْ فَزَارةُ تَطْمَعُ

تُزِعَ ابنُ بِشْرٍ وابنُ عمْرٍو قبلهُ ... وأخُو هَرَاةَ لِمِثْلِها يتوَقَّعُ

ابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، كان مسلمة أمره على البصرة. وابن عمرو: سعيد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان على خراسان. وأخو هراة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص .

وقال إسماعيل بن عمار الأسدي، حين عزل ابن هبيرة وأمر خالد القسري:

عَجِبَ الفرزْدَقُ من فَزَارةَ أنْ رَأى ... عَنْها أُمَيَّةُ في المَشَارِقِ تَنْزِعُ

فلقد رَأَى عَجَباً وأُحْدِثَ بَعْدهُ ... أَمْرٌ تَطِيرُ لَه القُلُوبُ وتَفْزَعُ

بَكَتِ المَنَابِرُ من فَزَارةَ شَجْوَها ... فاليَوْمَ من قَسْرٍ تَضِجُّ وتَجْزَعُ

وبنُو أُمَيَّةَ أَضْرَعُونَا للعِدَى ... لِلهِ دَرُّ مُلُوكِنا! ما تَصْنَعُ؟

كانُوا كتَاركةٍ بَينَها جَانباً سَفَهاً وغيْرَهُمُ تَصُونُ وتُرْضِعُ

وقال قوم إن هذا البيت للفرزدق، ومن أنشده له قال:

ومُلُوكُ خِنْدِفَ أضْرَعُونَا للعِدَى

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة:

أَأَميرَ المُؤْمِنينَ! وأَنْتَ عَفٌّ كَرِيمٌ لَسْتَ بالطَّبعِ الحَرِصِ

أَوَلَّيْتَ العِراقَ ورَافِدَيْه فَزَارِيّاً أحذَّ يَدِ القَمِيصِ؟!

تَفنَّقَ بِالعِرَاقِ أَبُو المُثَنَّى وعلَّم أَهْلَهُ أَكْلَ الخَبيصِ

ولَمْ يَكُ قَبْلَها رَاعِي مَخَاضٍ لِيَأمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلُوصِ

وأنشدني له يونس:

جهز فإنك ممتاز ومبتعث إلى فزارة عيراً تحمل الكمرا

إن الفزاري لو يعمى فأطعمه أير الحمار طبيب أبرأ البصرا

إن الفزاري لا يشفيه من قرم أطايب العيرحتى ينهش الذكرا

لما أتوه بما في القدر أنكره واسترجع الضيف لما أبصر الكمرا

يقول لما رأى ما في إنائهم: لله ضيف الفزاريين ما انتظرا

فلما قدم خالد بن عبد الله القسري والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن، فنقب له سرب فخرج منه، فهرب إلى الشام، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه:

لما رأيت الأرض قد سد ظهرها ولم تر إلا بطنها لك مخرجاً

دعوت الذي ناداه يونس بعدما ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا

فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجا

خرجت ولم يمنن عليك شفاعة سوى ربذ التقريب من آل أعوجا

أغر من اللحق اللهاميم إذ جرى جرى بك محبوك القرا غير أفحجا

جرى بك عريان الحماتين ليلة به عنك أرخى الله ما كان أشرجا

وما احتال محتال كحيلته التي بها نفسه تحت الصريمة أولجا

وظلماء تحت الأرض قد خضت هولها وليل كلون الطيلساني أدعجا

هما ظلمتا ليل وأرض تلاقتا على جامع من همه، ما تعرجا

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني جابر بن جندل قال، قيل لابن هبيرة: من سيد أهل العراق؟ قال: الفرزدق، هجاني ملكاً ومدحني سوقة.

وقال لخالد بن عبد الله حين قدم العراق أمير لهشام:

ألا قطع الرحمن ظهر مطية أتتنا تخطي من دمشق بخالد

كيف يؤم الناس من كانت أمه تدين بأن الله ليس بواحد

بني بيعة فيها الصليب لأمه وهدم من كفر منار المساجد

وقال أيضاً:

نزلت بجيلة واسطاً فتمكنت ونفت فزارة عن قرار المنزل

وقال:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى بجيلة خالد

فلما قدم العراق أميراً، أمر على شرطة البصرة مالك ابن المنذر بن الجارود، فكتب إليه خالد: أن أحبس الفرزدق، فإنه هجا أمير المؤمنين بأبيات، قالها الفرزدق حين حفر خالد النهر الذي سماه المبارك:

أهلكت مال الله في غير حقه على نهرك المشؤوم غير المبارك

وتضرب أقواماً براء ظهورهم وتترك حق الله في ظهر مالك

أإنفاقمال الله في غير كنهه ومنعاً لحق المرملات الضرائك

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدعى على مالك فرية، فأبطلها خالد.

أنا أبو خليفة، نا محمد بن سلام، قال حدثني أبو يحيى، قال: قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس: اشخص إلى هشام. ومدحه بقصيدة. وقال لابنه: استعن بالقيسية ولا يمنعك منهم هجائي لهم، فإنهم سيغضبون لك. وقال:

بكت عين محزون ففاض سجامها وطالت ليالي حادث لا ينامها

فإن نبك لا نبكي المصيبات إذ أتى بها الدهر والأيام جم خصامها

ولكنما نبكي تنهك خالد محارم منا لا يحل حرامها

أنقتل فيكم أن قتلنا عدوكم على دينكم والحرب باد قتامها

فغير أمير المؤمنين فإنها يمانية حمقاء أنت هشامها

قال: أنشدنيها أبو الغراف. فأعانته القيسية وقالوا: يا أمير المؤمنين! إذا ما كان في مضر ناب، أو شاعر، أو سيد، وثب عليه خالد فحبسه! وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها سعيد بن الوليد الأبرش الكلبي وكلم له هشاماً:

إلى الأبرش الكلبي أسندت حاجة تواكلها حياً تميم ووائل

على حين أن زلت بي النعل زلة فأخلف ظني كل حاف وناعل

فدونكم يا أبن الوليد فإنها مفضلة أصحابها في المحافل

ودونكها يا ابن الوليد فقم بها قيام امرئ في قومه غير خامل

فكلم له هشاماً فأمر بتخليته.

فقال يمدح الأبرش:

لقد وثب الكلبي وثبة حازم إلى خير خلق الله نفساً وعنصرا

إلى خير أبناء الخليفة لم يجد لحاجته من دونها متأخراً

أبي حلف كلب في تميم وعقدها كما سنت الآباء أن يتغيرا

وكان حلف قديم بين كلب وتميم في الجاهلية، وذلك قول جرير:

تميم إلى كلب وكلب إليهم أحق وأولى من صداء وحميرا

وقال الفرزدق:

أشد حبال بين حيين مرة حبال أمرت من تميم ومن كلب

وليس قضاعي لدينا بخائف ولو أصبحت تغلى القدور من الحرب

وقال أيضاً:

ألم تر قيساً قيس عيلان شمرت لنصري وحاطتني هناك قرومها

فقد حالفت قيس على الناس كلهم تميماً فهم منها ومنها تميمها

وعادت عدوى إن قيساً لأسرتي وقومي إذا ما الناس عد صميمها

قال محمد بن سلام، وحدثني عبد القاهر بن السري، قال: قال عمر بن يزيد بن عمير الأسيدي – وسمعت يونس يقول: ما كان بالبصرة مولد مثله – قال: دخلت على هشام بن عبد الملك، وعنده خالد بن عبد

الله القسري يتكلم ويذكر اليمن وطاعتها، فأكثر في ذلك، فصفقت تصفيقة دوي البهو منها. فقلت: تا الله ما رأيت كاليوم خطلاً! والله إن فتحت فتنة في الإسلام إلا باليمن! لقد قتلوا أمير المؤمنين عثمان، ولقد خرج ابن الأشعث على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وإن سيوفنا تقطر من دماء بني المهلب! فلما نهضت، تبعني رجل من بني مروان حضر ذاك، فقال: يا أخا تميم! وريت بك زنادي! قد شهدت مقالتك، واعلم أن أمير المؤمنين موليه العراق، وإنما ليست لك بدار.

فلما ولى خالد استعمل على أحداث البصرة مالك بن المنذر، فكان لعمر مكرماً، ولحوائجه قضاء، إلى أن وجد عليه. وكان عمر لا يملك لسانه، فخرج من عنده وقد سأله حاجة فقضاها، فقال: كيف رأيت الفساء! سخرنا به منذ اليوم! وقال قائلون: إن خالداً كتب إليه فيه، فأخذه. وشهد عليه ناس من بني تميم وغيرهم، فضربه مالك حتى قتله تحت السياط.

وكان عمرو بن مسلم الباهلي أعان عليه، وكانت حميدة بنت مسلم عند مالك بن المنذر. وأعان عليه بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة، وكان يخاصم هلال بن أحوز في المرغاب خصومة طويلة، وكان عمر يعين على بشير، فقال الفرزدق:

لحا الله قوماً شاركوا في دمائنا ... وكنا لهم عوناً على العثرات

فجاهرنا ذو الغش عمرو بن مسلم ... وأوقد ناراً صاحب البكرات

يعني بشيراً.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، قال حدثني خلاد بن يزيد، عن سلم بن قتيبة قال: رآني بشير بن عبيد الله وأنا أخاصم بعض أهلي وأنا شاب، فقال لي: يا ابن أخي! إني أراك ثبت المروءة، فإياك والخصومات، فإنها تذهب المروءة. فرأيته بعد ذلك يخاصم هلال ابن أحوز في المرغاب خصومة طويلة، فقلت له: أتذكر شيئاً قلته؟ قال: نعم! قلت: فما بالك تخاصم؟ قال: يا ابن أخي! إني أخاصم في عدل الخلافة، وأنت تخاصم في ضحضاح لا يواري أخمصك! وكانت عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، وأمها الملاءة بنت أوفى الحرشي، أخت زرارة، عند عمر بن يزيد، فخرجت إلى هشام، وأعانتها القيسة على مالك، فحمل مالك.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، فحدثني محمد بن الحارث قال: قال له هشام: يا ابن اللخناء! قتلت سيدك! قال: أما إن أمي التي تلخن حملت أباك على ركائبه إلى الشام - يعني مروان، وكان لجأ أيام الجمل إلى المسامعة جريحاً، فداووه ثم حملوه. وأم مالك: بحرية بنت مالك بن مسمع - فألقي في السجن، وقد مرض وبه بطن، فمات في مرضه، فقال الفرزدق:

ستعلم عبد القيس إن ما زال ملكها على أي حال يستمر مريرها

فأجابه النميري بقصيدة يقول فيها:

وكان كعنز حين قامت لحتفها إلى مدية مدفونة تستشيرها

وكان يجير الناس من سيف مالك فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

وقال الفرزدق:

تصرم مني ود بكر بن وائل وما كان مني ودهم يتصرم

قوارص تأتيني ويحتقرونها وقد يملأالقطر الإناء فيفعم

فأجابه أبو العطاف:

لعمري لئن كان الفرزدق عاتباً وأحدث صرماً للفرزدق أظلم

لقد وسطتك الدار بكر بن وائل وضمتك للأحشاء إذ أنت محرم

ليالي تمني أن تكون حمامة بمكة يؤويك الستار المحرم

فإن تنأ عنا لا تضرنا وإن تعد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

يعني حين هرب الفرزدق من زياد.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، قال، وحدثني أبو العطاف قال: لقي الفرزدق شاب من أهل البصرة فقال: يا أبا فراس، أسألك عن مسألة؟ قال: سل. قال: أيهما أحب إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال: يا ابن أخي، لم تأل أن شددت، وأحببت أن لا تجعل لي مخرجاً، أفتجيبني أنت إن أجبتك؟ قال: نعم! قال: فاحلف. فغلظ عليه، ثم قال: نكون معاً لا يسبقني ولا أسبقه، أسألك الآن؟ قال: نعم! قال: فأيما أحب إليك، أن ترجع الآن إلى منزلك فتجد امرأتك قابضة بكذا وكذا من رجل، أو تجد رجلاً قابضاً بكذا وكذا منها؟ وكان أبو العطاف شاعراً شتاماً، وهو القائل لعمروابن هداب:

سموت إلى العلى وقصرت عنها فما بيني وبينك من عتاب

قال ابن سلام، وأنشدني يونس للفرزدق:

من يأت عماراً ويشرب شربة يدع الصيام ولا تصلي الأربع

كان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً. و"المقلد": البيت المستغني بنفسه، المشهور الذي يضرب به المثل. فمن ذلك قوله.

فيا عجباً حتى كليب تسبني كأن أباها نهشل أو مجاشع

وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله:

ليس الكرام بما نحيك أباهم حتى ترد إلى عطية تعتل

وقوله:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقوله:

ترجى ربيع أن يجئ صغارها بخير وقد أعيى ربيعاً كبارها

وقوله:

أكلت دوابرها الإكام فمشيها مما وجين كمشية الأطفال

وقوله:

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقوله:

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

وقوله:

فإن تنج منها من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

وقوله:

وإنك إذ تسعى لتدرك دارماً لأنت المعني يا جرير المكلف

وقوله:

ولو خير السيدي بين غواية ورشد أتى السيدي ما كان غاوياً

وقوله:

ترى كل مظلوم إلينا فراره ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أو مأنا إلى الناس وقفوا

وقوله:

فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عز رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ويقطعن أحياناً مناط القلائد

وقوله:

أقول له، لما أتاني نعيه به لا بظبي بالصرائم أعفرا

وكان يداخل الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو. من ذلك قوله يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، خال هشام بن عبد الملك:

وأصبح ما في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

وقوله:

تالله قد سفهت أمية رأيها فاستجهلت سفهاؤها حلماؤها

وقوله:

ألستم عائجين بنا لعنا نرى العرصات أو أثر الخيام

فقالوا إن فعلت فأغن عنا دموعاً غير راقئة السجام

وقوله:

فهل أنت إن فاتت أتانك راحل إلى آل بسطام بن قيس فخاطب

وقوله:

فنل مثلها من مثلهم ثم دلهم على دارمي بين ليلى وغالب

وقوله:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وقوله:

إنا وإياك إن بلغن أرحلنا كمن بواديه بعد المحل ممطور

وقوله:

بني الفاروق أمك وابن أروى به عثمان مروان المصابا

وقوله:

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

وقوله:

إليك أمير المؤمنين رمت بنا هموم المنى والهوجل المتعسف

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف

وقوله:

ولقد دنت لك بالتخلب إذ دنت منها بلا بخل ولا مبذول

وكأن لون رضاب فيها إذ بدا برد بفرع بشامة مصقول

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

إن ابن جباري ربيعة مالكاً لله سيف صنيعة مسلول

ما زال من آل المعلي قبله سيف لكل خليفة ورسول

وقوله:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبي قال، قال لهما – أعني الفرزدق وجريراً – بعض الخلفاء: حتى متى لا تتزعان؟ فقال جرير: يا أمير المؤمنين، إنه والله يظلمني! قال: صدق! أنا أظلمه، ووجدت أبي يظلم أباه.

قال: وحدثني أبو الغراف قال: دخل الفرزدق على بلال فقال له: أحججت يا أبا فراس؟ قال: نعم. قال: فما رأيت؟ قال رأيت شيخاً يطوف بالبيت آخذة امرأته بحجزته، خلفها ولدان لها وهو يقول:

انت وهبت زائداً ومزيداً وكهلة أولج فيها الأجردا

وهي تقول: إذا شئت! إذا شئت! فقلت له: ممن أنت يا شيخ؟ قال: أشعري. قال: كذبت! والله ما رأيت هذا، ولكن ائتفكتها من حينك.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني يونس قال: قدم الأحوص الشاعر فنزل على عمرو بن عبيد الأنصاري، فمر به الفرزدق فقال له: متى عهدك بالزنا يا أبا فراس؟ قال: مذ ماتت العجوز.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبو يحيى الضبي قال: بينما الفرزدق يسير، إذ مر برهط من بني كليب، فأخذوه فجاؤوه بأتان فقالوا له: إنك تعيرنا بالأتن، فوالله لا تريم حتى تنزو عليها. قال: دعوني لا أبا لكم! فأبوا عليه، قال: فهاتوا الصخرة التي كان يقوم عليها عطية! وقال الفرزدق حين صار إلى الحجاز ولجأ إلى سعيد:

نمتك العرانين الطوال ولا أرى لفعلك إلا حامداً غير لائم

فإلا تداركني من الله نعمة ومن آل حرب ألق طير الأشائم

أخبرني أبو خليفة قال، حدثنا محمد بن سلام قال، قال الفرزدق وهو بالمدينة:

هما دلتاني من ثمانين قامة كما اقض باز أقتم الريش كاسرة

فلما استوى رجلاي في الأرض قالتا أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطنوا بنا ووليت في أعجاز ليل أبادره

أبادر بوابين قد وكلا بنا وأحمر من ساج تبص مسامره

وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت مغلقة دوني عليها دساً كره

قال: فأنكرت ذلك قريش عليه، وأزعجه مروان عن المدينة، وهو واليها لمعاوية، وأجله ثلاثاً فقال:

يا مرو إن مطيتي محبوسة ترجو الحباء وربها لم ييأس

وأتيتني بصحيفة مختومة أخشى على بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن نكداء مثلي صحيفة المتلمس

وقال في ذلك:

وأخرجني وأجلني ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمود

وذكر ذلك جرير في مناقضته إياه، فقال:

وشبهت نفسك أشقى ثمود فقالوا ضللت ولم تهتد

يعني تأجيل مروان له ثلاثاً. وقال فيه أيضاً جرير:

تدليت تزنى من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلى والمكارم

وهما قصيدتان.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: سألت بشاراً العقيلي عن الثلاثة، فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. فقلت: فجرير والفرزدق؟ قال: كان جرير يحسن ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق. وفضل جريراً عليه.

وقال العلاء بن حريز العنبري – وكان قد أدرك الناس وسمع – قال: كان يقال: الأخطل إذا لم يجئ سابقاً فهو سكيت. والفرزدق لا يجئ سابقاً ولا سكيتاً، فهو بمنزلة المصلى، وجرير يجئ سابقاً وسكيتاً ومصلياً.

قال ابن سلام: وتأويل قوله، أن للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوالاً روائع غرراً جياداً، هو بهن سابق،

وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السكيت – والسكيت: آخر الخيل في الرهان –. ويقال إن الفرزدق دونه في هذه الروائع، وفوقه في بقية شعره، فهو كالمصلي أبداً. والمصلي: الذي يجئ بعد السابق، وقبل السكيت. وجرير له روائع هو بهن سابق، وأوساط هو بهن مصل، وسفسافات هو بهن سكيت.

قال ابن سلام: وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، وأخبرني أبان بن عثمان الكوفي قال: سئل الأخطل عن جرير بالكوفة فقال: دعوا جريراً أخزاه الله، فإنه كان بلاء على من صب عليه. وذكر من قوله:

ما قاد من عرب إلى جوادهم إلا تركت جوادهم محسوراً

أبقت مراكضتي الرهان مجرباً عند المواطن يرزق التيسيرا

أخبرنا أبو خليفة، قال ابن سلام، قال مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد: كان الفرزدق عند أبي في مشربة له، فدخل رجل فقال: وردت اليوم المربد قصيدة لجرير تناشدها الناس. فانتقع لون الفرزدق، قال: ليست فيك يا أبا فراس! قال: ففيمن؟ قال: في ابن لجأ التيمي.قال: أفحفظت منها شيئاً؟ قال: نعم، علقت منها ببيتين. قال: ما هما؟ قال:

لئن عمرت تيم زماناً بغرة لقد حديت تيم حداء عصبصبا

فلا يضغمن الليث عكلاً بغرة وعكل يشمون الفريس المنيبا

فقال الفرزدق: قاتله الله! إذا أخذ هذا المأخذ لا يقام له! أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: أخبرني يونس قال: كان الفرزدق يتضور ويجزع إذا أنشد لجرير، وكان جرير أصبرهما.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، وأخبرني أبو البيداء الرياحي قال، قال الفرزدق: إني وإياه لنغترف من بحر واحد، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر.

قال ابن سلام: وذاكرت مروان بن أبي حفصة جريراً والفرزدق فقال: أحكم في الثلاثة بشعر، فإن الكلام يرويه كل قوم بأهوائهم. فقال:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو الكلام ومره لجرير

ولقد هجا فأمض أخطل تغلب وحوى اللهى بمديحه المشهور

كل الثلاثة قد أجاد فمدحه وهجاؤه قد سار كل مسير

وسألت الأسيدي– أخا بني سلامة – عنهما فقال: بيوت الشعر أربعة: فخر، ومديح، ونسيب، وهجاء، وفي كلها غلب جرير، في الفخر في قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

و في المدح قوله:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وفي الهجاء قوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وفي النسيب قوله:

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وإلى هذا يذهب اهل البادية.

قال أبو عبد الله محمد بن سلام: وبيت النسيب عندي:

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

قلت للأسيدي: أما والله لقد أوجعكم يعني في الهجاء! فقال: يا أحمق، أو ذاك يمنعه أن يكون شاعراً! .

أنا أبو خليفة، قال نا ابن سلام قال، قال أبو الغراف: كان الخطفي ذا إبل ومال، فلما ولد جرير لعطية كان ينحله من إبله وماله. فولد للخطفي صبية، فرجع فيما كان نحل جريراً، فقال:

ألا حي رهبي ثم حي المطاليا لقد كان مأنوساً فأصبح خاليا

عفا الرسم إلا أن تذكر أو ترى ثماماً حوالي منصب الخيم باليا

إذا ما أراد الحي أن يتحملوا وحنت جمال الحي حنت جماليا

وإني لمغرور أعلل بالمنى غداة أرجى أن مالك ماليا

وإني لعف الفقر مشترك الغنى سريع إذا لم أرض داري انتقاليا

وليست لسيفي في العظام بقية وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

ووفد جرير بعد ذلك إلى يزيد بن معاوية وهو خليفة، وجرير حدث، فأنشده:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى سريع إذا لم أرض داري انتقاليا

قال: كذبت، ذاك جرير. قال: فانا جرير! قال: والله لقد فارق أمير المؤمنين معاوية الدنيا وهو يرى أن هذا البيت لي.

أنا أبو خليفة قال، قال ابن سلام، أخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: تنازع رجلان في عسكر المهلب في

جرير والفرزدق – وهو بإزاء الخوارج – فصارا إليه وسألاه، فقال: لا أقول فيهما شيئاً – وكره أن يعرض نفسه – ولكن أدلكما على من يهون عليه سخطهما: عبيدة بن هلال اليشكري، وهو مولى بني قيس بن ثعلبة، وهو يومئذ في عسكر قطري. فأتياه فوقفا حيال العسكر فدعواه، وخرج يجر رمحه، وظن أنه دعى للبراز، فقالا له: الفرزدق أشعر أم جرير؟ فقال: عليكما وعليهما لعنة الله! قالا: نحب أن تخبرنا ثم نصير إلى ما تريد. قال: من يقول؟:

وطوى القياد مع الطراد بطونها طي التجار بحضرموت برودا

قالا: جرير: قال. هو أشعرهما.

انا أبو خليفة، نا محمد بن سلام قال، أخبرني أبو رجاء الكلبي قال: كان لأمامة، امرأة جرير، ابن أخ ذو إبل يقال له عضيدة، لقصر في يده، فلم تزل به امرأته حتى زوجه ابنته، فعتب عليه فقال:

وغرتنا أمامة فافتحلنا عضيدة إذ تنخلت الفحول

إذا ما كان فحلك فحل سوء خلجت النسل أو لؤم الفصيل

انا أبو خليفة، أنا ابن سلام، أخبرنا أبو الغراف قال: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك، وهو خليفة، وعنده عدي ابن الرقاع العاملي، فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: هذا رجل من عاملة. قال: الذين يقول الله جل ثناؤه: "عاملة ناصبة، تصلى نار حامية" "سورة الغاشية 3،4"، ثم قال:

يقصر باع العاملي عن العلى ولكن أير العاملي طويل

فقال العاملي:

أأمك كانت أخبرتك بطوله أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول؟

فقال: لا، بل لم أدر كيف أقول. فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبلها وقال: أجرني منه. فقال الوليد لجرير: لئن سميته لأسرجنك ولألجمنك وليركبنك، فتعيرك بذلك الشعراء. فكنى جرير عن اسمه، واسمه عدي، فقال:

إني إذا الشاعر المغرور حربني جار لقبر على مران مرموس

قد كان أشوس أباء فأورثنا شغباً على الناس في أبنائنا الشوس

أقصر فإن نزاراً لا يفاخرهم فرع لئيم وأصل غير مغروس

وابنا نزار أحلاني بمنزلة في رأس أرعن عادي القداميس

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبو يحيى الضبي قال: ورد البعيث المجاشعي على بني سليط بن يربوع، وكان ولدهم وولدوه، فشكوا إليه قهر جرير صاحبهم - يعني غسان السليطي - فقال البعيث:

إذا يسرت معزي عطية وارتعت تلاعاً من المروت أحوى جميعها
تعرضت لي حتى صككتك صكة على الوجه يكبو لليدين أميمها
أليست كليب ألأم الناس كلهم وأنت إذا عدت كليب لئيمها

وكانت أم البعيث أمة حمراء سجستانية، تسمي فرتنا، فكان يقال له: ابن حمراء العجان فهجاه جرير فثاوره، فضج إلى الفرزدق، والفرزدق يومئذ بالبصرة، وقد قيد نفسه وآلى لا يفك قيده حتى يقرأ القرآن فقال البعيث:

لعمري لئن ألهى الفرزدق قيده ودرج نوار ذو الدهان وذو الغسل
ليبتعثن مني عداة مجاشع بديهة لأواني الجراء ولا وغل

فقال جرير:

جزعت إلى درجي نوار وغسلها فأصبحت عبداً ما تمر وما تحلى

وعده الناس مغلوباً حين استغاث.

قال، وقال الفرزدق: إني إن وثبت على جرير الآن حققت على البعيث الغلبة! ولكني كأني وثبت عليهما، فأدع البعيث وآخذ جريراً. فقالوا: الطبيب أطب! فقال:

لود جرير اللؤم لو كان عانياً ولم يدن من زأر السود الضراغم
وليس ابن حمراء العجان بمفلتي ولم يزدجر طير النحوس الأشائم !
وإنكما قد هجتماني عليكما فلا تجزعا واستسمعا للمراجم

وقال:

دعاني ابن حمراء العجان ولم يجد له إذ دعا مستأخراً عن دعائيا
فنفست عن أنفيه حتى تنفسا وقلت له لا تخش شيئاً ورائيا

فلما استطار كل واحد منهما في صاحبه، قال البعيث:

أشاركتني في ثعلب قد أكلته فلم يبق إلا رأسه وأكارعه
فدونك خصييه وما ضمت استه فإنك رمام خبيث مراتعه

قال: وسقط البعيث بينهما.

ولج الهجاء نحواً من أربعين سنة، لم يغلب واحد منهما على صاحبه. ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ولا الإسلام بمثل ما تهاجيا به وأشعارهما أكثر من أن نأتي عليها، ولكنا نكتب منها النادر.

وقال الفرزدق لجرير:

غلبتك بالمفقئ والمعنى وبيت المحتبى والخافقات

" المفقئ "، قوله:

ولست ولو فقأت عينك واجداً أبا لك إن عد المساعي كدارم

هو الشيخ وابن الشيخ لا شيخ مثله أبو كل ذي بيت رفيع الدعائم

و "المعنى"، قوله:

وإنك إذ تسعى لتدرك دارماً لأنت المعني يا جرير المكلف

و "المحتبى" قوله:

بيتاً زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

و "الخافقات"، قوله:

وأين تقضي المالكان أمورها بخير وأين الخافقات اللوامع

فقال جرير:

أقين بن قين، ما يسر نساءنا بذي نجب انا ادعينا لدارم

هو القين وابن القين لا قين مثله لفطح المساحي أو لجدل الأداهم

الجدل: الفتل. والأداهم: الحبال، نا أبو خليفة: كل من كان في عمله حديد فهو قين. بذي نجب: يوم التقت بنو حنظلة وبنو عامر، إلا بني مالك بن حنظلة .

قال ابن سلام: واشترى جرير جارية من رجل من أهل اليمامة، يقال له زيد، يعرف بابن النجار، ففركته وكرهت خشونة عيشه، فقال:

تكلفني معيشة آل زيد ومن لي بالمرقق والصناب!

وقالت لا تضم كضم زيد وما ضمي وليس معي شبابي !

فقال الفرزدق:

لئن فركتك علجة آل زيد وأعوزك المرقق والصناب

لقداً كان عيش أبيك جدباً يعيش بما تعيش به الكلاب

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، حدثني حاجب بن يزيد وابو الغراف قالا: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين – وهو عبد الله – بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان على حكم أبيها، فاحتكم مئة من الإبل، فدخل على الحجاج فعذله وقال: تزوجتها على حكمها وحكم أبيها مئة بعير! وهي نصرانية! وجئتنا متعرضاً أن نسوقها عنك! اخرج، مالك عندنا شيء فقال عنبسة بن سعيد، وأراد نفعه: أيها الأمير! إنما هي من حواشي إبل الصدقة! فأمر له بها الحجاج، فوثب عليه جرير فقال:

يا زيق قد كنت من شيبان في حسب يا زيق ويحك من أنكحت يازيق

أنكحت ويلك قيناً باسته حمم يازيق ويحك أن بارت بك السوق

غاب المثني فلم يشهد نجيكم والحوفزان ولم يشهدك مفروق

يا رب قائلة بعد البناء بها لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق

أين الألى استنزلوا النعمان ضاحية أم أين أبناء شيبان الغرانيق

قال: فلم يجبه الفرزدق، فقال جرير أيضاً:

فلا أنا معطي الحكم عن شف منصب ولا عن بنات الحنظليين راغب

وهن كماء المزن يشفي به الصدى وكانت ملاحاً غيرهن المشارب

فلو كنت حراً كان عشر سياقكم إلى آل زيق والوصيف المقارب

فقال الفرزدق:

فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم على دارمي بين ليلى وغالب

هم زوجوا قبلي لقيطاً وأنكحوا ضراراً وهم أكفاؤنا في المناسب

ولو قبلوا منا عطية سقته إلى آل زيق من وصيف مقارب

ولو تنكح الشمس النجوم بناتها إذن لنكحناهن قبل الكواكب

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني الزراري، عن أبيه قال: ما كانت امرأة من بني حنظلة إلا ترفع لجرير اللوية في عكمها، تطرفه، لقوله:

وهن كماء المزن يشفي به الصدى وكانت ملاحاً غيرهن المشارب

فقلت للزراري: ما اللوية؟ قال: الشريحة من اللحم، وهي الفدرة من التمر، والكبة من الشحم، أو الجلة من الأقط، فإذا كانت الصفرية وذهبت اللبان وضاقت المعيشة، كانت طرفة عندهم.

وقال جرير:

أثائرة حدراء من جر بالنقا وهل لأبي حدراء في الوتر طالب

أتثأر بسطاماً إذا ابتلت استها وقد بولت في مسمعيه الثعالب

قال ابن سلام: والنقا الذي عناه جرير، هو الموضع التي قتلت فيه بنو ضبة بسطاماً، وهو بسطام بن قيس.

قال: فكرهت بنو شيبان أن يهتك جرير أعراضهم، فلما أراد الفرزدق نقل حدراء، اعتلوا عليه وقالوا له: إنها ماتت.

قال جرير:

فأقسمت ما ماتت ولكنما التوى بحدراء قوم لم يروك لها أهلاً

رأوا أن صهر القين عار عليهم وأن لبسطام على غالب فضلاً

أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام، قال، حدثني حاجب بن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة قال: قال جرير بالكوفة:

لقد قادني من حب ماوية الهوى وما كنت ألقى للجنيبة أقودا

أحب ثرى نجد وبالغور حاجة فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا

أقول له يا عبد قيس صبابة بأي ترى مستوقد النار أوقدا

فقال :أراها أرثت بوقودها بحيث استفاض الجزع شيحاً وغرقدا

فأعجبت الناس وتناشدوها.

فحدثني جابر بن جندل قال: فقال لنا جرير: أعجبتكم هذه الأبيات؟ قالوا: نعم! قال: كأنكم بالقين قد قال:

أعد نظراً ياعبد قيس فإنما أضاءت لك النار الحمار المقيدا

فلم يلبثوا أن جاءهم في قول الفرزدق هذا البيت، وبعده:

حمار بمروت السحامة قاربت وظيفيه حول البيت حتى ترددا

كليبية لم يجعل الله وجهها كريماً ولم يسنح بها الطير اسعدا

فتناشدها الناس. فقال الفرزدق: كأنكم بابن المراعة قد قال:

وما عبت من نار أضاء وقودها فراساً وبسطام بن قيس مقيدا

قال: فإذا هي قد جاءت لجرير، وفيها هذا البيت ومعه:

فأوقدت بالسيدان ناراً ذليلة وأشهدتمن سوآت جعثن مشهدا

قال: واجتمعنا عند سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، وأتى بأسرى من الروم، قال ابن سلام: فأخبرني ابو يحيى الضبي قال: وفي حرسه رجل من بني عبس، قد علم أن سيأمر أصحابه بضرب أعناقهم فأتى الفرزدق، وذلك لسوء أثره في قيس، فقال: إن أمير المؤمنين حري أن يأمر بضرب عنق بعض هؤلاء الأسرى، وهذا سيفي، يكفيك أن تومي به فيأتي على ضريبته. وأتاه بسيف كليل كهام، فقال له الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من بني ضبة أخوالك. وأمره سليمان بضرب عنق بعضهم، فتناول السيف من العبسي، ثم هزه فضرب به عنقه فما حص شعرة، و لم يؤثر به أثراً. فضحك سليمان والناس. فقال: هذه ضربة سيقول فيها هذا – يعني جريراً – وتقول فيها العرب! وقال:

فإن يك سيف خان أو قدر أبي لتأخير نفس حتفها غير شاهد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ويقطعن أحياناً مناط القلائد

وقال جرير:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

وقال:

أخزيت قومك في مقام قمته ووجدت سيف مجاشع لا يقطع

وقال الفرزدق:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً عن كليب أو أباً مثل دارم

و لا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وقال اللعين:

سأحكم بين كلب بني كليب وبين القين قين بني عقال

فإن الكلب مطعمه خبيث وإن القين يعمل في سفال

وقد حسر البعيث وأقعدته لئيمات المناخر والسبال

ويترك جده الخطفي جرير ويندب حاجباً وبني عقال

قال ابن سلام: وسمعت يونس يقول: فلم يلتفتا لفته، وأراد أن يذكراه فيرفعه ذلك، فقال:

فما بقيا على تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

وقال الصلتان العبدي:

ألا إنما تحظى كليب بشعرها وبالمجد تحظى نهشل والأقارع

أنا الصلتاني الذي قد عرفتم متى ما يحكم فهو بالحكم صادع

أتتني تميم حين هابت قضاتها فهل أنت للفصل المبين سامع

قضاء امرئ لا يرهب الشتم منكم وليس له في الحكم منكم منافع

فما رجع الأعشى قضية عامر وما لتميم في قضائي راجع

فإن يك بحر الحنظليين واحداً فما تستوي حيتانه والضفادع

فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله جرير ولكن في كليب تواضع

ويرفع من شعر الفرزدق أنه ينوء بحي للخسيسة رافع

يناشدني النصر الفرزدق بعدما ألحت عليه من جرير صواقع

فلم يرض واحد منهما قوله. فقال الفرزدق: أما الشرف فقد عرفه وأما الشعر، فما للبحراني والشعر؟!

وقال جرير:

أقول ولم أملك سوابق عبرة متى كان حكم الله في كرب النخل

فقال الصلتان:

أعيرتنا بالنخل أن كان ما لنا لود أبوك الكلب لو كان ذا نخل

فاعترضه خليد عينين، من أهل هجر، فقال:

وأي نبي كان في غير قرية وما الحكم يا ابن اللؤم إلا مع الرسل

وقال جرير:

فخل الفخر يا ابن أبي خليد وأد خراج رأسك كل عام

لقد علقت يمينك رأس ثور وما علقت يمينك باللجام

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبو الغراف قال: قال الحجاج لهما – وهو في قصره بحزيز البصرة – ائتيا في لباس آبائكما في الجاهلية. فجاء الفرزدق وقد لبس الديباج والخز وقعد في قبة. وشاور جرير دهاة بني يربوع فقالوا: ما لباس آبائنا إلا الحديد. فلبس جرير درعاً، وتقلد سيفاً، وأخذ رمحاً، وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له: المنخار، وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع، وجاء الفرزدق في هيئته. فقال جرير:

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحاً كرج وجلاجله

اعدوا مع الخز الملاب فإنما جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا. فوقف جرير في مقبرة بني حصن، ووقف الفرزدق في المربد.

فأخبرني أبي، عن محمد بن زياد قال: كنت أختلف بينهما يومئذ، فكأن جريراً كان يومئذ أظفرهما .

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني شعيب بن صخر، عن هارون بن إبراهيم قال: رأيتهما في مسجد دمشق، والفرزدق في عصابة من خندف، والناس عنق على جرير – قيس وموالي بني أمية – وهم يسلمون عليه ويسألونه: يا أبا حزرة، كيف كنت في مسيرك؟ وذلك لمديحه قيساً وقوله في العجم:

فيجمعنا والغر أولاد سارة أب لا نبالي بعده من تغدرا

قال أبو خليفة، سمعت عمارة بن عقيل بن بلال يقول: وافته في يومه مئة حلة من بني الأحرار .

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، وحدثني أبو اليقظان، نا جويرية بن أسماء قال: قلت لنصيب، مولى عبد الملك: يا أبا محجن، من أشعر الناس؟ فقالوا أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال أنا. قال: قلت: ثم من؟ قال ابن يسار النساء. فلقيت إسماعيل بن يسار النسائي فقلت: يا أبا فائد من أشعر الناس؟ قال: أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال: أنا. قلت: ثم من؟ قال:: نصيب. قلت: إنكما لتتقارضان الثناء! قال: وما ذاك؟ قال قلت: سألته فقال فيك مثل ما قلت فيه! قال:

إنه والله شاعر كريم ولا أظنه إلا بدأ بابن يسار قبل نصيب .

قال ابن سلام: ومما قال جرير من الأبيات المقلدة قوله:

وليست لسيفي في العظام بقية وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

وقوله:

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

وقوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

وقوله:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقوله:

لا يأمنن قوي نقض مرته إني أرى الدهر ذا نقض وإمرار

وقوله:

أنا البازي المطل على نمير أتيح من السماء لها انصبابا

وقوله:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى سريع إذا لم أرض داري انتقاليا

وقوله:

يحالفهم فقر قديم وذلة وبئس الخليطان المذلة والفقر

فصبراً على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عادته الصبر

وقوله:

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق

أوانس أما من أردن عناءه فعان ومن أطلقن فهو طليق

وقوله:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معيناً

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وقوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وقوله:

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقوله:

يا أهل جزرة إني قد نصبت لكم بالمنجنيق ولما يرسل الحجر

وقوله:

ولما التقى الحيان ألقيت العصى ومات الهوى لما أصيبت مقاتلة

وقوله:

تريدين أن أرضى وأنت بخيلة ومن ذا الذي يرضى الأخلاء بالبخل

فإنك لا يرضى إذا كان عاتباً خليلك إلا بالمودة والبذل

وقوله:

يا تميم إن بيوتكم تيمية قعس العماد قصيرة الأطناب

قوم إذا حضر الملوك وفودهم نتفت شواربهم على الأبواب

وقوله:

وكنت إذا نزلت بدار قوم ظعنت بخزية وتركت عارا

وقوله:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة سقي البشام

بنفسي من تجنبه عزيز على ومن زيارته لمام

ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

وقوله:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقوله:

لو كنت حراً يا ابن قين مجاشع شيعت ضيفك فرسخين وميلا

وقوله:

لا يستطيع امتناعاً فقع قرقرة بين الطريقين بالبيد الأماليس

وقوله:

لا يستطيع أخو الصبابة أن يرى حجراً أصم ولا يكون حديداً

وقوله:

لو أن عصم عمامتين ويذبلا سمعا حديثك أنزل الأوعالا

أخبرني أبو خليفة، قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو اليقظان، عن جويرية بن أسماء قال: قدم الفرزدق اليمامة، وعليها المهاجرين بن عبد الله الكلابي فقال: لو دخلت على هذا فأصبت منه شيئاً و لم يعلم بي جرير! فلم تستقر به الدار حتى قال جرير:

رأيتك إذ لم يغنك الله بالغنى ... رجعت إلى قيس وخدك ضارع

وما ذاك إن أعطى الفرزدق باسته ... بأول ثغر ضيعته مجاشع

فلما بلغ ذلك الفرزدق قال: لا جرم! والله لا أدخل عليه، ولا أرزؤه شيئاً، ولا أقيم باليمامة، ثم رحل.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، أخبرني أبو الغراف قال: نعى الفرزدق لجرير وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة، فقال:

مات الفرزدق بعد ما جدعته ... ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: لبئس ما قلت! تهجو ابن عمك بعد ما مات! لو رثيته كان أحسن بك. قال: والله إني لأعلم أن بقائي بعده لقليل، وإن كان نجمي موافقاً لنجمه، فلأرثينه. قال: بعد ما قيل لك! لو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

قال ابن سلام، فأنشدني معاوية بن أبي عمرو لجرير يرثي الفرزدق:

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل ... ولا ذات حمل من نفاس تعلت

هو الوافد المأمون والراتق الثأي ... إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت

انا أبو خليفة نا ابن سلام قال، حدثني يونس ابن حبيب النحوي قال: كان عبد الملك بن مروان لا يسمع لشعراء مضر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زبيرية، فوفد إليه الحجاج وفادته التي وفدها، لم يفد إليه غيرها، فأهدى إليه جريراً. فدخل عليه فأذن له في النشيد، فقام فأنشد مديح الحجاج واحدة بعد واحدة، فأومأ إليه الحجاج أن ينشد مديح عبد الملك، فأنشده التي يقول فيها:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

واعتمد على ابن الزبير فقال:

دعوت الملحدين أبا خبيب ... جماحاً هل شفيت من الجماح

وقد وجدوا الخليفة هبرزيا ... ألف العيص ليس من النواحي

وما شجرات عيصك في قريش ... بعشات الفروع ولا ضواحي

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، أخبرني أبو الغراف قال: لما أنشده فيها:

تعزت أم حزرة ثم قالت رايت الموردين ذوي لقاح
تعلل وهي ساغبة بنيها بأنفاس من الشبم القراح
سيكفيك العواذل أرحبي هجان اللون كالفرد اللياح
يعز على الطريق بمنكبيه كما أبترك الخليع على القداح

فقال له عبد الملك: فهل ترويها مئة؟ فقال، وهل إليها من سبيل، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين؟ وأعطاه مئة وثمانية من الرعاء.

فذكرها جرير في مديحه يزيد بن عبد الملك وهو خليفة، فقال:

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف

أخبرني أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثنا أبو الغراف قال: أتى الفرزدق مجلس بني الهجيم في مسجدهم فأنشدهم. وبلغ ذلك جريراً، فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق، فقال له شيخ منهم: يا هذا، اتق الله! فإن هذا المسجد إنما بني لذكر الله والصلاة! فقال جرير: أقررتم للفرزدق ومنعتموني! وخرج مغضباً وهو يقول:

إن الهجيم قبيلة ملعونة حص اللحى متشابهو الألوان
هم يتركون بنيهم وبناتهم صعر النوف لريح كل دخان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال: وخفة اللحى في بني هجيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم، يا بني الهجيم حص اللحى؟ قال: إن الفحل واحد.

أخبرني أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثني ابو يحيى الضبي قال: نازع جرير بني حمان في ركية لهم، فصاروا إلى إبراهيم بن عربي باليمامة يتحاكمون إليه، فقال جرير:

أعوذ بالأمير غير الجبار من ظلم حمان وتحويل الدار
ما كان قبل حفرنا من محفار وضربي المنقار بعد المنقار
في جبل أصم غير خوار يصيح بالجب صياح الصرار
له صهيل كصهيل الأمهار فاسأل بني صحب ورهط الجرار
والسلميين العظام الأخطار والجار قد يخبر عن دار الجار

فقال الحماني:

ما لكليب من حمى ولا دار غير مقام أتن وأعيار

قعس الظهور داميات الثفار

قال: فقال جرير: فعن مقامهن، جعلت فداك، أجادل! فقال ابن عربي للحماني: قد أقررت لخصمك! وحكم بها لجرير.

قال ابن سلام، وأخبرني أبو يحيى الضبي قال: بينا جرير يسير على راحلته، إذ هجم على أبيات من مازن وهلال – وهما بطنان من ضبة – فخافهم، لسوء أثره في ضبه، فقال:

فلا خوف عليك ولن تراعى بعقوة مازن زبني هلال

هما الحيان إن فزعا يطيرا إلى جرد كأمثال السعالى

أمازن يا ابن كعب إن قلبي لكم طول الحياة لغير قالي

غطاريف يبيت الجار فيهم قرير العين في أهل ومال

قالوا: أجل، يا أبا حزرة، فلا خوف عليك.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: حدثني أبو يحيى الضبي قال: كان الذي هاج الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ، أن عمر كان ينشد أرجوزة له يصف فيها إبله، وجرير حاضر بالماء، فقال التيمي:

قد وردت قبل إني ضحائها تقرش الحيات في خرشائها

جر العجوز الثنى من ردائها

فقال له جرير: أخفقت مرها! قال: فكيف أقول؟ قال: تقول:

جر العروس الثنى من ردائها

قال التيمي – وحمى – : فما قلت أنت أسوأ من قولي! قال: فما هو؟ قال: قولك:

وأوثق عند المردفات عشية لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

فجعلتهن مردفات غدوة، ثم تداركتهن عشية! قال: فكيف أقول؟ قال: تقول:

وأوثق عند الرهفات عشية

قال: فقال جرير: فو الله لهذا البيت أحب إلي من بكري حزرة، ولكنك محلب للفرزدق.

فقال فيه جرير:

ألا سوانا أدرأتم يا بني لجأ شيئاً يقارب أو وحشاً لها غرر

أحين كنت سماما يا بني لجأ وخاطرت بي عن أحسابها مضرا

إن الحفافيث عهدي يا بني لجأ يطرقن حين يسور الحية الذكر
خل الطريق لمن يبني المناربه وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر
انت ابن برزة منسوباً إلى لجأ عبد العصارة والعيدان تعتصر

ويروي:

ألست نزوة خوار على أمة عبد العصارة والعيدان تعتصر

فقال التيمي يرد عليه:

لقد كذبت وشر القول أكذبه ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
ألست نزوة خوار على أمة لا يسبق الحلبات اللؤم والخور
ما قلت من مرة إلا سأنقضها يا ابن الأتان بمثلي تنقض المرر
قد أصبح الخز يبكي في بني الخطفي ياخز كرمان صبراً إنها الهتر

وقال أيضاً:

ما استردفت يوم الهذيل نساؤنا ولا قمن في صف لسحجة سجداً
ولكن منعناهن في الشرك بالقنا وفي السلم صدقنا النبي محمدا

وقال أيضاً:

عجبت لما لاقت رياح من الأذى وما اقتبسوا مني وللشر قابس
غضاباً لكلب من كليب فرسته هوى ولشدات الأسود فرائس
إذا ما ابن يربوع أتاك لمأكل على مجلس إن الأكيل مجالس
فقل لبن يربوع ألست بداحض سبالك عنا إنهن نجائس
تمسح يربوع سبالاً لئيمة بها من مني العبد رطب ويابس

يريد ما صنع أبو سواج الضبي باليربوعي.

وكان أبو سواج أخذ بالبريرة صرد بن جمرة في شيء كان بينهما، فجاء بزنج فأوثبهم على جارية له، فكانوا يمنون في قعب، ثم حلب عليه فسقاه إياه، فقتله. وذلك قول الفرزدق لجرير، حين أمرهم الحجاج أن يأتوه في لباس آبائهم، فجاء جرير في الحديد، فقال الفرزدق:

وقد تلبس الحبلى السلاح وبطنها إذا انتطقت عبء عليها تعادله

وذلك قول الأخطل لجرير:

تعيب الخمر وهي شراب كسرى ... ويشرب قومك العجب العجيبا

منى العبد عبد أبي سواج ... أحق من المدامة أن تعيبا

ثم وافى جرير والتيمي المدينة وقد وردها الوليد بن عبد الملك، وكان يتأله في نفسه، فقال: تقذفان المحصنات وتعضهان وتنفيان! فأمر ابا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري – وكان واليه على المدينة – بضربهما، فضربهما وأقامهما على البلس مقرونين، والتيمي يومئذ أشب من جرير وأقوى، فجعل يشول بجرير، وجرير يقول وهو المشول به:

جزعت من العذاب غريب تيم ... وملأت القميص مع الإزار

ولست مفارقاً قربي حتى ... يطول تصعدي بك وانحداري

فقال التيمي:

ولما أن قرنت إلى جرير ... أبى ذو بطنه إلا انحدارا

فقال له قدامة بن إبراهيم الجمحي: بئسما قلت! جعلت نفسك المقرون إليه! قال: فكيف أقول؟ قال: تقول:

ولما لز في قربي جرير ... أبى ذو بطنه إلا انحدارا

قال: لا والله، لا أقول له أبداً إلا هكذا.

قال أبو البيداء: لقى الفرزدق عمرو بن عطية أخا جرير – وهو حينئذ يهاجي ابن لجأ – فقال له: ويلك قل لأخيك: ثكلتك أمك! إيت التيمي من عل كما أصنع بك أنا وكان الفرزدق قد حمى وانف لجرير أن يتعلق به التيمي. قال ابن سلام وأنشدني له خلف الأحمر، يعني الفرزدق، شعراً يقوله للتيمي:

وما أنت إن قرما تميم تساميا ... أخا التيم إلا كالوشيظة في العظم

فلو كنت مولى الظلم أو في ظلاله ... ظلمت ولكن لا يدى لك بالظلم

فأجابه ابن لجأ فقال:

كذبت أنا القرم الذي دق مالكاً ... وأفناء يربوع وما أنت بالقرم

فحدثني أبو الغراف قال: مشت رجال تميم بين جرير والتيمي وقالوا: والله ما شعراؤنا إلا بلاء علينا! يثيرون مخازينا ويهجون أحياءنا وأمواتنا! فلم يزالوا يمشون بينهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلظة، أن لا يعودا في الهجاء فكف التيمي، وكان جرير لا يزال يسل الواحدة، فيقول التيمي: والله ما نقضت هذه ولا سمعتها! فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح!

حدثني عثمان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن حرملة قال: لما ورد علينا هجاء جرير والتيمي قال لي سعيد بن المسيب: تروأ لنا مما قالا شيئاً. فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر. فقال: أرويت شيئاً؟ قلت: نعم! فأقبل علي بوجهه، فأنشدته للتيمي وهو يقول: هيه هيه! ثم أنشدته لجرير فقال: أكله أكله! أخبرني أبو الخطاب الزراري، عن حجناء بن جرير قال: قلت لأبي: ما هجوت قوماً قط إلا فضحتهم، – أو قال: أفسدتهم – إلا التيم! قال: يا بني إني لم أجد بناء فأهدمه، ولا حسباً أضعه أو قال: أصمه.

وكانت تيم رعاء غنم، فيغدون في غنمهم ثم يروحون، وقد جاء كل رجل منهم بأبيات، فيرفدون بها عمر بن لجأ. وكان أشعرهم، بعد أبن لجأ، السرندي.

وقيل لجرير: ما صنعت في التيم شيئاً؟ قال: إنهم شعراء لئام.

وحدثني مسمع بن عبد الملك – وهو كردين – قال: كان عرادة النميري نديماً للفرزدق، فقدم الراعي البصرة، فدعاه عرادة فأطعمه وسقاه، وقال: فضل الفرزدق على جرير. فأبى. فلما أخذ فيه الشراب، لم يزل به حتى قال:

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريراً

حدثني أبو الغراف قال كان الذي هاج الهجاء بين جرير والراعي – وهو عبيد بن حصين – أن الراعي كان يسأل عن جرير والفرزدق فيقول: الفرزدق أكرمهما وأشعرهما. فلقيه جرير فاستعاذه من نفسه ، وطلب إليه أن لا يدخل بينهما، وقال: أنا كنت أولى بعونك! إني لأمدحكم، وإنه ليهجوكم! قال: أجل، ولست لمساءتك بعائد. ثم بلغ جريراً أنه عاد في تفضيل الفرزدق عليه، فلقيه بالبصرة وجرير على بغلة، فعاتبه وقال: استعذتك ، فزعمت أنك غير داخل بيني وبين ابن عمي! قال: والراعي يعتذر إليه، وأقبل ابنه جندل – وكان فيه خطل وعجب – فقال لأبيه: ألا أراك تعتذر إلى ابن الأتان! نعم، والله لنفضلن عليك، ولنروين هجاءك، ولنهجونك من تلقاء أنفسنا. وضرب وجه بغلته وقال:

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دجلة ثم هابا

فانصرف جرير مغضباً محفظاً. فقال الراعي لابنه: والله ليهجوني وإياك، فليته لا يجاوزنا! ولكن سيذكر نسوتك! وعلم الراعي أنه قد أساء، فندم. فتزعم نمير: أنه حلف أن لا يجيبه سنة، غضباً على ابه، وأنه مات في السنة. ويقول غيرهم: إنه كمد لما سمعها فمات.

وكان جرير، يوم جرى هذا بينهما بالبصرة، نازلاً على امرأة من كليب، فبات في علية لها، وهي في سفل دارها. قالت المرأة: فبات ليلته لا ينام، يتردد في البيت، حتى ظننت أنه عرض له جني، أو سنح له بلاء، حتى فتح له، فقال:

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

حتى قال:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

ثم أصبح فغدا إلى المربد فقال: يا بني تميم، قيدوا! - أي اكتبوا - فلم يجبه الراعي، و لم يهجه جرير بغيرها.

فقال لي بعض رواة قيس وعلمائهم: كان الراعي فحل مضر، حتى ضغمه الليث! يعني جريراً.

قال أبو البيداء: مر راكب يتغنى:

وعاو عوى من غير شيء رميته بقافية أسبابها تقطر الدما

خروج بأفواه الرواة كأنها قرا هندواني إذا هز صمما

فسمعه الراعي، فأتبعه رسولاً فقال: لمن البيتان؟ قال: جرير. قال: والله لو اجتمعت الجن والإنس على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويحكم! ألام على أن يغلبني مثل هذا! وإنما يعني جرير البعيث، وكذلك كان اعتراض البعيث جريراً في غير شيء.

حدثني أبان بن عثمان قال: كان سراقة البارقي شاعراً ظريفاً تحبه الملوك، حلو الحديث . وكان قاتل المختار، فأخذه أسيراً، فأمر بقتله، فقال: والله لا تقتلني حتى تنفض دمشق حجراً حجراً! فقال المختار لأبي عمرة: من يخرج أسرارنا؟ ثم قال: من أسرك؟ قال: قوم على خيل بلق عليهم ثياب بيض، لا أراهم في عسكرك! قال: فأقبل المختار على أصحابه فقال: عدوكم يرى من هذا ما لا ترون! قال: أني قاتلك.

قال: والله يا أمين آل محمد، إنك تعلم أن هذا ليس باليوم الذي تقتلني فيه! قال: ففي أي يوم أقتلك؟

قال: يوم تضع كرسيك على باب مدينة دمشق، فتدعو بي يومئذ فتضرب عنقي، فقال المختار لأصحابه: يا شرطة الله! من يرفع حديثي؟ ثم خلى عنه. فقال سراقة - وكان المختار يكنى أبا إسحاق -:

ألا أبلغ أبا إسحاق عني رأيت البلق دهماً مصمتات

أرى عيني ما لم تبصراه كلانا عالم بالترهات

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً على قتالكم حتى الممات

ثم قدم سراقة، بعد ذلك، العراق مع بشر بن مروان. وكان بشر من فتيان قريش سخاء ونجدة، وكان ممدحاً، فمدحه جرير، والأخطل، والفرزدق، وكثير، وأعشى بني شيبان. وكان بشر يغري بين الشعراء، وهو أغرى بين جرير و الأخطل، فحمل سراقة على جرير حتى هجاه، فقال سراقة:

أبلغ تميماً غثها وسمينها والقول يقصد تارة ويجور

أن الفرزدق برزت حلباته عفواً وغودر في الغبار جرير
ما كنت أول محمر عثرت به آباؤه إن اللئيم عثور
حرر كليباً إن خير صنيعة يوم الحساب الصوم والتحرير
هذا القضاء البارقي وإنني بالميل في ميزانه لجدير

فقال جرير في قصيدته التي قال فيها:

يا صاحبي هل الصباح منير أم هل للوم عواذلي تفتير
يا بشر إنك لم تزل في نعمة يأتيك من قبل العلى بشير
بشر أبو مروان إن عاسرته عسر وعند يساره ميسور
يا بشر حق لوجهك التبشير هلا غضبت لنا وأنت أمير
قد كان حقك أن تقول لبارق يا آل بارق فيم سب جرير
إن الكريمة ينصر الكرم ابنها وابن اللئيمة للئام نصور
أمسى سراقة قد عوى لشقائه خطب وأمك يا سراق يسير
أسراق إنك قد غشيت ببارق أمراً مطالعه عليك وعور
أسراق إنك لا نزاراً نلتم والحي من يمن عليك نصير
أكسحت باستك للفخار وبارق شيخان أعمى مقعد وكسير

وقال جرير:

أمسى خليلك قد أجد فراقا هاج الحزين وذكر الأشواقا
وإذا لقيت مجيلساً من بارق لا قيت أطبع مجلس أخلاقا
قفد الأكف عن المكارم كلها والجامعين مذلة ونفاقا
ولقد هممت بأن أدمدم بارقاً فحفظت فيهم عمنا إسحاقا

قال ابن سلام: يعني إسحاق الذبيح، ثم نزعا.

فمر جرير بسراقة بمنى، والناس مجتمعون على سراقة وهو ينشد، فجهره جماله، واستحسن نشيده. فقال جرير: من أنت؟ قال: بعض من أخزاه الله على يديك! قال: أما والله لو عرفتك لوهبتك لظرفك! قال: كان العباس بن يزيد الكندي هجا جريراً، وكانت الشعراء تعرض له ليهجوهم.

وكان يقول: لا أبتدي، ولكني أعتدي.

قال أبو الغراف: فتأناهم حولاً، وذلك قوله:

ألم ينه عني الناس أن لست ظالماً بريئاً وأني للمتاحين متيح

فاتته كندة فاستعدوه من نفسه، وطلبوا أن لا يذكرهم. قال: فأخبروني بمساويه إن كنتم صادقين. ففرشوه أمره، فقالوا: هم أهل بيت كانوا في فزارة مجاورين، ثم تحولوا إلى بني كلاب، ثم تحولوا في طيئ، ومعه ابنة له جارية حدثة، فطبن لها غلام منهم يقال له عتاب، فكان يلاعبها، فقالوا إنها حبلت منه وولدت، وقتل الولد. وكانوا نزولاً في جبل يقال له شعبي، وكانوا أهل بيت سرو وجمال – قال: رأيت رجلاً من ولده فما رايت أجمل منه – فقال جرير:

ستطلع من ذرى شعبي قواف على الكندي تلتهب التهابا
أيوماً في فزارة مستجيراً ويوماً ناشداً حلفاً كلاباً
أعتاباً تجاور حين أجنت نخيل أجاً وأعنزه الربابا
يخاتلها وتحسبه لعاباً أساء غلام جيرتك اللعابا
وما خفيت هضيبة يوم جرت ولا إطعام سخلتها الكلابا
يقطع بالمشاقص حالبيها وقد بلت مشيمتها الترابا
وقد حملت ثمانية وتمت لتاسعها وتحسبها كعابا
أعبداً حل في شعبي غريباً ألؤماً لا أبالك واغترابا
إذا نزل الحجيج على قنيع دببت الليل تسترق العيابا
فقد حلت يمينك إن إمام أقام الحد واتبع الكتابا

فيزعم الناس: انه لما أتته هذه البيات كمد فمات.

قال، وقال رجل من عبد القيس، يقال له: أحمر بن غدانة، من بني عصر:

علام تعني يا جرير وقد قضى أخو عصر أن قد علاك الفرزدق
وإن امرأ سوى كليباً بدارم وسوى جريراً بالفرزدق أحمق

فأخذه عبد العزيز بن عمرو بن مرجوم – وكان سيد عبد القيس بالبصرة، وأبوه سيد، وجده سيد – وكان جده مرجوم اسمه: عامر بن عبيد، فنافر رجلاً من قومه إلى النعمان، فنفره عليه وقال: رجمتك بالشرف! فسمى مرجوماً ، وفيه يقول لبيد:

وقبيل من لكيز شاهد رهط مرجوم ورهط ابن المعل

فشده وثاقاً، فأرسل به إلى جرير وقال: احكم فيه فقال جرير:

لولا ابن عمرو بن مرجوم لقد خرجت شنعاء لا تتقي سمعاً ولا بصرا
إني لأرجو وراجي الخير مدركه أن يجبر الله في الدنيا بني عصرا
كم من يتيم ومسكين وأرملة وبائس في قديم الدهر قد جبرا

وقال جرير يرد على الصلتان:

أقول ولم أملك أمال بن حنظل متى كان حكم الله في كرب النخل

فاعترضه خليد عينين، من أهل هجر، فقال:

وأي نبي كان من أهل قرية وما الحكم يا ابن اللؤم إلا مع الرسل

فقال جرير:

فخل الفخر يا ابن أبي خليد وأد خراج رأسك كل عام
لقد علقت يمينك رأس ثور وما علقت يمينك باللجام

وقال جرير:

كم عمة لك يا خليد وخالة خضر نواجدها من الكراث
نبتت بمنبته فطاب لشمها ونأت عن القيصوم والجثجات

فسكت خليد.

وقال في أحمر بن غدانة:

نبئت عبداً بالعيون يسبني أحيمر سواراً على كرب النخل

فقال أحمر:

أعيرتنا بالنخل أن كان مالنا وود ابوك اللؤم لو كان ذا نخل

فهم جرير ببني عصر، فأتاه عبد العزيز بن عمرو بن مرجوم، فشده فأرسله إلى جرير، وحمل جريراً وكساه.

ذكر الأخطل حدثني عامر بن عبد الملك المسمعي قال: لما بلغ الأخطل تهاجى جرير والفرزدق قال لا بنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما، وتأتيني بخبرهما. قال: فلقيهما، ثم استمع، فاتى اباه فقال: جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: فجرير أشعرهما، ثم قال:

إني قضيت قضاء غير ذي جنف لما سمعت ولما جاءني الخبر

أن الفرزدق قد شالت نعامته وعضه حية من قومه ذكر

ثم قدم الأخطل الكوفة على بشر بن مروان، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بدارهم وحملان وكسوة وخمر – وبلغني أن الذي بعث بهذا شبة بن عقال المجاشعي – وقال للأخطل: فضل شاعرنا عليه وسبه. فقال الأخطل:

أخسأ كليب إليك إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً أخوان

قوم إذا خطرت غليك قرومهم جعلوك بين كلا كل وجران

وإذا وضعت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان

فقال جرير:

ياذا العباية إن بشراً قد قضى أن لا تجوز شهادة النشوان

وأخبرني أبو عبيدة النحوي قال: لما أتى الأخطل قول جرير:

جاريت مطلع الرهان بسنه روق شبيبته وعمرك فاني

ويروى:

جاريت مطلع الرهان بروقه ماء الشباب وماء روقك فاني

قال الأخطل: صدق ابن المراغة! وقد أديل مني حين أقول للنابغة بني جعدة:

لقد جارى أبو ليلى بقحم ومنتكث على التقريب وان

إذا خبط الخبار أكب فيه وخر على الجحافل والجران

يروى:" إذا دخل الخبار" . وكان الأخطل من أسن أهل طبقته.

أنشدني محمد بن الفضل الهاشمي لجرير في محمد بن عمير ابن عطارد:

إنا لنعلم ما أبوك بحاجب فالحق بأصلك من بني دهمان

وهي قصيدة.

وقال لشبة بن عقال، وكانت فيه شوهة، وذاك في ولده بين:

فضح العشيرة يوم يسلح قائماً ظل النعامة شبة بن عقال

وقال للأخطل:

رشتك مجاشع سكراً بفلس فلا تهنيك رشوة من رشاكا

وهي قصيدة طويلة.

وقال:

يا شب ويحك لا تكفر فوارسنا يوم ابن كبشة عالي الملك جبار

لولا حماية يربوع نساءكم كانت لغيركم فيهن أطهار

قال ابن سلام: وسألت بشاراً المرعث: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: لم يكن الخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير. فقلت لبشار: وأي شيء لجرير من المراثي إلا التي رثى بها امرأته؟ فأنشدني لجرير يرثي ابنه سوادة، ومات بالشام:

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

فارقتني حين كف الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي

أمسى سوادة يجلو مقلتي لحم باز يصرصر فوق المربأ العالي

قد كنت أعرفه مني إذا غلقت رهن الجياد ومد الغاية الغالي

إن الثوى بذي الزيتون فاحتسبي قد أسرع اليوم في عقلي وفي حالي

إلا تكن لك بالديرين معولة فرب باكية بالرمل معوال

كأم بو عجول عند معهده حنت إلى جلد منه وأوصال

حتى إذا عرفت أن لا حياة به ردت هماهم حري الجوف مثكال

زادت على وجدها وجداً وإن رجعت في الصدر منها خطوب ذات بلبال

حدثني عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي، عن المحرر بن أبي هريرة قال: إني بأريحا، في عسكر سليمان بن عبد الملك، وفيه جرير والفرزدق، إذ أتانا الفرزدق فقال: اشهدوا جنازة محمد ابن أخي، ثم قال:

بتنا بدير أريحاء بليلة خدارية يزداد طولاً تمامها

أكابد فيها نفس أقرب من مشى أبوه بإمر غاب عني نيامها

وكنا نرى من غالب في محمد شمائل يعلو الفاعلين كرامها

وكان إذا ما حل أرضاً تزينت بزينته صحراؤها وإكامها

سقي أريحاء الغيث وهي بغيضة إلينا ولكن كي ليسقاه هامها

ثم انصرف، وجاء جرير فقال: قد رأيت هذا و سمعت ما قال في ابن أخيه، وما ابن أخيه، فعل الله به وفعل؟ وذكر اللعن. قال: ومضى جرير، فلا والله ما لبثنا إلا جمعاً حتى جاء جرير فقام مقامه فقال: اشهدوا سوادة! ابنه.

ثم قال:

كان سوادة يجلو مقلتي لحم باز يصرصر فوق المربأ العالي

ودعتني حين كف الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي

إلا تكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

ما قيل في الأخطل وأحاديثه حدثني ابو يحيى الضبي قال: كان عبد الرحمن بن حسان ويزيد بن معاوية يتقاولان، فاستعلاه ابن حسان. قال يزيد لكعب ابن جعيل التغلبي: أجبه عني، واهجه؟ فقال: والله ما تلتقي شفتاي بهجاء الأنصار! ولكني أدلك على الشاعر الماهر الفاجر! فتى منا يقال له: غياث بن الغوث، نصراني.

وكان كعب سماه الأخطل، وذاك أنه سمعه ينشد هجاء فقال: يا غلام، إنك لأخطل اللسان.

قال أبو يحيى: قال كعب بن جعيل: إني قد هجوت نفسي ببيتين، وقد ضممت عليهما، فمن أصابهما فهو الشاعر. فقال الأخطل:

سميت كعباً بشر العظام وكان أبوك سمي الجعل

وإن محلك من وائل محل القراد من است الجمل

قال: هما هذان! قال أبو يحيى: أرسل إليه يزيد: أن أهجهم! فقال: كيف أصنع بمكانهم؟ أخافهم على نفسي! قال: لك ذمة أمير المؤمنين وذمتي. فذلك حين يقول:

ذهبت قريش بالسماحة والندى واللؤم تحت عمائم الأنصار

فجاء النعمان بن بشير الأنصاري إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين بلغ منا أمر ما بلغ منا مثله في جاهلية ولا إسلام!قال: من بلغ ذاك منكم؟ قال: غلام نصراني من بني تغلب. قال: ما حاجتك فيه؟ قال: لسانه.

قال ذاك لك.

وكان النعمان ذا منزلة من معاوية، وكان معاوية يقول: يا معشر الأنصار! تستبطئونني، وما صحبني منكم إلا النعمان بن بشير! وقد رأيتم ما صنعت به! وكان ولاه الكوفة وأكرمه.

فأخبر الأخطل، فصار إلى يزيد، فدخل يزيد إلى أبيه فقال: يا أمير المؤمنين، هجوني وذكروك، فجعلت له ذمتك وذمتي على أن رد عني! فقال معاوية للنعمان: لا سبيل إلى ذمة أبي خالد.

فذاك حيث يقول الخطل:

أبا خالد دافعت عني عظيمة ... وأدركت لحمي قبل أن يتبددا

وأطفأت عني نار نعمان بعدما ... أغذ لأمر فاجر وتجردا

ولما رأى نعمان دوني ابن حرة ... طوي الكشح إذ لم يستطعني وعردا

وما مفعم يعلو جزائر حامر ... يشق إليها خيزراناً وغرقدا

تحرز منه أهل عانات بعد ما ... كسا سورها الأدنى غثاء منضدا

كأن بنات الماء في حجراتها ... أباريق أهدتها دياف لصرخدا

يقمص بالملاح حتى يشفه ... الحذار وإن كان المشيح المعودا

بمطرد الآذى جون كانما ... زفا بالقراقير النعام المطردا

بأجود سيباً من يزيد إذا غدت ... به بخته يحملن ملكاً وسوددا

يقلص بالسيف الطويل نجاده ... خميص إذا السربال عنه تقددا

حدثني يونس، وعامر بن عبد الملك، وأبو الغراف، فألفت ما قالوا، قال: اتى الأخطل الكوفة، فأتى الغضبان بن القبعثري الشيباني، وهو يومئذ سيد بكر بن وائل، فسأله في حمالة، وكان سؤلة – على مثال فعلة – قال: إن شئت أعطيتك ألفين، وإن شئت أعطيتك درهمين. قال: ما بال الألفين، وما بال الدرهمين؟ قال: إن أعطيتك ألفين، لم يعطكها إلا قليل، وإن أعطينا درهمين، لم يبق بكري بالكوفة إلا أعطاك درهمين، وكتبنا لك إلى إخواننا من أهل البصرة، فلم يبق بكري إلا أعطاك درهمين، فخفت عليهم المؤونة وكثر لك النيل. قال: فهذه إذن. قال: نقسمها لك إلى أن ترجع من البصرة. فكتب له بالبصرة إلى سويد بن منجوف السدوسي، وهو زعيم بكر بن وائل بالبصرة.

قال يونس بن حبيب في حديثه: فنزل على آل الصلت ابن حريث الحنفي . فأخبرني من سمعه أنه قال: والله لا أزال أفعل ذاك.

ثم رجع إلى الحديث الأول، قال: وأتى سويداً بالكتاب، فأخبره بحاجته. قال: نعم! وأقبل على قومه فقال: هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له، وهو أهل أن نقضي حاجته، وهو الذي يقول:

إذا ما قلت قد صالحت بكراً ... أبى البغضاء لا النسب البعيد

وأيام لنا ولهم طوال ... يعض الهام فيهن الحديد

ومهراق الدماء بواردات ... تبيد المخزيات وما تبيد

هما أخوان يصطليان ناراً ... رداء الموت بينهما جديد

فهيجهم على الأخطل. قالوا: فلا ها الله! إذن والله لا نعطيه شيئاً.

فخرج وهو يقول:

فإن تمنع سدوس درهميها ... فإن الريح طيبة قبول

تواكلني بنو العلات منهم ... وغالت مالكاً ويزيد غول

صريعاً وائل هلكا جميعاً ... كان الرض بعدهما محول

يريد: مالك بن مسمع، ويزيد بن رويم الشيباني.

وقال لسويد بن منجوف، وكان سويد رجلاً تقتحمه العين، وليس بذي منظرة:

وما جذع سوء خرق السوس أصله ... لما حملته وائل بمطيق

ويروى:"خرب السوس جوفه".

وكان الأخطل مع مهارته وشعره، يسقط. كان مدح سماكاً الأسدي – وهو سماك الهالكي، بن عمير بن عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقبون القيون، ومسجد سماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها، فخرج أيام على هارباً فلحق بالجزيرة – فمدحه الأخطل فقال:

نعم المجير سماك من بني أسد ... بالمرج إذ قتلت جيرانها مضر

قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤه ... فاليوم طير عن أثوابه الشرر

ويروى:" قد كنت أنبؤه قيناً وأخبره".

إن سماكاً بني مجداً لأسرته ... حتى الممات وفعل الخير يبتدر

فقال سماك: يا أخطل، أردت مديحي فهجوتني! كان الناس يقولون قولاً فحققته! فلما هجا سويداً: يا أبا مالك، والله ما تحسن أن تهجو ولا تمدح! لقد أردت مدح الأسدي فهجوته – يعني قوله: "قد كنت أحسبه قيناً" – وأردت هجائي فمدحتني، جعلت وائلاً كلها حملتني أمورها، وما طمعت في بني ثعلبة،

فضلاً عن بكر ، فزدتني تغلب .

أبان بن عثمان البجلي، قال: مر الأخطل بالكوفة في بني رؤاس، ومؤذنهم ينادي بالصلاة، فقال بعض شبانهم: أبا مالك، ألا تدخل فتصلي؟ فقال:

أصلي حيث تدركني صلاتي ... وليس البر وسط بني رؤاس

حدثني أبو الحصين المدني قال: بينا الأخطل قد خلا مع صاحب له بخميرة لهما في نزهة، إذ طرأ عليهما طارئ لا يعرفانه ولا يستخفانه، فشرب شرابهما، وثقل عليهما، فقال الأخطل:

وليس القذى بالعود يسفط في الخمر ... ولا بذباب خطبه أيسر الأمر

ولكن شخصاً لا يسر بقربه ... ترامى به الغيظان من حيث لا ندري

ابان بن عثمان، حدثني أبي، قال: دعا الأخطل شاب من شباب أهل الكوفة إلى منزله، فقال: يا ابن أخي، أنت لا تحتمل المؤونة، وليس عليك محتمل! فلم يزل به حتى انتجعه. فاتى الباب فقال: يا شقراء! فخرجت إليه امرأة، فقال لها: أعلمي فلاناً مكاني. فقال لأمه: هذا أبو مالك قد زارنا! فباعت غزلاً فاشترت لهم لحماً ونبيذاً وريحاناً، فدخل خصاً لهم، فأكل معه وشرب، فقال في ذلك:

وبيت كظهر الفيل جل متاعه ... أباريقه والشارب المتقطر

ترى فيه أثلام الأصيص كأنها ... إذا بال فيها الشيخ حفر معور

لعمرك ما عشنا بيوم معيشة ... من الدهر إلا يوم شقراء أقصر

حوارية لا يدخل الذم بيتها ... مطهرة يأوي إليها مطهر

قال ابو يحيى الضبي: اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان، وكان يغرى بين الشعراء، فقال للأخطل: احكم بين الفرزدق وجرير. قال: أعفني أيها الأمير! قال: احكم بينهما! فاستعفاه بجهده، فأبى إلا أن يقول، فقال: هذا حكم مشؤوم!ثم قال: الفرزدق ينحت بذلك، وكان سبب الهجاء بينهما. فقال جرير في حكومته:

يا ذا العباية إن بشراً قد قضى ... أن لا تجوز حكومة النشوان

فدعوا الحكومة لستم من أهلها ... إن الحكومة في بني شيبان

قلوا كليبكم بلقحة جارهم ... يا خزر تغلب لستم بهجان

وقال الأخطل يرد عليه:

ولقد تقايستم إلى أحسابكم وجعلتم حكماً من الصلتان

فإذا كليب لا يساوي دارماً حتى يساوي حصرم بأبان

وغذا جعلت اباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان

وإذا وردت الماء كان لداروم عفواته وسهولة الأعطان

ثم استطار الهجاء.

وحدثني رجل من بني مروان، شامي، قال: اجتمع جرير والأخطل عند عبد الملك بن مروان، فقال له الأخطل: أين تركت أعيار أمك؟ قال: ترعى مع خنازير أبيك! أبو الغراف قال: تناشدا عند الوليد بن عبد الملك، فأنشد الأخطل كلمة عمرو بن كلثوم:

ألا هبى بصحنك فاصبحا

فتحرك الوليد، فقال: مغر يا جرير! يريد قصيدة أوس بن مغراء السعدي، ثم القريعي:

ماذا يهيجك من دار بفيحانا قفر توهمت منها اليوم عرفانا

منا النبي الذي قد عاش مؤتمناً وصاحباه وعثمان بن عفانا

تحالف الناس مما يعلمون لنا ولا نحالف إلا الله مولانا

محمد خير من يمشي على قدم وكان صافية لله خلصانا

فقال الأخطل: أعلى تعصب يا أمير المؤمنين! وعلى تعين! وانا صاحب عبد الرحمن بن حسان، وصاحب قيس، وصاحب كذا!! وكان الأخطل مستعلياً قيساً في حربهم، فقال:

إن السيوف غدوها ورواحها تركت هوازن مثل قرن الأغضب

وكان يونس ينشد هذا البيت:"غدوها ورواحها"، جعله ظرفاً.

وقال الأخطل:

لقد خبرت والأنباء تنمي لقد نجاك يا زفر الفرار

إلى أن قال:

ألا أبلغ الجحاف هل هو ثائر بقتلي أصيبت من سليم وعامر

فجمع لهم الجحاف السلمي ، وهو أحد بني فالج بن ذكوان، وولد بالبصرة هو وزفر بن الحارث، وكانا عثمانيين، فلما ظهر على بن أبي طالب على أهل البصرة، خرجا إلى الشام، فسادا أهلها. وزفر، من بني

نفيل بن عمرو بن كلاب، من ولد يزيد بن الصعق، وهو سيد شريف، وله يقول القطامي حين أسره فمن عليه:

من البيض الوجوه بني نفيل أبت أخلاقهم إلا ارتفاعا

فجمع لهم الجحاف جمعاً فأغار على البشر، وهي منازل تغلب، فأسرف في القتل فيهم، فاستخذأ الأخطل، فقال:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول

فإلا تغيرها قريش بملكها يكن عن قريش مستماز ومزحل

فقال: إلى أين؟ لا أم لك! قال: إلى النار.

فوثب عليه جرير عند استخذائه فقال:

فإنك والجحاف حين تعضه أردت بذاك المكث والورد أعجل

سما لكم ليلاً كأن نجومه قناديل فيهن الذبال المفتل

فما ذر قرن الشمس حتى تبينوا كراديس يهديهن ورد محجل

وما زالت القتلى تمج دماءها مع المد حتى ماء دجلة أشكل

فالا تعلق من قريش بذمة فليس على أسياف قيس معول

بكى دوبل، لا يرقيء الله دمعه! ألا انما يبكي من الذل دوبل

أنا أبو خليفة، قال ابن سلام، قال أبو الغراف، قال الأخطل: والله ما سمتني أمي دوبل الا يوما واحدا! فمن أين سقط الى الخبيث!! وقال الجحاف يجيب الأخطل:

أبا مالك، هل لمتني مذ حضضتني على القتل؟ أم هل لامني لك لائم؟

ولقى الجحاف الأخطل فقال: أبا مالك، كيف رأيت؟ قال: رأيت شيخا فاجرا.

وقال لي أبان الأعرج: أدرك الجحاف الجاهلية. فقلت له: لم تقول ذاك؟ قال لقوله:

شهدن مع النبي مسومات حنينا وهي دامية الكلام

نعرض للطعان إذا التقينا وجوها لا تعرض للطام

فقلت له: إنما عني خيل قومه بني سليم.

وذكرت ذلك لعبد القاهر بن السري فقال: جدي قيس ابن الهيثم أعطى حكيم بن أمية جارية ولدت له

الجحاف في غرفة في دارنا – لا أحسبه إلا قال –: رأيتها.

وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال:رأيت الجحاف يطوف بالبيت في أنفه خزام وهو يقول: اللهم أغفر لي، ولا أراك تفعل! فقلت: من هذا؟ قالوا: الجحاف. وكان بعد ذلك يتأله ويظهر التوبة.

ومر عكرمة بن ربعى الفياض التيمي بأسماء بن خارجة، حين فتلت تغلب عميربن الحباب، فقال عكرمة لأسماء: أبا مالك، قتلت تغلب عميرا في دارهم! قال: نعم، ومقبلا غير مدبر! قال: نعم. قال: فلا بأس! قال: فلما أدبر عكرمة قال أسماء:

يدي لك رهن من سليم بغارة تشيب لها أصداغ بكر بن وائل

وأن يتركوا رهط الفدوكس عصبة أيامي يتامى عرضة للقبائل

قال ابن سلام: قدم الأخطل الكوفة، فأتى حوشب ابن رويم الشيباني،فقال: اني تحملت حمالتين لأحقن بهما دماء قومي! فنهره. فأتى شداد بن البزيعة فسأله، فاعتذر اليه. فأتى عكرمة الفياض، وكان كاتبا لبشر بن مروان، فسأله وأخبره بمارد عليه الرجلان، فقال: أما اني لا أقرك ولا أعتذر اليك، ولكني أعطيك احداهما عينا والأخرى عرضا. قال: وحدث أمر بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: ان أردت أن تكافئ عكرمة يوما فاليوم فلبس جبة خز، وركب فرسا، وتقلد صليبا من ذهب، وأتى باب المسجد، ونزل عن فرسه. فلما رآه حوشب وشداد نفسا عليه ذلك، وقال له عكرمة: يا أبا مالك! فجاء فوقف، وابتدأ ينشد قصيدته:

لمن الديار بحائل فوعال

حتى انتهى الى قوله:

ان ابن ربعي كفاني سيبه ضغن العدو وعذرة المختال

أغلبت حين تواكلتني وائل، ان المكارم عند ذاك غوالي

ولقد مننت علي ربيعة كلها، وكفيت كل مواكل خذال

كابن البزيعة أو كآخر مثله، أولى لك ابن مسيمة الأجمال

ان اللئيم اذا سألت بهرته، وترى الكريم يراح كالمختال

واذا عدلت به لارجالا لم تجد فيض الفرات كراشيح الأوشال

قال: فجعل عكرمة يبتهج ويقول: هذه والله أحب الي من حمر النعم!.

أنا أبو خليفة الفضل بن الحباب، أنا ابن سلام قال: أخبرني أبو الغراف قال: لما قال جرير:

اذا أخذت قيس عليك وخندف بأقطارها، لم تدر من أين تسرح؟

فما أنشده الأخطل قال:لامن أين! سد والله على الدنيا! حتى أنشد قوله:

فمالك في نجدحصاة تعدها ومالك في غورى تهامة أبطح

فقال الأخطل: لا ابالي والله أن لا يكون! فتح، والصليب لي القول! ثم قال:

ولكن لنا بر العراق وبحره وحيث يرى القرقور في الماء يسبح

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال، قال أبو الخطاب، حدثني نوح بن جرير قال: قلت لأبي: أنت أشعر أم الأخطل؟ فنهرني وقال: بئس ما قلت! وما أنت وذاك لأم لك! فقلت: وما أنا وغيره! قال لقد أعنت عليه بكفر وكبر سن، وما رأيته الا خشيت أن يبتلعني.

وفي حديث أبي قيس العنبري، عن عكرمة بن جرير، حين سأل أباه عن الشعراء، فقال في الأخطل: يجيد نعت المولك، ويصيب صفة الخمر.

أخبرني أبو خليفة قال: أنبأنا محمد بن سلام قال: حدثني شيخ من ضبيعة قال: خرج جرير الى الشأم، فنزل منزلا لبني تغلب، فخرج متلثما عليه ثياب سفره، فلقيه رجل لا يعرفة، فقال: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أما سمعت ما قلت لغاوي بني تميم؟ – فأنشده مما قال لجرير – فقال: أما سمعت ما قال لك غاوي بني تميم؟ – فأنشده – ثم عاد الأخطل وعاد جرير في نقضه، حتى كثر ذلك بينهما. فقال التغلبي: من أنت؟ لا حياك الله! والله لكأنك جرير قال: فأنا جرير.قال: وأنا الأخطل أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام قال: سمعت سلمة بن عياش يقول: تذاكرنا جريرا والفرذدق والأخطل، فقال قائل: من مثل الأخطل؟ ان في كل بيت له بيتين، اذ يقول:

ولقد علمت، اذا العشار تروحت هدج الرثال، تكبهن شمالا،

انا نعجل بالعبيط لضيفنا قبل العيال، ونقتل الأبطالا

ولو شاء لقال:

ولقد علمت اذا العشار تروحت هدج الرثال

أنا نعجل بالعبيط لضيفنا قبل العيال

فكان هذا شعرا، وكان على غير ذلك الوزن.

وقيل للأخطل عند الموت: أتوصي أبا مالك فقال:

أوصي الفرزدق عند الممات بأم جرير وأعيارها

وزار القبور أبو مالك برغم العداة وأوتارها

أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام قال، فحدثني أبان بن عثمان قال: لما بلغ الفرزدق قول الأخطل، جعل يحن عليه ويقول: سآخذ بوصية أخي أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام قال، حدثني محمد بن حفص بن عائشة التيمي قال: قال اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب: خرجت مع أبي الى الشام، فخرجت الى دمشق أنظر الى بنائها، فاذا كنيسة، واذا الأخطل في ناحيتها. فلما رآني أنكرني، فسأل عني فأخبر بنسبي، فقال: يافتى ان لك موضعا وشرفا، وان الأسقف قد حبسني، فأنا أحب أن تأتيه تكلمه في اطلاقي. قال: قلت: نعم! فذهبت الى الأسقف وانتسبت له، فكلمته وطلبت اليه في تخليته. فقال: مهلا، أعيذك بالله أن تكلم في مثل هذا، فان لك موذعا وشرفا، وهذا ظالم يشتم أعراض الناس ويهجوهم! فلم أزل به حتى قام معي فدخل عليه الكنيسة، فجعل يوعده ويرفع عليه العصا،والأخطل يتضرع اليه، وهو يقول له: أتعود؟ أتعود؟ فيقول: لا! قال اسحاق: فقلت له: يا أبا مالك تهابك الملوك، وتكرمك الخلفاء، وذكرك في الناس عظيم أمره، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستحذي له! قال: فجعل يقول لي: انه الدين! انه الدين! أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام، حدثني محمد بن الحجاج الأسسيدي قال: خرجت الى الصائفة، فنزلت منزلا لبني تغلب، فلم أجد به طعاما ولا شرابا ولا علفا لدابتي شرى ولا قرى، و لم اجد ظلا. فقلت لرجل منهم: أما في داركم هذه مسجد أستظل بفيئه؟ قال: ممن أنت؟ قلت:من بني تميم. قال: ما كنت أرى عمك جريرا الا قد أخبرك حين قال:

فينا المساجد والامام، ولاترى في دار تغلب مسجدا مغمورا

أخبرني أبو خليفة، اجازة، عن محمد بن سلام قال، قال ابان بن عثمان، حدثني سماك بن حرب، عن ضوء بن اللجلاج قال: دخلت حماما باكوفة وفيه الأخطل، قال، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني ذهل. قال: أتروي للفرزدق شيئا؟ قلت: نعم. قال: ما أشعر خليلي! على أنه ما أسرع مارجع في هبته! قلت: وما ذاك: قال: لقوله:

أبني غدانة، انني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين ألأم آنف وسبال

وهبهم في الأول، ورجع في الآخر! فقلت: لو أنكر الناي كلهم هذا ما كان ينبغي أن تنكره أنت.قال: كيف؟ قلت: هجوت زفر بن الحارث، ثم خوفت الخليفة منه فقلت:

بني أمية، اني ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمنا زفر

مفترشا كافتراش الليث كلكلة لوقعة كائن فيها له جزر

ومدحت سماك بن مخرمة فقلت:

قدكنت أحسبه قينا وأخبره، فاليوم طير عن أثوابه الشرر

لو أردت المبالغة في هجائه ما زدت على هذا! فقال لي الأخطل: والله لولا أنك من قوم سبق لي منهم ما سبق، لهجوتك هجاء يدخل معك قبرك. ثم قال:

ما كنت هاجي قوم بعد مدحهم ولا تكدر نعمي بعد ما تجب

مقلدات الأخطل أنا أبو خليفة، أنا أبو سلام أنا أبو الغراف قال: أنشد الأخطل قصيدته التي يقول:

واذا افتقرت الي الذخائر، لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

فقال له هشام بن عبد الملك: هنيئا لك أبا مالك الإسلام! - أو قال: أسلمت! - قال: مازلت مسلماً! - يقول: في ديني -.

أخبرنا أبو خليفة اجازة، عن محمد بن سلام قال، قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أي البيتين عندك أجود؟: قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أم قول الأخطل:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فقلت: بيت جرير أحلى وأسير، وبيت الأخطل أجزل وأرزن. فقال: صدقت! وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة.

وقال الأخطل فيها:

حشد على الحق، من قول الخناخرس وان ألمت بهم مكروهة صبروا

بني أمية، اني ناصح لكم فلا تبيتن فيكم آمنا زفر

فان مشهدة كفر وغائلة وما تغيب من أخلاقه دعر

ان العداوة تلقاها، وان أقدمت، كالعهر يكمن أحياناويتنشر

بني أمية، قد ناضلت دونكم أبناء قوم هم آووا وهم نصروا

وقيس عيلان حتى أقبلوا رقصا فبايعوك جهارا بعدما كفروا

ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم، وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

وقوله لجرير:

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم، قالوا لأمهم: بولي على النار

وقوله له:

يا ابن المراغة، ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وأخوهم السفاح ظمأ خيله حتى وردن جبى الكلاب نهالا

فانعق بضأنك يا جرير فإنما منتك نفسك في الخلاء ضلالا

منتك نفسك أن تكون كدارم أو أن توازن حاجبا وعقالا

وقوله في قصيدته التي أوقع فيها بقيس قبيلة قبيلة، وشبب بهند بنت أسماء:

ألا يا اسلمى ياهند هند بني بدر وإن كان حيانا عدي آخر الدهر

وإن كنت قد أقصدتني إذ رميتني بسهمك والرامي يصيب ولا يدري

وقال فيها:

وقد سرني من قيس عيلان أنني رأيت بني العجلان سادوا بني بدر

قال: واستنشد سلم بن قتيبة – وهو أمير على البصرة – عيسى بن عمر، وكان أحسن الناس نشيدا، فأنشده كلمة الأخطل هذه فلما مضى فيها انتبه فأقصر. فقال له سلم: اضرب بها وجوهنا في ظلمة الليل أبا عمرو.

وقوله لجرير:

نخست بيربوع لتدرك دارما! لقد ضل من مناك تلك الأمانيا!

جريت شباب الدهر لم تستطعهم أفالآن لما أصبح الدهر فانيا!

أتشتم قوما أثلوك بنهشل ولولاهم كنتم كعكل مواليا؟

وقوله لمصقلة بن هبيرة الشيباني:

دع المغمر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكري: ما فعلا؟

إن ربيعة لن تنفك صالحة ما دافع الله عن حوبائك الأجلا

وقوله لبشر بن مروان:

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته: حاضراه الجود والحسب

وقوله:

فقلت: أصبحونا لا أبا لأبيكم؟ وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا

وقال فيها لخالد بن عبد الله بن أسيد:

أبي عودك المعجوم إلا صلابة وكفاك إلا نائلا حين تسأل

وقوله:

وشارب مربح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار

عذراء لم يجتل الخطاب بهجتها حتى اجتلاها عبادي بدينار

وقوله ليزيد بن معاوية:

وترى عليه إذا العيون شزرنه سيما الحليم وهيبة الجبار

الراعي والراعي: عبيد بن حصين، كان من رجال العرب ووجوه قومه، وكان يقال له في شعره: كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل! أي أنه لا يحتذي شعر شاعر ولايعارضه، وكان مع ذلك بذيا هجاء لعشيرته، قال له جرير:

وقرضك في هوازن شر قرض تهجيها وتمتدح الوطابا

قال ابن سلام: وسمعت يونس وقيل له: ما يعني الراعي بقوله:

يبيت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرارا

قال يونس: الحب: القرط، وقال: الشنف. والنضناض: الذي يخرج لسانه. قال يونس: يقولون: "حية ذكر، ونعامة ذكر، وشاة ذكر، وبطة ذكر" – ولم أسمعه منه –.

وكان بعد هجاء جرير له مغلبا. قال رجل من قومه، علامة وراوية فصيح: كان فحل مضر حتى ضغمه الليث! يعني جريرا.

ولقد هجا الراعي فأوجع. قال لابن الرقاع العاملي:

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

أخبرنا أبو خليفة قال، أخبرنا محمد بن سلام قال، قال أبو الغراف: جاور راعي الإبل بني سعد بن زيد مناة بن تميم، فنسب بامرأة منهم، من بني شمس، ثم أحد بني وابش، فقال:

بني وابش إنا هوينا جواركم وما جمعتنا نية قبلها معا

خليطين من حيين شتى تجاورا جميعا وكانا بالتفريق أضيعا

أرى أهل ليلى لا يبالي أميرهم على حالة المحزون أن يتصدعا

وقال فيها أيضا:

تذكر هذا القلب هند بني سعد! سفاها وجهلا ما تذكر من هند!!

تذكر عهدا كان بيني وبينها قديما وهل أبقت لك الحرب من عهد !!

قال ابن سلام: فلما بلغهم شعره أزعجوه وأصابوه بأذى، فخرج عنهم، وقال فيهم:

أرى إبلي تكالأ راعياها مخافة جارها الدنس الذميم

وقد جاورتهم فرأيت سعدا شعاع الأمر عازبة الحلوم

فأمى أرض قومك! إن سعدا تحملت المخازي عن تميم

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، وحدثني أبو يحيى الضبي قال: وفد الراعي إلى عبد الملك يشكو بعض عماله، وكانت قيس زبيرية، وكان عبد الملك ثقيل النفس عليه، فأتاه وقد قال في مديحه بشر بن مروان، في كلمة يعتذر من تزبر قومه:

فلو كنت من أصحاب مروان إذ دعا بعذراء يممت الهدى إذ بداليا

على بردى إذ قال: إن كان عهدهم أضيع فكونوا لاعلى ولاليا

ولكنني غبيت عنهم فلم يطع رشيد ولم تعص العشيرة غاويا

قال: فأنشدها جابر بن جندل، أبا عبد الله الفزاري، فقال: هو الذي يخطب الدراهم حتى أتت قومه.

وقال لعبد الملك:

إني حلفت على يمين برة لا أكذب اليوم الخليفة قيلا

ما إن أتيت أبا خبيب وافدا يوما أردت لبيعتي تبديلا

ولا أتيت نجيدة بن عويمر أبغى الهدى فيزيدني تضليلا

أزمان قومي والجماعة كالذي لزم الرحالة أن تميل مميلا

أخذوا العريف فشققوا حيزومه بالأصبحية قائما مغلولا

كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الشريف هديلا

فارفع مظالم عيلت أبناءنا عنا وأنقذ شلونا المأكولا

ولئن بقيت لأدعون لطية تدع الفرائض بالشريف قليلا

فقال له عبد الملك: وأين من الله والسلطان، لا أم لك؟! فقال: يا أمير المؤمنين: من عامل إلى عامل، ومصدق إلى مصدق فلم يحظ و لم يحل منه بشيء.

فوفد إليه من قابل، فقال في كلمة أخرى:

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

واختل ذو المال والمثرون قد بقيت على التلاتل من أموالهم عقد

فإن رفعت بهم رأسا نعشتهم وإن لقوا مثلها في قابل فسدوا

فقال له عبد الملك: أنت العام أعقل منك عام أول.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبو الورد الكلابي قال: اجتمع الراعي: أما الشعر فالأمير أعلم به، ولكن والله ماتمخضت تغلبية عن مثلك! – وأم بشر: قطية بنت بشر بن عامر بن مالك أبي براء ملاعب الأسنة – وقال له الراعي:

نزلت من البطحاء في آل جعفر ومن عبد شمس منزلا متعاليا

وقال الأخطل في حرب تغلب وقيس، في التي هجا فيها قبائل قيس:

وقد سرني من قيس عيلان أنني رأيت بني العجلان سادوا بني بدر

وقد غبر العجلان حينا إذا بكى على الزاد ألقته الوليدة في الكسر

فيصبح كالخفاش يدلك عينه فقبح من وجه لئيم ومن حجر

فعارضه الراعي فقال:

برهظ ابن كلثوم بدأنا فأصبحوا لتغلب أذنابا وكانوا نواصيا

وغارتنا أودت ببهراء إنها تصيب الصريح مرة والمواليا

وقال وكانت امرأة من العرب، من بني نمير، حسانة، وكانت تظغن مع الراعي إذا ظغن، وتحل معه إذا حل. فغار رجل منهم – يقال إنه من قيس كبة – فقطع بطانها لما رحلت، فسقط هودجها وعنتت، فقال الراعي:

ولم أر معقورا به وسط معشر أقل انتصارا باللسان وباليد

سوى نظر ساج بعين مريضة جرت عبرة منها ففاضت بإثمد

بكت عين من أذرى دموعك إنما وشى بك واش من بني أخت مسرد

فلو كنت معذورا بنصرك طيرت صقوري غربان البعير المقيد

قال وكان أوس بن مغراء السعدي القريعي يهاجي النابغة الجعدي وراعي الإبل وابن السمط، من بني عامر بن صعصعة، فقال الراعي لأوس بن مغراء:

وأوس بن مغراء الهجين يسبني وأوس بن مغراء الهجين أعاقبه

تمنى قريش أن تكون أخاهم! لينفعك القول الذي أنت كاذبه!

قريش الذي لا تستطيع كلامه ويكسر عند الباب أنفك حاجبه !!

فسالم أوس بن مغراء، الجعدي وابن السمط، فقال الراعي في صلحهم:

فإن كنت يا ابن السمط سالمت دوننا وقيس أبو ليلى فلما نسالم

وإن كنتما أعطيتما القوم موثقا فلا تغدوا واستسمعا للمراجم

فإني زعيم أن أقول قصيدة محبرة كالنقب بين المخارم

خفيفة أعجاز المطي ثقيلة على قرنها نزالة بالمواسم

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، حدثني جابر بن جندل الفزاري بقصة، وفي إثرها قال: وضاف الراعي رجل من بني كلاب في سنة حصاء و لم يحضره قرى، وكان الكلابي على ناب له، فأمر الراعي ابن أخ له، يقال له حبتر، فنحرها، فأطعمها إياه ولا يعلم الكلابي فعيره بنوعم له من قومه كانوا يهاجونه: الحلال وخترر، فزعم أنه أخلفها له، وقال الراعي:

عجبت من السارين والريح قرة إلى ضوء نار بين فردة والرحا

إلى ضوء نار يستوي القد أهلها وقد يكرم الأضياف والقد يشتوي

فلما أتونا فاشتكينا إليهم بكوا وكلا الحيين مما به بكى

بكى معوز من أن يلام وطارق يشد من الجوع الإزار على الحشا

فطأطأت طرفي هل أرى من سمينة تدارك فيها ني عامين والصوى!

فأبصرتها كوماء ذات عريكة هجانا من اللاتي تمتعن بالصوى

فأومضت إيماضا خفيا لحبتر ولله عينا حبتر! أيما فتى!

فقلت له: ألصق بأيبس ساقها فإن يجبر العرقوب لا يرقأ النسا

فقام إليها حبتر بسلاحه مضى غير منكود ومنصله انتضى

كأني وقد أشبعته من سنامها كشفت غطاء عن فؤاجي فانجلى

فبتنا وباتت قدرنا هزة لنا قبل ما فيه شواء ومصطلى

وأصبح راعينا بريمة عندنا بستين أنقتها الأسنة والخلا

فقلت لرب الناب: خذها فتية وناب عليها مثل نابك في الحيا

الطبقة الثانية

البعيث، واسمه خداش بن بشر بن خالد بن بيبة بن قرط ابن سفيان بن مجاشع بن دارم. وسمي البعيث بقوله:

تبعث مني ما تبعث بعد ما أمرت حبال كل مرتها شزرا

وهو أول شعر قاله.

والقطامي، واسمه عمرو بن شييم بن عمرو، أحد بني بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب.

وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي، وهو ابن أبي جمعة، وكنيته أبو صخر، وهو عند أهل الحجاز أشعر من كل من قدمنا عليه.

وذو الرمة، واسمه غيلان، وهو الذي يقول:

أنا أبو الحارث، واسمي غيلان

ابن عقبة بن هميش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن أد، وهم عدي التيم، وتيم عدي، والتيم من الرباب وكان البعيث شاعرا فاخر الكلام حر اللفظ، وقد غلبه، جرير وأخمله. وكان قد قاوم جريرا في قصائد، ثم ضج إلى الفرزدق واستغاثه.

وكان القطامي شاعرا فحلا، رقيق الحواشي، حلو الشعر. والأخطل أبعد منه ذكرا وأمتن شعرا.

وكان زفر بن الحارث أسره في حرب بينهم وبين تغلب، فمن عليه وأعطاه مئة من الإبل ورد عليه ماله، فقال القطامي في كلمة له:

من مبلغ زفر القيسي مدحته عن القطامي قولا غير إفناد

إني وإن كان قومي ليس بينهم وبين قومك إلا ضربة الهادي

مثن عليك بما أسلفت من حسن وقد تعرض مني مقتل بادي

فلن أثيبك بالنعماء مشتمة ولن أبدل إحسانا بإفساد

فإن هجوتك ما تمت محافظتي وإن مدحت لقد أحسنت إصفادي

إذ يعتريك رجال يسألون دمي ولو تطيعهم أبكيت عوادي

وإذ يقولون: أرضيت العداة بنا! لا بل قدحت بزند غير صلاد

ولا كردك مالي بعدما كربت تبدي الشماتة أعدائي وحسادي

فإن قدرت على يوم جزيت به والله يجعل أقواما بمرصاد

قال ابن سلام: فلما بلغ زفر قوله، قال: لا قدرت على ذلك اليوم.

وقال القطامي يمدحه في أخرى:

ومن يكن استلام إلى ثوى فقد أحسنت يا زفر المتاعا

أكفر بعد دفع الموت عني وبعد عطائك المئة الرتاعا؟

ولم أر منعمين أقل منا وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا

من البيض الوجوه بني نفيل أبت أخلاقهم إلا اتساعا

بني القرم الذي علمت معد تفضل فوقهم حسبا وباعا

والقطامي الذي يقول:

ألم يحزنك أن حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا

أمور لو تدبرها حليم إذا لنهى وهيب ما استطاعا

ولكن الأديم إذا تفرى بلى وتعينا غلب الصناعا

ومعصية الشفيق عليك مما يزيدك مرة منه استماعا

وخير الرأي ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا

وقال يمدح أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

إذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مطرت على الأرض السماء

ولا رجع البريد بغنم خير ولا حملت على الطهر النساء

وقال فيه أيضا:

وعليك أسماء بن خارجة الذي على الفعال ورفع البنيانا

فستعلمين :أصادر وراده عنه وأي فتى فتى غطفانا؟

وكان كثير شاعر أهل الحجاز، وإنهم ليقدمونه على بعض من قدمنا عليه. وهو شاعر فحل، ولكنه منقوص حظه بالعراق.

وسمعت يونس النحوي يقول: كان ابن أبي إسحاق يقول: كان كثير أشعر أهل الإسلام.

قال ابن سلام: ورأيت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدا، يقول: كان يستقصي المديح.

وكان فيه مع جودة شعره خطل وعجب، وكانت له منزلة عند قريش وقدر قال: وقدم على عبد الملك بن مروان الشام فأنشده، والأخطل عنده، فقال عبد الملك: كيف ترى يا أبا مالك! قال: أرى شعرا حجازيا مقرورا، لو ضغطه برد الشام لاضمحل.

قال: وأخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: دخل كثير على عبد الملك فأنشده مدحته وفيها:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها وأذلها

فقال له عبد الملك: أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس ابن معدي كرب؟:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال يا أمير المؤمنين! وصفه بالخرق، ووصفتك بالحزم.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، أخبرني عثمان بن عبد الرحمن قال: أنشد كثير عبد الملك بن مروان حين أزمع بالمسير إلى مصعب:

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت وبكى مما شجاها قطينها

فقال عبد الملك: والله لكأنه شهد عاتكة! بنت يزيد بن معاوية وهي امرأته، أم يزيد بن عبد الملك.

وقدم كثير على يزيد بن عبد الملك وقد مدحه بقصائد جياد مشهورة، فأعجب بهن يزيد، وقال له: احتكم. قال: وقد جعلت ذلك إلي! قال: نعم. قال: مئة ألف. قال: ويحك! مئة ألف!! قال: على جود أمير المؤمنين أبقى أم على بيت المال؟ قال: ما بي استكثارها، ولكني أكره أن يقول الناس: أعطي شاعرا مئة ألف، ولكن فيها عروض؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فكان يحضر سمر يزيد ويدخل عليه، فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين ما يعني الشماخ بقوله:

إذا عرقت مغابنها وجادت بدرتها قرى جحن قتين

قال: فسكت عنه يزيد، فقال: بصبصن إذ حدين! ثم أعاد فسكت عنه يزيد، فقال: بصبصن إذ حدين! فقال له يزيد: وما على أمير المؤمنين أن لا يعرف هذا؟ هو القراد أشبه الدواب بك! – وكان كثير قصيرا متقارب الخلق – فحجب عن يزيد فلم يصل إليه، فكلم مسلمة بن عبد الملك يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، مدحك؟ قال: بكم مدحنا؟ قال: بسبع قصائد. قال: فله سبعمئة دينار، والله لا أزيده عليها.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، نا – أو حدثني – ابن جعدبة وأبو اليقظان، عن جويرية بن أسماء قال: مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، فأجفلت قريش في جنازة كثير، و لم يوجد لعكرمة من يحمله.

وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعا في النسيب، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل. وكان جميل صادق الصبابة، وكان كثير يتقول، و لم يكن عاشقا، وكان راوية جميل.

وهو القائل:

ألمم بعزة إن الركب منطلق وإن نأتك ولم يلمم بها خرق
قامت تراءى لنا والعين ساجية كأن إنسانها في لجة غرق
ثم استدار على أرجاء مقلتها مبادرا خلسات الطرف يستبق
كأنه حين مار المأقيان به در تحلل من أسلاكه نسق

قال وسمعت الناس يستحسنون من قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال ابن سلام: وسمعت من يطعن عليه يقول: ما له يريد ينسى ذكرها؟ تعلق الناس على كثير بقوله:

فإن أمير المؤمنين هو الذي غزا كامنات الصدر مني فنالها

وقوله:

ترى ابن أبي العاصي وقد صف دونه ثمانون ألفا قد توافت كمولها
يقلب عيني حية بمحارة إذا أمكنته شدة لا يقيلها

قال ابن سلام: فقلت لابن أبي حفصة: من جودة مديحه هذا، جعل دونه ثمانين ألفا! وجعله يقلب عيني حية بمحارة! وجعل أمير المؤمنين غزا كامنات صدره!. فقال: هذا النابغة قال لملك العرب:

أحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمد

أمره أن يحكم كحكم فتاة وقال كثير لعبد العزيز بن مروان:

وما زالت رقاك تسل ضغني وتخرج من مضابئها ضبابي

ويرقيني لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب

وحدثني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: كان علماؤنا يقولون: أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة.

وقوله:

بها العين والآرام فوضى كأنها ذبال تذكي أو نجوم طوالع

وقوله:

كأن يدي حربائها متشمسا يدا مجرم يستغفر الله تائب

وقوله:

فنلنا صدورا من حديث كأنه جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال، أخبرنا أبو البيداء الرياحي قال، قال جرير: قاتل الله ذا الرمة حيث يقول:

ومنتزع من بين نسعيه جرة نشيج الشجا جاءت إلى ضرسه نزرا

أما والله لو قال: "من بين جنبيه"، لما كان عليه من سبيل.

حدثنا أبو خليفة، عن ابن سلام قال: كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين، وكان يروى عنهما وعن الصحابة، وكذلك ذو الرمة، هو دونهما ويساويهما في بعض شعره.

قال: ويقال إن ذا الرمة راوية راعي الإبل، ولم يكن له حظ في الهجاء، وكان مغلبا.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: إنما شعره نقط عروس: يضمحل عن قليل، وأبعار ظباء: لها مشم في أول شمها ثم تعود إلى أرواح البعر.

أخبرني محمد بن يحيى، عن الفضل بن الحباب، عن محمد ابن سلام قال: مر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد:

أمنزلتي مي سلام عليكما هل الأزمن اللائي مضين رواجع

فوقف حتى فرغ منها. فقال: كيف ترى يا أبا فراس؟ قال: أرى خيرا. قال: فمالي لا أعد في الفحول؟ قال: يمنعك عن ذلك صفة الصحاري وأبعار الإبل. وولى الفرزدق وهو ينشد:

ودوية لو ذو الرميمة رامها بصيدح أودى ذو الرميم وصيدح

قطعت إلى معروفها منكراتها إذا خب آل دونها يتوضح

وكان هوى ذي الرمة مع الفرزدق على جرير، وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمي، وتيم وعدي أخوان من الرباب، وعكل أخوهم ولذلك يقول جرير:

فلا يضغمن الليث عكلا بغرة وعكل يشمون الفريس المنيبا

الفريس ههنا: ابن لجأ. وكذلك يفعل السبع: إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقته، أقبلت الغنم تشم موضع الضغم، فيفترسها السبع وهي تشم، ولذلك قال جرير لبني عدي:

وقلت نصاحة لبني عدي: ثيابكم ونضح دم القتيل

يحذر عديا ما لقى ابن لجأ أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، أخبرني أبو يحيى الضبي قال، قال ذو الرمة يوما: لقد قلت أبياتا إن لها لعروضا، وإن لها لمرادا ومعنى بعيدا. قال الفرزدق: وما قلت؟ قال قلت:

أحين أعاذت بي تميم نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد

ومدت بضبعي الرباب ومالك وعمرو وشالت من ورائي بنو سعد

ومن آل يربوع زهاء كأنه زها الليل محمود النكاية والرفد

فقال له الفرزدق: لا تعودن فيها، فأنا أحق بها منك! قال: والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبدا إلا لك.

فهي في قصيدة الفرزدق التي يقول فيها:

وكنا إذا القيسي نب عتوده ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

الأنثيان: الأذنان. والكرد: العنق.

أنا أبو خليفة، نا محمد بن سلام، حدثني أبو الغراف قال: مر ذو الرمة بمنزل لامرئ القيس بن زيد مناة، يقال له "مرأة" به نخل، فلم ينزلوه و لم يقروه، فقال:

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت علينا حصى المعزاء شمس تنالها

أنخنا فظللنا بأبراد يمنة عتاق وأسياف قديم صقالها

فلما رآنا أهل مرأة أغلقوا مخادع لم ترفع لخير ظلالها

وقد سميت باسم امرئ القيس قرية كرام صواديها لئام رجالها

فلج الهجاء بني ذي الرمة وبين هشام المرئي.

فمر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد:

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه

فقال الفرزدق ألهاك التبكاء في الديار، والعبد يرجز بك في المقبرة! يعني هشاما.

وكان ذو الرمة مستعليا هشاما، حتى لقى جرير هشاما فقال:غلبك العبد! – يعني ذا الرمة –. قال: فما أصنع يا أبا حزرة، وأنا راجز وهو يقصد، والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء؟ فلو رفدتني! فقال له جرير – لتهمته ذا الرمة وميله إلى الفرزدق – قل له:

غضبت لرهط من عدي تشمسوا! وفي أي يوم لم تشمس رحالها
وفيم عدي عبد تيم من العلا وأيامنا اللاتي يعد فعالها؟

وضبة عمي يا ابن جل فلاترم مساعي قوم ليس منك سجالها
يماشي عديا لؤمها لا تجنه من الناس ما ماشت عديا ظلالها
فقل لعدي تستعن بنسائها على فقد أعي عديا رجالها
أذا الرم قد قلدت قومك رمة بطئيا بأيدي المطلقين انحلالها

قال ابن سلام، فحدثني أبو الغراف قال: لما بلغت الأبيات ذا الرمة قال: والله ما هذا بكلام هشام، ولكنه كلام ابن الأتان.

قال: وحدثني أبو البيداء قال: لما سمعها قال؟ هو والله شعر حنظلي عدوي.

وغلب هشام على ذي الرمة.

وكان ذو الرمة يتشبب بمي بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقري، وكانت كترة أمة مولدة لآل قيس بن عاصم – وهي أم سهم ابن بردة اللبن، الذي قتله سنان بن مخيس القشيري، أيام محمد بن سليمان – فقالت كترة:

على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب الخزي لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طعمه ولو كان لون الماء في العين صافيا

ونحلتها ذا الرمة. فامتعض من ذلك، وحلف بجهد أيمانه ما قالها، قال: وكيف أقول هذا، وقد قطعت دهري وأفنيت شبابي أشبب بها وأمدحها! ثم أقول هذا!!، ثم طلع على أن كترة قالتها ونحلتها إياه.

وأخبرني أبو سوار الغنوين وكان فصيحا، قال: رأيت ميا ورأيت معها بنين لها، صغار. قلت: فصفها.

قال: مسنونة الوجه، طويلة الخدين، شماء الأنف، عليها وسم جمال، فقالت لي: ما تلقيت بأحد من هؤلاء إلا في الإبل. قلت له: أفكانت تنشدك ما قال فيها ذو الرمة؟ قال: إي والله، تسح سحا ما رأى مثله أحد.

قال: حدثني أبو يحيى الضبي قال: لقى ذو الرمة رؤبة فقال له ذو الرمة: ما يعني الراعي بقوله:

أناخا بأشوال طروقا بخبة قليلا وقد أعي سهيل فعردا

فجعل رؤبة يقع مرة ههنا ومرة ههنا، إلى أن قال: هي أرض بين المكلئة والمجدبة. وكذاك هي.

قال: وكان ذو الرمة أيضا ينسب بخرقاء، إحدى نساء بني عامر بن ربيعة، وكانت تحل فلجة ويمر بها الحاج، فتقعد لهم وتحدثهم وتهاديهم وتقول: أنا منسك من مناسك الحج. ثم كانت تجلس معها فاطمة ابنتها، فحدثني من رآها قال: لم تكن فاطمة مثلها. وإنما قالت: "أنا من مناسك الحج"، يقول ذي الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

وقال فيها:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم؟

تثني الخمار على عرنين أرنبة شماء مارنها بالمسك مرثوم

وكانت مية عند ابن عم لها يقال له عاصم، فيه يقول ذو الرمة:

ألا ليت شعري هل يموتن عاصم ولم تشتعبني للمنايا شعوبها!

رمى الله من حتف المنية عاصما بقاصمة يدعى لها فيجيبها

قال وحدثني أبي سلام، قال: دخلت على خرقاء فقالت: اخرجي يا فاطمة! - تعني ابنتها - فخرجت امرأة جميلة، وليست كأمها.

قال ابن سلام في خبره: وأرسلت خرقاء، إلى القحيف العقيلي تسأله أن يشبب بها فقال:

لقد أرسلت خرقاء نحوي جريها لتجعلني خرقاء فيمن أضلت

وخرقاء لا تزداد إلا ملاحة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

قال وحدثني محمد بن أبي عدي الفقيه قال، قال ذو الرمة: بلغت نصف عمر الهرم، وأنتا ابن أربعين سنة.

قال: ولم يبق ذو الرمة بعد ذلك إلا قليلا، لأنه مات شابا.

قال ابن سلام: حدثني أبو الغراف، أنه مات وهو يريد هشاما، وقال في طريقه ذلك:

بلاد بها أهلها لست ابن أهلها وأخرى بها أهلون ليس لها أهل

قال: وكانوا إخوة ثلاثة: غيلان، وهو ذو الرمة، وأوفى، ومسعود، بنو عقبة، فهلك أوفى، ثم هلك ذو الرمة، فقال مسعود:

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين ملآن مترع
ولم ينسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكأ القرح بالقرح أوجع

ولمسعود يقول ذو الرمة:

بل عجبت أخت بني لبيد وهزئت مني ومن مسعود
رأت غلامي سفر بعيد يدرعان الليل ذا السدود
مثل أدراع اليلمق الجديد أما بكل كوكب حريد

إذا سهيل لاح كالوقود فردا كشاة البقر المطرود
يا صاحبي صوتا بالقود وعللاهن بهيد هيد

وفيها يقول:

أشعث باق رمة التقليد

وبهذه الكلمة سمي ذا الرمة.

وحدثني أبي – سلام بن عبيد الله – قال: رأيت ذا الرمة، ورأيت لمته وهيئته. وقال لأبي الغراف: فيك مشابه منه.

حدثني أبو الغراف قال: دارأ الحكم بن عوانة ذا الرمة في بعض قوله، فقال فيه:

فلو كنت من كلب صحيح هجوتكم جميعا ولكن لا إخالك من كلب
ولكنما أخرت أنك ملصق كما ألصقت من غيرها ثلمة القعب
تدهدي فجرت ثلمة من صحيحة فلز بأخرى بالغراء وبالشعب

وحدثني أبو الغراف قال: دخل ذو الرمة على بلال ابن أبي بردة، وكان بلال راوية فصيحا أديبا، فأنشد بلال أبيات حاتم طيء:

لحا الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
يرى الخمس تعذيبا وإن نال شبعة يبت قلبه من قلة الهم مبهما

فقال ذو الرمة: "يرى الخمص تعذيبا". وإنما الخمس للإبل! وإنما هو خمص البطون! فمحك بلال، وكان محكا، وقال: هكذا أنشدنيها رواة طيء. فرد عليه ذو الرمة، فمحك. فدخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تنشدها؟ فعرف أبو عمرو الذي به، فقال: كلا الوجهين. فقال: أتأخذون عن ذي الرمة؟ قال: إنه لفصيح، وإنا لنأخذ عنه بتمريض. وخرجا من عنده، فقال ذو الرمة لأبي عمرو: والله لولا أني أعلمك حطبت في حبله وملت في هواه، لهجوتك هجاء لا يقعد إليك معه اثنان.

الطبقة الثالثة

من الإسلاميين: أربعة كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة بن عوف مالك ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل.

وعمرو بن أحمر بن العمرد بن تميم بن ربيعة بن حرام ابن فراص بن معن الباهلي.

وسحيم بن وثيل بن أعيفر بن أبي عمرو بن إهاب بن حميري ابن رياح بن يربوع.

وأوس بن مغراء، من قريع بن عوف بن كعب ابن سعد.

كعب بن جميل: شاعر مفلق قديم في أول الإسلام، أقدم من الأخطل والقطامي، وقد لحقا به وكانا معه، وهو يقول:

وأبيض جني عليه سموطه — من الإنس في قصر منيف غواربه
تدليته سقط الندى بعد هجعة — فبت أمنية المنى وأخالبه
بما ينزل الأروى من الشعف العلي — وما لو يسنى حية مال جانبه
ندمت على شتم العشيرة بعد ما — مضى واستتبت للرواة مذاهبه
فأصبحت لا أستطيع ردا لما مضى — كما لا يرد الدر في الضرع حالبه
معاوي أنصف تغلب ابنة وائل — من الناس أودعها وحيا تضاربه
قليل على باب الأمير لباثتي — إذا رابني باب الأمير وحاجبه
ولما تداروا في تراث محمد — سمت بابن هند في قريش مضاربه

وكعب يقول في عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وقتل بصفين وهو مع معاوية، قتلته بنو شيبان:

ألا إنما تبكي العيون لفارس — بصفين أجلت خيله وهو واقف
تبدل من أسماء أسياف وائل — وكان فتى لو أخطأته المتالف
تركن عبيد الله بالقاع مسندا — تمج دم الجوف العروق النوارف

يحللن عنه جيب درع حصينة وأي فتى لو أخطأته المآلف

وحافظ صدر من ربيعة صابر وطار الوشيظ عنهم والزعانف

إذا قيل: أي الناس شر قبيلة؟ بني أسد إني لما قيل عارف

أغرتم علينا تسرقون عيابنا وما إن لنا في بطن صفين قائف

وسحيم بن وثيل الرياحي، شريف مشهور الأمر في الجاهلية والإسلام، جيد الموضع في قومه، شاعر خنذيذ. وكان الغالب عليه البداء والخشنة، وهو الذي ناحر غالب بن صعصعة – أبا الفرزدق – بالكوفة، أيام على بن أبي طالب رضى الله عنه. تفاخرا، وقد أقدما جلبا لهما، فتناحرا، فجعل غالب لا يفرس، وجعل سحيم يفرس. فقيل له: أتجاري هوج بني دارم؟ أقلع. وغدا الناس بالمدى والجفان ليأخذوا اللحم، فقال علي: يا أيها الناس! لا تأكلوا منه فإنه مما أهل لغير الله به. فأرتدع الناس.

قال: كان عثمان بن عفان رضى الله عنه استعمل سمرة بن عمرو بن قرط بن جناب بن عدي بن جندب العنبري – في ولده وأسرته شرف إلى اليوم، يقال لهم بنو السمرات – فاستعمله على هوامي عمرو ابن تميم وفلج وما يليها. فكان لا يخبر بضألة في قوم إلا أخذها فعرفها. فكان من ذهبت له ضالة طلبها عنده. فبلغه أن ناقة في إبل بني وثيل، فأتاهم وأعبد معه، وليس هناك من بني وثيل أحد، وأمهم ليلى بنت شداد، من بني حمير بن رياح بن يربوع، عجوز كبيرة في غلمة لهم، فقال: أعرضوا على الإبل، فأبت. فأخذ ليعرضها، فأهوت له، فدفعها، فقالت: فمي! فمي! وزعموا أن ثنيتيها قد كانتا سقطتا قبل ذلك بزمان. فلما رأى ذلك سمرة لها عنها وترك الإبل. فلما قدم سحيم بن وثيل إلى أمه أخبرته الخبر، فسكت حتى يلقى عبيد ابن غاضرة بن سمرة، فصرعه فدق فمه، فاستعدى عليه سمرة ابن عفان – وكان عثمان إذا عاقب بالغ – فأشخص سحيم إليه إلى المدينة، وحبست إبله حتى ضاعت، فقال لعثمان: يا أمير المؤمنين، إنه كسر فم أمي! قال: ألا استعديت عليه؟ وقال عثمان: لأقطعن منك طابقا أو يرضى سمرة. وصادف سحين بن وثيل يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل – أخا لليلى بنت مسعود، أم عبيد الله ابن على بن أبي طالب – ونعيما أبا قران اليربوعي، فقاما بأمر سحيم، وحملا للعنبري مئة من الإبل، فقال في ذلك سحيم ابن وثيل:

كفاني أبو قران نفسي فداؤه ومن يك مولاه فليس بواحد

وسحيم بن وثيل القائل:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ألم تر أنني في حميري مكان الليث من وسط العرين
عذرت البزل إن هي خاطرتني فما بالي وبال ابني لبون
وماذا يغمز الأعداء مني وقد جاوزت رأس الأربعين

وعمرو بن أحمر صحيح الكلام كثير الغريب، وهو القائل:

إن الفتى يقتر بعد الغنى ويغنتي من بعد ما يفتقر
والحي كالميت ويبقى التقى والعيش فنان: فحلو ومر
إما على نفسي وإما لها فعايش النفس وفيها وقر
هل يهلكني بسط ما في يدي أو يخلدني منع ما أدخر؟
أو ينسأن يومي إلى غيره أني حوالي وأني حذر؟
ولن ترى مثلي ذا شيبة أعلم ما ينفع مما يضر

الطبقة الرابعة

نهشل بن حري، أحد بني نهشل بن دار.

وحميد بن ثور الهلالي.

والأشهب بن رميلة.

وعمر بن لجأ التيمي، من تيم الرباب.

فنهشل بن حري: شاعر شريف مشهور. وأبوه حري: شاعر مذكور. وجده ضمرة بن ضمرة: شريف فارس شاعر بعيد الذكر كبير الأمر. وأبوه: ضمرة بن جابر: سيد ضخم الشرف بعيد الذكر. وأبوه جابر: له ذكر وشهرة وشرف. وأبو قطن: له شرف وفعال وذكر في العرب. فهم ستة كما ذكرنا، لا أعلم في تميم رهطا يتوالون توالي هؤلاء.

ونهشل بن حرى الذي يقول:

إذا كنت جارا لأمرئ فارهب الخنا على عرضه إن الخنا طرف الغدر
وذد عن حراه، ما عقدت حباله بحبلك واستره بما لك من ستر
جار منعناه من الضيم والعدى وجيران أقوام بمدرجة الدهر
ويوم كأن المصطلين بحره وإن لم تكن نار قعود على جمر

صبرنا له حتى يبوخ وإنما تفرج أيام الكريهة بالصبر

وحميد بن ثور القائل:

قليل المعي إلا مصيرا يبله دم الجوف أو سؤر من الحوض ناقع

ترى طرفيه يعسلان كلاهما كما اختب عود الساسم المتتابع

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ال منايا بأخرى فهو يقظان هاجع

والأشهب بن رميلة ورميلة أمه، وأبوه ثور. وكان الأشهب شاعرا، وكان يهاجي الفرزدق، وهو أحد بني نهشل بن دارم.

وكان له أخ يدعى زبابا، وكان من أشد الناس وأخبثهم، وكان الفرزدق يفرقه فرقا شديدا، وفيه يقول الأشهب:

وقائلة تنعى زبابا وقائل: جزى الله خيرا ما أعف وأمنعا!

وأطعن في الهيجا وأضرب في الوغى وأطعم إن أمسي المراضيع جوعا

شمت ابن قين أن أصابت مصيبة كريما ولم يترك لك الدهر مسمعا

كريما حماك الدهر طول حياته وأنت لئيم منبت الحمض أجمعا

أعيني قلت أسوة من أخيكما بأن تسهر الليل التمام وتدمعا

قتلنا زعيم القوم لا خير بعده ولم يك في الأحجار منع فأمنعا

إذا ما ذكرنا من أخينا أخاهم روينا ولم نشف الغليل فينقعا

الأحجار: صخر، وجندل، وجرول، بنو نهشل. فغلب الفرزدق على الأشهب وفضل عليه.

وأما عمر بن لجأ: فحدثني أبو الغراف قال: قدم لقمان الخزاعي على صدقات الرباب، فكانت وجوه الرباب تحضره وفيهم عمر بن لجأ بن حدير، أحد بني مصاد، فأنشده يوما:

تأوبني ذكر لزولة كالخبل وما حيث تلقى بالكثيب ولا السهل

تحل وركن من طمية دونها وجو قسا مما يحل به أهلي

تريدين أن أرضى وأنت بخيلة! ومن ذا الذي يرضى الأخلاء بالبخل؟

فقال لقمان: ما زلنا نسمع بالشام أنها كلمة جرير. وأبلغ لقمان جريرا فقال: زعم أنك سرقتها منه! فقال جرير: وأنا أحتاج أن أسرق قول عمر! وهو القائل وقد وصف إبله: – فذكر قصة قد ذكرها ابن سلام

عن أبي يحيى الضبي في أخبار جرير -.

قال فردعليه عمر بن لجأ:

أنبئت كلب كليب قد عوى جزعا وكل عاو بفيه الترب والحجر

قد لمتني ظالما في سنة سبقت أن الكليبي لم يكتب له الظفر

هبت الفرزدق واستبعثتني عبثا للموت تعمد والموت الذي تذر

فاخسأ لعلك ترجو أن يحل بنا رحل الفرزدق لما مسك الدبر

ومن قوله:

أجد القلب هجرا واجتنابا لمن أمسى يواصلنا خلابا

ومن يدنو ليعجبنا وينأى فقد جمع التدلل والكذابا!

ألا تجزين من أثنى عليكم وأحسن حين قال وما استئابا؟

تصدت بعد شيبك أم بكر لتطرد عنك حلما حين ثابا

بجيد غزال مقفرة وماحت بعود أراكه بردا عذابا

كأن سلافة خلطت بمسك ليغلبها وكان لها قطابا

مذاقتها إذا ما بيتتها سواد الزوج والتثم الرضابا

ليغتبق العلالة من نداها كفى فوها لمغتبق وطابا

أسيلة معقد السمطين منها وريا حيث تعتقد الحقابا

إذا مالت روادفها بمتن كغصن البان فاضطرب اضطرابا

تهادى في الثياب كما تهادى حباب الماء يتبع الحبابا

ترى الخلخال والدملوج منها إذا ما أكرها نشبا فغابا

إذا ما الشيء لم تقدر عليه فلا ذكرا لذاك ولا طلابا

الطبقة الخامسة

أبو زبيد الطائي، واسمه حرملة بن المنذر.

والعجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضبيط بن جابر بن عبد الله بن سلول وعبد الله بن همام السلولي.

ونفيع بن لقيط الأسدي.

أنا أبو خليفة، نا محمد بن سلام، أخبرنا أبو الغراف قال: كان أبو زبيد الطائي من زوار الملوك، وللملوك العجم خاصة، وكان عالما بسيرهم. وكان عثمان بن عفان يقربه على ذلك ويدنيه ويدني مجلسه، وكان نصرانيا. فحضر ذات يوم عثمان، وعنده المهاجرون والأنصار، فتذكروا مآثر العرب وأشعارها، فالتفت عثمان إلى أبي زبيد فقال: يا أخ تبع المسيح، أسمعنا بعض قولك، فقد أنبئت أنك تجيد. فأنشده قصيدته التي تقول فيها:

من مبلغ قومي النائين إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيق ولع

ووصف فيها الأسد. فقال عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت! والله إني لأحسبك جبانا هدانا! فقال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا يبرح ذكره يتجدد في قلبي، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم. فقال عثمان: وأني كان ذلك؟ قال: خرجت في صيابة أشراف من أفناء قبائل العرب، ذوي هيئة وشارة حسنة، ترتمي بنا المهارى بأكسائها، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام. فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه، وذبلت الشفاه، وشالت المياه، وأذكت الجوزاء المعزاء، وذاب الصيهد، وصر الجندب، وضاف العصفور الضب في جحره – أو قال في وجاره – قال قائلنا: يا أيها الركب! غوروا بنا ضوج هذا الوادي. وإذا واد قد يديمتنا كثير الدغل، دائم الغلل، شجراؤه مغنة، وأطياره مرنة، فحططنا رواحلنا في أصول دوحات كنهبلات، فأصبنا من فضلات المزاود وأتبعناها الماء البارد.

فإنا لنصف حر يومنا ذلك ومماطلته، إذ صر أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه. فو الله ما لبث أن جال، ثم حمحم فبال، وفعل فعله الذي يليه واحدا فواحدا. فتضعضعت الخيل، وتكعكعت الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافر بشكاله، وناهض بعقاله، فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبع. ففزع كل امرئ منا إلى سيفه فاستله من جربانه، ثم وقفنا رزدقا. فأقبل يتظالع من بغيه كأنه مجنوب أو في هجار، لصدره نحيط، ولبلاعيمه غطيط، ولطرفه وميض، ولأرساغه نقيض، كأنما يخبط هشيما، وإنما يطأ صريما. فإذا هامة كالمجن، وإذا خذ كالمسن، وعيناه سجراوان، كأنهما سراجان يقدان، وقصرة ربلة، ولهزمة رهلة، وكتد مغبط، وزور مفط، وساعد مجدول، وعضد مفتول، وكف شثنة البراثن، إلى مخالب كالمحاجن. فضرب بيديه فأرهج وكشر فأفرج، عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة، وفم أشدق، كالغار الأخرق. ثم تمطى فأشرع بيديه، وحفز وركيه برجليه، حتى صار ظله مثلية. ثم أقعى فاقشعر، ثم تميل

فاكفهر، ثم تجهم فازبأر. فلا والذي بيته في السماء ما انقيناه إلا بأول أخ لنا من بني فزارة، كان ضخم الجزارة، فوقصه ثم نفضه نفضة، فقضقض متنية، ثم جعل يلغ في دمه. فذمرت أصحابي، فبعد لأي ما استقدموا. فهجهجنا به فكر مقشعرا بزبرة كأن بين كتفيه شيهما حوليا، فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا، فنفضه نفضة تزايلت مفاصله، ثم نهم ففرفر، ثم زفر فبربر، ثم زأر فجرجر، ثم لحظ، فو الله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه، من عن شماله ويمينه فأرعشت الأيدي، واصطكت الأرجل، وأطلت الأضلاع، وارتجت الأسماع، وحمجت العيون، ولحقت البطون، وانخزلت المتون، وساءت الظنون.

فقال عثمان: اسكت، قطع الله لسانك! فقد رعبت قلوب المؤمنين.

وقال يصف الأسد:

فباتوا يدلجون وبات يسري ... بصير بالدجى هاد هموس

إلى أن عرسوا وأغب عنهم ... قريبا ما يحس له حسيس

خلا أن العتاق من المطايا ... حسين به فهن إليه شوس

فلما أن رآهم قد تدانوا ... أتاهم وسط أرحلهم يميس

فثار الزاجرون فزاد منهم ... تقرابا وواجهه ضبيس

بنصل السيف ليس له مجن ... فصد ولم يصادفه جبيس

فيضرب بالشمال إلى حشاه ... وقد نادى فأخلفه الأنيس

بسمر كالمحاجن في قنوب ... يقيها قضة الأرض الدخيس

فجر السيف واختلفت يداه ... وكان بنفسه وقيت نفوس

فطار القوم شتى والمطايا ... وغورد في مكرهم الرئيس

وجال كأنه فرس صنيع ... يجر جلاله ذبل شموس

كأن بنحره بساعديه ... عبيرا بات تعبؤه عروس

فذلك إن تفادوه تفادوا ... ويصرف عنكم أمر شكيس

وحدثني أبي سلام، عمن حدثه: أن رجلا من طيء، من بني حية، نزل به رجل من بني الحارث بن ذهل بن شيبان، يقال له المكاء، فذبح له شاة وسقاه من الخمر. فلما سكر الطائي قال: هلم أفاخرك: أبنو حية أكرم أم بنو شيبان؟ فقال له الشيباني: حديث حسن ومنادمة كريمة، أحب إلينا من المفاخرة. فقال

الطائي: والله ما مد رجل قط يداً أطول من يدي! فقال الشيباني: والله لئن أعدتها لأخضبنها من كوعها. فرفع الطائي يده، فخضبها من كوعها. فقال أبو زبيد في ذلك:

خبرتنا الركبان: أن قد فخرتم ... وفرحتم بضربة المكاء!

ولعمري لعارها كان أدنى ... لكم من تقي وحسن وفاء

ظل ضيفا أخوكم لأخينا ... في صبوح ونعمة وشواء

ثم لما رآه رانت به الخم ... ر وأن لا يريبه باتقاء

لم يهب حرمة النديم وحقت ... يا لقوم للسوأة السوآء!

وقال حين عزل الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن الكوفة، وحملت أثقاله:

من يرى العير لابن أروى على ظه ... ر المروري حداتهن عجال

مصعدات والبيت بيت أبي وهب ... خلاء تحن فيه الشمال

يعرف الجاهل المضلل أن ال ... دهر فيه النكراء والزلزال

ليت شعري كذا كم العهد أم كا ... نوا أناسا كمن يزول فزالوا

بعد ما تعلمين يا أم زيد ... كان فيهم عز لنا وجمال

أصبح البيت قد تبدل بالحي ... وجوها كأنها أقتال

غير ما طالبين ذحلا ولكن ... مال دهر على أناس فمالوا

كل شيء تحتال فيه الرجال ... غير أن ليس للمنايا احتيال

وقال أبو زيد، وكان في أخواله بني تغلب، وكان مقيم فيهم أكثر أيامه وكان له غلام يرعى إبله، وأن بهراء غزت بني تغلب، فمروا بغلامه، فدفع إليهم الإبل. وقال: انطلقوا أدلكم على عورة القوم وأقاتل معكم. فصحبهم، فالتقوا، فهزمت تغلب بهراء وقتل العبد، فقال أبو زبيد:

قد كنت في منظر ومستمع ... عن نصر بهراء غير ذي فرس

تسعى إلى فتية الأراقم واستع ... جلت قيل الجمان والقبس

في عارض من جبال بهرا به ... الأل مرين الحروب عن درس

فنهزة من لقوا حسبتهم ... أحلى وأشهى من بارد الدبس!

لا ترة عندهم فتطلبها ... ولا هم نهزة لمختلس

جود كرام إذا هم ندبوا ... غير لئام ضجر ولا كبس

صمت عظام الحلوم إن قعدوا من غير عي بهم ولا خرس
تقوت أفراسهم نساؤهم يزجون أجمالهم مع الغلس
صادفت لما خرجت منطلقا جهم المحيا كباسل شرس
فجال في كفه مثقفة تلمع فيها كشعلة القبس
بكف حران ثائر بدم طلاب وتر في الموت منغمس
إما تقارش بك الرماح فلا أبكيك إلا للدلو والمرس
حمدت أمري ولمت أمرك إذ أمسك جلز السنان بالنفس
وقد تصليت حر نارهم كما تصلى المقرور من قرس
تذب عنه كف بها رمق طيرا عكوفا كزور العرس
عما قليل علون جثته فهن من والغ ومنتهس

فلما فرغ أبو زبيد من قصيدته، بعثت إليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله، فقال في ذلك:

ألا أبلغ بني عمرو رسولا فإني في مودتكم نفيس

ويقال إن أزد عمان قتلت رجلا من طيء، فقال في ذلك أبو زبيد:

بلغا طيئا جميعا وشتى ولسعد مما أقول نصيب
إنهم إخوة أبوهم أبونا غير دعوى والنائبات تنوب
قتلتنا سيوف أزد عمان سفها والدهور فيه العجيب
من دم ضائع تغيب عنه أقربوه إلا الصدى والجبوب
يابن سلمى وللنجيبة سلمى ولقد ينجل النجيب النجيب

ليتني مت إذ دعونك إذ تدع و تميما ولا حميم يجيب
ليت شعري بك ابن أم عميس! إن قلبي مما شهدت مريب
غبت عنه وأنت لم تك عنه غائبا والمليك رب حسيب
ركبوا ما تهيب الناس منا! قد عمرنا وعزنا مرهوب

وقال أيضا يرثي ابن أخته اللجلاج، وكان من أحب الناس إليه، وجزع عليه جزعا شديدا:

غير أن اللجلاج قد هد ركني يوم فارقته بأعلى الصعيد

في ضريح عليه عبء ثقيل من تراب وجندل منضود

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلى قال، حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال، حدثنا أبو الغراف قال: كان العجير السلولي دل عبد الملك بن مروان على ماء يقال له: مطلوب، وكان لناس من خثعم، فأنشأ يقول:

لانوم إلا غرار العين ساهرة إن لم أروع بغيظ أهل مطلوب

إن تشتموني فقد بدلت أيكتكم ذرق الدجاج بحفان اليعاقيب

وكنت أخبركم أن سوف يعمرها بنو أمية وعدا غير مكذوب

قال: فركب رجل من خثعم، يقال له أمية، إلى عبد الملك حتى دخل عليه. فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أراد العجير أن يصل إليك وهو شويعر سئآل – وحربه عليه –.

فكتب إلى عامله بأن يشد يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجير الخبر، فركب في الليل حتىأتى عبد الملك. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبسني، وابعث من يبصر الأرضين والضياع فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حل وبل! فبعث، فاتخذ ذلك الماء ضيعة فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية وقال العجير السلولي:

خلقت جوادا والجواد مثابر على جريه ذو علة ويسير

ولا يسبق الغايات مستسلم الصلا مغل لأطراف الرماح عثور

ولكن مشيح الركض مستبعد المدى إذا ابتل من سجم الحميم طحور

فلا توزعيني إنما يوزع الذي به ضعف أو في القيام فتور

ولا تزدريني وانظري ما خليقتي إذا ضاف أمر أو أناخ أمير

فإن بني كعب رجال كأنهم ليوث الشرى سدت بهن ثغور

تحلب أيديهم نجيعا ونائلا إذا البزل لم يصبح بهن درور

مروها بأطراف العوالي فأسبلت نجيعا له تحت اللبان خرير

مقيمين لا تعتاد إلا وجدتهم كما بالرحا من صاحتين صخور

إذا غار منهم كوكب ناء كوكب لأني الندى جم الفراغ مطير

وإن هبطوا بينا أذلوا ترابة فأضحى وفيه مورد وصدور

وقال يذم ابن عم له، ويرثي سليم بن زيد السلولي:

الأجبل الشم بعدما دجا الليل واجتر الجمال القوامح

نهارك مافيه ليان ولا قرى لعين وأيام ابن زيد صوالح

وذاك ابن عم الصدق أما عطاؤه فجزل وأما صدره فهو ناصح

وكان شفاء غير داء دنوه إذا أحول أبصار العيون اللوامح

إذا قال لي: قم! قلت: بل أنت فاكفني! فقام فجلى أبيض الوجه واضح

وقال العجير: وخرج هو وابنه القيل، وكان مسنا، كثير اللحم، فخرجا ماشيين في أمر قطبة ابنة الضحاك أخيه، فأعي القيل وبلد، فذمه العجير ومدح ابنه الآخر، واسمه الفرزدق:

إذا ما لقيت الخاضبات أكفها عليهن مقصور الحجال المروق

فلا تجعلن القيل إلا لمزرع رواء ولكن الشجاع الفرزدق

سمين وكان الأسمنون خيارنا بيوتا وأندابا يدا حين نطرق

هو ابني لغراء الجبين نجيبة تلقت على طهر به غير أحمق

تداعى لها من أكرم الحي نسوة يطفن بكسرى بيتها وهي تطلق

ولكن لعمري إن قتلت لألفين سبطرا كإرسال الرديني أعنق

فجاءت بعاري الساعدين كأنه من الطير أقني ينفض الطل أزرق

لجوج غداة الفوت حتى كأنه حصان يلاقي دعقة الخيل أبلق

وقال العجير لموسى بن عبد الرحمن بن عبيدة، وأم عبد الرحمن من بني عقيل، وأم العجير، من بني أسان من بني سعد ابن غنم:

ألم تر أن الحي حي مبشر كفوا غرمهم واستفضل المال حامله

أولئك أخوالي وأخوال ذي القفا قبيل توقى بالحجاز معاقله

وقال العجير في محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، أخي الحجاج بن يوسف:

فداك النساء الحتف كم من سرادق به البخت والأنباط شهب قنابله

دخلت وأشراف الرجال يرونني على سبط الكفين جم فواضله

على يوسفي لوتناخ ركابه على البحر أفناه نداه ونائله

وقال في عمر بن عبد العزيز:

الحمد لله حمدا لا شريك له والحمد لله: أما بعد ياعمر

فافرج لنا الباب لا تحبس مطيتنا فإن بابك لاضيق ولا ضرر

والثالث: عبد الله بن همام السلولي: قال، فحدثني يونس بن حبيب وأبو الغراف قالا: كان عبد الله همام، رجلا له جاه عند السلطان ووصله بهم، وكان سريا في نفسه، له همة تسمو به، وكان عند آل حرب مكينا حظيا فيهم. فكان الذي حدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد: أن عبد الله بن همام السلولي قال إلى يزيد بن معاوية، فأنشد شعرا رثى فيه معاوية بن أبي سفيان، وحضه على البيعة لابنه معاوية، فقال:

تعزوا يا بني حرب بصبر فمن هذا الذي يرجو الخلودا؟

لعمر مناخهن ببطن جمع لقد جهزتم ميتا فقيدا!

لقد وارى قليبكم بيانا وحلما لا كفاء له وجودا

وجدناه بغيضا في الأعادي حبيبا في رعيته حميدا

أمينا مؤمنا لم يقض أمرا فيوجد غبه إلا رشيدا

فقد أضحى العدو رخي بال وقد أمسى التقي به عميدا

فعاض الله أهل الدين منكم ورد لنا خلافتكم جديدا

مجانية المحاق وكل نحس مقارنة الأيامن والسعودا

خلافة ربكم حاموا عليها إذا غمزت خنابسة أسودا

تعلمها الكهول المرد حتى تذل بها الأكف وتستقيدا

إذا ما بان ذو ثقة تلقت أخا ثقة بها صنعا مجيدا

تلقفها يزيد عن أبيه وخذها يا معاوي عن يزيدا

فإن عرفت لكم فتلقفوها ولا ترموا بها الغرض البعيدا

فإن دنيا كم بكم اطمأنت فأولوا أهلها خلقا سديدا

وإن ضجرت عليكم فاعصبوها عصابا تستدر به شديدا

قال: وأنشده هذا الشعر أيضا:

إنا نقول ويقضي الله مقتدرا مهما يدم ربنا من صالح يدم

يزيد يا ابن سفيان هل لكم إلى ثناء ومجد غير منصرم؟

اعزم عزيمة أمر غبة رشد قبل الوفاة وقطع قالة الكلم

وأقدر بقائلكم خذها يزيد فقل خذها معاوي لا تعجز ولا تلم

إن الخلافة إن تعرف لثالثكم تثبت مراتبها فيكم ولا ترم

ولا تزال وفود في دياركم يغشون أبلج سباقا إلى الكرم

يزم أمر قريش غير منتكث ولو سما كل قرم منهم قطم

عيشوا وأنتم من الدنيا على حذر واستصلحوا جند أهل الشام للبهم

ولا تحلنها في دار غيركم إني أخاف عليكم حسرة الندم

وأطعم الله أقواما على قدر ولم يحاسبكم في الرزق والطعم

ولا لمن سالك الشورى مشاورة إلا بطعن وضرب صائب خذم

أني تكون لهم شورى وقد قتلوا عثمان ضحوا به في أشهر الحرم

خير البرية راعوا المسلمين به ملحبا ضرجت أثوابه بدم

وكان قاتله منكم لمصرعه مثل الأحمير إذ قفى على إرم

أو كالدهيم وما كانت مباركة أدت إلى أهلها ألفا من اللجم

نفسي فداء الفتى في الحرب لزهم حتى تدانوا وألهي الناس بالسلم

وبارك الله في الأرض التي ضمنت أوصاله وسقاها باكر الديم

فلم تزل في نفس يزيد حتى بايع معاوية ابنه فعاش أربعين ليلة بعد أن أتته البيعة من الآفاق، ثم مات. فقيل له: أوصه. فقال: ما أحب أن أزودهم الدنيا وأخرج عنها.

وحدثني يونس بن حسان: أن عبد الله بن همام كان يسمع أبا عمرة صاحب شرطة المختار، واسمه كيسان، يذكر الشيعة وينال من عثمان، فقنعه بالسوط. فلما ظهر المختار، كان معتزلا حتى استأمن له ابن شداد، فجاء إلى المختار، فأنشده شعرا له فيه، يذكره ويذكر أصحابه، فقال:

ألا انتسأت بالود عنك وأدبرت معالنة بالهجر أم سريع

وحملها واش سعى غير مصلح فآب بهم في الفؤاد وجيع

فخفض عليك الشأن لا يردك الهوى فليس انتقال خلة ببديع

وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى ويلهيه عن رؤد الشباب شموع

دعا:ما لثارات الحسين! فأقبلت كتائب من همدان بعد هزيع

ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك يقود جموعا عفيت بجموع

ومن أسد وفي يزيد لنصره بكل فتى حامي الذمار منيع

وجاء نعيم خير شيبان كلها بأمر لدى الهيجاء جد رفيع

وما ابن شميط إذ يحرض قومه هناك بمخذول ولا بمضيع

ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن وكان أخا حنانة وخشوع

وسار أبو النعمان لله سعيه إلى ابن إياس مصحرا لوقوع

فكر الخيول كرة أتلفتهم وشد بأولاها على ابن مطيع

فولى بضرب يفلق الهام وقعه وطعن غداة السكتين وجيع

فمر وزير ابن الوصي عليهم وكان لهم في الناس خير شفيع

فآب الهدى حقا إلى مستقرة بخير إياب آبة ورجوع

إلى الهاشمي المهتدى بضيائه فنحن له من سامع ومطيع

فلما أنشدها المختار قال لأصحابه: قد أثني عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الثناء، فأحسنوا جزاءه. ثم قام فقال: لا تبرحوا حتى أخرج إليكم. فقال عبد الله بن شداد: فإن له عندي فرسا ومطرفا. وقال قيس بن طهفة: فإن له عندي فرسا ومطرفا. وقال ليزيد بن أنس: ما تعطيه؟ قال: إن كان ثواب الله أراد بما يقول، فما له عند الله خير له، وإن اعترى بهذا القول أموالنا، فوالله ما في أموالنا ما يسعه. ثم وقع بينهم كلام شديد، فوثب به بعضهم، فضمه إبراهيم بن الأشتر إلى نفسه، وقال: أنا جار له. فأنقذه منهم. فقال عبد الله بن همام:

أطفأ عني نار كلبين ألبا على الكلاب ذو الفعال ابن مالك

فتى حين يلقى الخيل يفرق بينها بطعن دراك أو بضرب مواشك

وقد غضبت لي من هوازن عصبة طوال الذري فيها عزاز المبارك

إذا ابن شميط أو يزيد تعرضا لها وقعا في مستحار المهالك

وثبتم علينا يا موالي طامر مع ابن شميط شر ماش وراتك

وأعظم جبار على الله فرية وما مفتر طاغ كآخر ناسك

كأنهم في العز قيس وخثعم وهل أنتم إلا لئام عوارك

والرابع: نويفع بن لقيط وتارة كان يقول: نافع فحدثني أبو الغراف قال: كان لنافع بن لقيط امرأة من بني منقذ بن جحوان، تدعى حية، وكان في أخلاقها زعارة، وقد كانا تشارا مرة ثم إن قومها أنفوا من ذلك، فادعوا عليه طلاقا، فقاتلهم حتى كان بينهم جراح، وكان مستخفيا من الحجاج، فقال وهو مستخف:

لم يبق مني الكرى يا أم نافع ... ولا الروغ في الحلفاء غير المعارف

إذا قيل: هذا فارس! طار طيرة ... فؤادي وما فزعت من مثل خائف

ولكنما الغاوي إذا سود اسمه ... بأنفاسه ضيف على السرح واقف

فرفعوا أمره إلى الحجاج، فبعث إليه نفرا، وهو في أجمة الأسود، أجمة خفية، فأحرق عليه في نواحي الأجمة، وقالوا: قد كفتنا الأسود والنار أمره. فأدركهم الليل فانصرفوا، وخلصه الله حتى لحق بقومه بالقنان والعزاف، فتزوج ابنة عمه: جهمة ابنت شيبان بن مرثد فتغنى يوما فقال:

وردت بئارا ملحة فكرهتها ... بأهلي أهلي الأولون وماليا

قال، وأنشدني أبو الغراف، عن سليمان الجذامي، لنويفع ابن لقيط:

أدوا إلى ميدان عنكم عرسة ... ودعوا سبابي يا بني عرقوب

إن المخازي قد رثمن أنوفكم ... رثم الحجارة إصبع المنكوب

لن تهدموا شرفي بلؤم أبيكم ... ونهاق عير فيكم مكروب

وقال أيضا:

وإياك والظلم المبين إنني ... أرى الظلم يغشي بالرجال المغاشيا

أتجمع إن كنت ابن تقن فطانة ... وتغلب أحيانا وتأتي الدواهيا؟!

إذا أنت أكثرت المجاهل كدرت ... عليك من الأخلاق ما كان صافيا

فلا تك حفارا بظلفك إنما ... تصيب سهام الغي من كان غاويا

ألا إن آبائي على كل موطن ... وخال أبي لم يورثوني المخازيا

أباحوا لنا المجد التليد وإنهم ... لمنبت زندى الفروع الأعاليا

قال: وأنشدني محمد بن أنس الحذلي الأسدي، عن أعراب بني أسد، أنه قال في الحجاج بن يوسف:

لو كنت في العنقاء أوفى عماية ... ظننتك إلا أن تصد تراني

أسهد من نوم العشاء كأنني ... سليم يغر الضرو بالنبوان

عليه تميمات كأن فؤاده جناحا عقاب دائم الخفقان

تضيق بي الأرض الفضاء لخوفه وإن كنت قد طوفت كل مكان

وآليت لا آتيك إلا مسالما معي منك يا ابن الأكرمين أماني

وما العرق كانت لي بدار إقامة ولا الجو منها كان لي بمغاني

أعوذ بقبري يوسف وابن يوسف أخيك وبالقبر الذي بعدان

سمي نبي الله من أن تنالني يداك ومن يغتر بالحدثان!

قال: وكان نويفع من رجالات العرب شعرا ونجدة، وكان ربما أخاف السبيل فأطرده الحجاج لجناية، فلم يزل خائفا.

الطبقة السادسة

من الإسلاميين حجازية، أربعة رهط: عبد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب ابن ضباب بن حجير بن عبد معيص بن عامر بن لؤي بن غالب، من قريش الظواهر، وإنما نسب إلى الرقيات، لأن جدات له توالين يسمين رقية.

والأحوص، عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن قيس وهو أبو الأقلح، شهد عاصم بدرا، وقتل يوم الرجيع، وحمته الدبر وهو من الأوس.

وجميل بن معمر بن خيبري بن ظبيان بن حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

ونصيب مولى عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

فحدثني يونس حبيب قال: كان عبد الله بن قيس الرقيات أشد قريش أسر شعر في الإسلام بعد ابن الزبعري. وكان غزلا، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة. وكان عمر يصرح بالغزل، ولا يهجو ولا يمدح، وكان عبد الله يشبب ولا يصرح، ولم يكن له معقود عشق وغزل، كعمر بن أبي ربيعة.

وكان انقطاعه إلى آل الزبير: فمدح مصعبا وهجا عبد الملك بن مروان وذلك حين يقول:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا له كبرياء

يتقي الله في الأمور وقد أف لح من كان همه الإتقاء

وقال لعبد الملك فيها:

قد رضينا فمت بدائك غيظا لا تميتن غيرك الأدواء

إن منا النبي الأمي والصديق منا التقى والخلفاء

وقال أيضا:

ذكرت قومها قريشا فقالت: راب دهري وأي دهر يدوم

لا يربك الذي ترين فإن الله طب بما ترين عليم

إن يكن للإله في هذه الأمة دعوى يعد عليك النعيم

وتحلى محل آبائك الأخيار بالحجر حيث يلفى الحطيم

بلد تأمن الحمامة فيه حيث عاذ الخليفة المظلوم

يعني عبد الله بن الزبير.

وقال في مصعب بن الزبير، قبل أن يقتل:

ليت شعري أأول الهرج هذا أم زمان من فتنة غير هرج؟

إن يعش مصعب فإنا بخير قد أتانا من عيشنا ما نرجى

ملك يبرم الأمور ولا يش رك في رأيه الضعيف المزجي

جلب الخيل من تهامة حتى وردت خيله قصور زرنج

حيث لم تأت قبله خيل ذي الأك تاف يوجفن بين قف ومرج

أنزلوا من حصونهن بنات ال ترك يأتين بعد عرج بعرج

كل خرق سيمدع وشنون ساهم الوجه تحت أحناء سرج

يلبس الجيش بالجيوش ويسقي لبن البخت في عساس الخلنج

وقال في عبد الملك، لما أخذ عبد الله بن جعفر ذي الجناحين الأمان له:

عاد له من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب

كوفية نازح محلتها لا أمم دارها ولا سقب

ثم قال:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

وأنهم معدن الملوك فلا تصلح إلا عليهم العرب

إن الفنيق الذي أبوه أبو ال عاصي عليه الوقار والحجب

خليفة الله فوق منبره جفت بذاك الأقلام والكتب

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

أحفظهم قومهم بباطلهم حتى إذا حاربوهم حربوا

تجردوا يطلبون باطلهم بالحق حتى تبين الكذب

قوم هم الأكثرون قبص حصي في الناس والأكرمون إن نسبوا

والثاني الأحوص فحدثني أبي، عمن حدثه، أحسبه قال: عن الزهري، قال: كان الأحوص الشاعر يشبب بنساء أهل المدينة، فتأذوا به، وكان معبد وغيره من المغنين يغنون في شعره، فشكاه قومه، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك: فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه مئة سوط، ويقيمه على البلس للناس، ويسيره إلى دهلك، ففعل به، فثوى بها سلطان سليمان، وعمر بن عبد العزيز: فأتى رجال من الأنصار عمر بن عبد العزيز، فسألوه أن يرده، وقالوا: قد عرفت نسبه وموضعه من قومه، وقد أخرج إلى أرض الشرك فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه، ودار قومه. فقال عمر: من الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

سيلقى لها في القلب في مضمر الحشا سريرة حب حين تبلى السرائر

قالوا: الأحوص. قال: إنه يومئذ عنها لمشغول، والله لا أرده ما كان لي سلطان. فمكث هناك بقية ولاية عمر، وصدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك. ثم استخلف يزيد بن عبد الملك، فبينا يزيد على سطح، وحبابة جاريته تغنيه بشعر الأحوص، إذ قال يزيد: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعيشك ما أدري! قال: وقد كان ذهب من الليل شطره، قال: ابعثوا إلى الزهري، فعسى أن يكون عنده علم من ذلك. فأتى ابن شهاب الزهري فقرع بابه فخرج فزعا، حتى أتى يزيد. فلما صعد إليه قال: لا بأس عليك، لم ندعك إلا لخير، أجلس. فجلس. فقال: من الذي يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص يا أمير المؤمنين. قال: فما فعل؟ قال: قد طال حبسه بدهلك! قال: عجبت لعمر بن عبد العزيز كيف أغفله! فأمر بالكتاب بتخيلة

سبيله، وأمر له بأربعمئة دينار. فأقبل الزهري من ليلته إلى ناس من الأنصار، فبشرهم بتخيلة سبيل الأحوص. ثم قدم عليه، فأجازه وأحسن إليه.

وحدثني أبو الغراف، عمن يثق به، قال: بعث يزيد ابن عبد الملك، حين قتل يزيد بن المهلب، إلى الشعراء، فأمرهم بهجاء يزيد وأهل بيته: منهم الفرزدق وكثير والأحوص. فقال الفرزدق: لقد امتدحت بني المهلب بمدح ما امتدحت بمثله أحدا، وإنه لقبيح بمثلي أن يكذب نفسه على رأس الكبر، فليعفني أمير المؤمنين. فأعفاه. وقال كثير: إني لأكره أن أعرض نفسي وقومي لشعراء أهل العراق إن هجوت بني المهلب. وأما الأحوص فإنه هجاهم. فلما بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجراح بن عبد الله الحكمي، وهو بأذربيجان، وقد كان بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب، فبعث إليه بزق من خمر، فأدخل منزل الأحوص، ثم بعث إليه خيلا، فدخلوا منزله، فصبوا الخمر على رأسه، ثم أخرجوه على رؤوس الناس، وأتوا به الجراح، فأمر به فحلق رأسه ولحيته، وضربه الحد، يتراوحه الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تضرب الحدود!! فجعل الجراح يقول: صدقت! أجل! ولكن لما تعلم.؟ ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك بالذي كان من أمره، فأغضى له عليها.

فمما قال الأحرص، قال يمدح عبد العزيز بن مروان:

أقول بعمان وهل طربي به ... إلى أهل سلع إن تشوفت نافعه؟
أصاح ألم تحزنك ريح مريضة ... وبرق تلالا بالعقيقين رافع؟
فإن الغريب الدار مما يشوقه ... نسيم الرياح والبروق اللوامع
نظرت على فوت وأوفى عشية ... بنا منظر من حصن عمان يافع
وللعين أسراب تفيض كأنما ... تعل بكحل الصاب منها المدامع
لأبصر أحياء بخاخ تضمنت ... منازلهم منها التلاع الدوافع
فأبدت كثيرا نظرتي من صبابتي ... وأكثر منها ما تجن الأضالع
وكيف اشتياق المرء يبكي صبابة ... إلى من نأي عن داره وهو طائع؟
لعمر ابنة الزيدي أن أدكارها ... على كل حال للفؤاد لرائع
وإني لذكراها على كل حالة ... من الغور أوجلس البلاد لنازع
لقد كنت أبكي والنوى مطمئنة ... بنا وبكم من علم ما البين صانع

وقد ثبتت في الصدر منها مودة كما ثبتت في الراحتين الأصابع

أهم لأنسى ذكرها فيشوقني رفاق إلى أهل الحجاز نوازع

إنا عدانا عن بلاد نحبها إمام دعانا نفعة المتتابع

أغر لمروان وليلى كأنه حسام جلت عنه الصياقل قاطع

هو الفرع من عبدي مناف كليهما إليه انتهت أحسابها والدسائع

فكل غني قانع بفعاله وكل عزيز عنده متواضع

هو الموت أحيانا يكون وإنه لغيث حيا يحيى به الناس واسع

وهو الذي يقول:

إني إذا جهل اللئام رأيتني كالشمس لا تخفي بكل مكان

ما من مصيبة نكبة أمنى بها إلا تشرفني وترفع شأني

فتزول حين تزول عن متخمط تخشى بوادره على الأقران

وحدثني أبي، سلام بن عبيد الله قال: بلغني أن مسلمة بن عبد الملك قال ليزيد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين! ببابك وفود الناس، وتقف ببابك أشراف العرب، فلا تجلس لهم! وأنت قريب عهد بعمر بن عبد العزيز! وقد أقبلت على هؤلاء الإماء! قال: أرجو أن لا تعاتبني على هذا بعد اليوم. فلما خرج مسلمة من عنده، استلقى على فراشه، وجاءت حبابة جاريته فلم يكلمها، فقالت: ما دهاك عني؟ فأخبرها بما قال مسلمة وقال: تنحى عني حتى أفرغ للناس. قالت: فأمتعني منك مجلسا واحدا، ثم أصنع ما بدا لك. قال: نعم. فقالت لمعبد: كيف الحيلة؟ قال: يقول الأحوص أبياتا وتغني فيها. قالت: نعم. فقال: الأحوص:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فغنى فيه معبد وقال: مررت البارحة بدير نصارى، وهم يقرأون بصوت شج، فحكيته في هذا الصوت. فلما غنته حبابة هذا الصوت، قال: لعن الله مسلمة! صدقت، والله لا أطيعهم أبدا.

ومن قوله أيضا:

أمن آل سلمى الطارق المتأوب ألم وبيش دون سلمى وكبكب

فكدت اشتياقا إذ ألم خيالها أبوح ويبدو من هواي المغيب
ويوما بذي بيش ظللت تشوقا لعينيك أسراب من الدمع تسكب
أتيحت لنا إحدى كلاب بن عامر وقد يقدر الحين البعيد ويجلب
بأرض نأي عنها الصديق وغالني بها منزل عن طية الحي أجنب
وما هربت من حاجة نزلت بها ولكنها من خشية الجرم تهرب
أقامت ببيش في ظلال ونعمة لها قيم يخشى الجرائر مذنب
غريب نأي عن أرضه وسمائه ليحيى وطول

أخبرنا أبو غانم قال، أخبرنا أبو خليفة قال، حدثني محمد ابن سلام قال، حدثني محمد بن أبان: أن الأحوص بن محمد الشاعر، كان يهوى أخت امرأته، ويكتم ذلك، وينسب بها ولا يفصح باسمها، فتزوجها مطر، فبلغه الأمر، فأنشأ يقول:

أأن نادى هديلا ذات فلج مع الإشراق في فنن حمام
ظللت كأن دمعك در سلك هوى نسقا وأسلمه النظام
تموت تشوقا طربا وتحي وأنت جو بدائك مستهام
كأنك من تذكر أم حفص وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه تموت لها المفاصل والعظام
وأني من ديارك أم حفص سقى بلدا تحل به الغمام!
أحل النعف من أحد وأدنى مساكنها الشبيكة أو سنام
سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام
ولاغفر الإله لمنكحيها ذنوبهم وإن صلوا وصاموا
كأن المالكين نكاح سلمى غداة يرومها مطر نيام
فإن يكن النكاح أحل شيئا فإن نكاحها مطر حرام
فلو لم ينكحوا إلا كفيا لكان كفيها ملك همام
فطلقها فلست لها بأهل وإلا عض مفرقك الحسام

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن سالم بن أبي السمحاء – وكان صاحب حماد الراوية –: أن حماداً كان يقدم الأحوص في النسيب.

الثالث: جميل بن معمر. فحدثني أبو الغراف، عن الأخيل ابن أبي الأخيل قال، حدثني أدهم التميمي قال: لقيني كثير عزة فقال: لقيني جميل بن معمر في هذا الموضع الذي لقيتك فيه فقال: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي الحبيبة، أعني أبا بثينة. ثم قال لي: وإلى أين تريد؟ قلت: إلى الحبيبة، أعني عزة. قال: لا بد من أن ترجع عودك على بدئك، فتستجد لي موعدا. قلت: فإن عهدي بأبيها الساعة وأنا أستحي. قال: لا بد من ذلك. قلت: فمتى عهدك بهم؟ قال: بالدوم، وهم يرحضون ثيابهم. فأتيت أباها، قال: ما ردك يا ابن أخي؟ قلت: أبيات عرضت، أحببت أن أعرضها عليك. قال: هات. فأنشدته:

فقلت لها: يا عز! أرسل صاحبي ... على نأي دار والموكل مرسل

بأن تجعلي بيني وبينك موعدا ... وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل

وآخر عهد منك يوم لقيتني ... بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت بثينة جانب الخدر وقالت: اخسأ، اخسأ! قال أبوها: مهيم يا بثينة؟ قالت: كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية. قال: فأتيته، فأخبرته أنها قد وعدته إذا نوم الناس من وراء الرابية.

ومن قوله:

ما من قرينة آلف لقرينة ... إلا لحبل قرينها إقصار

وإذا أردت ولا يخونك كاتم ... حتى يشيع حديثك الإظهار

كتمان سرك يا بثين وإنما ... عند الأمين تغيب الأسرار

ومن قوله:

ويحسب نسوان من الحي أنني ... إذا جئت إياهن كنت أريد

فأقسم طرفي بينهن فيستوي ... وفي الصدر بون بينهن بعيد

ألا ليت شعري! هل أبيتن ليلة ... بوادي القرى؟ إني إذا لسعيد !

وهل ألقين سعدي من الدهر مرة ... وما مر من عصر الشباب جديد؟

ومن يعط في الدنيا قرينا كمثلها ... فذلك في عيش الحياة رشيد

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ... ويحيى إذا فارقتها فيعود

ومن قوله:

وكنا إذا ما معشر جحفوا بنا ... ومرت جواري طيرهم وتعيفوا

وضعنا لهم صاع القصاص رهينة وسوف نوفيها إذا الناس طففوا

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فشد الفرزدق على هذا البيت وقال: أنا أحق به، وقال: لا تعد فيه. فلم يكترث له:

برزنا وأصحرنا لكل قبيلة بأسيافنا إذ يؤكل المتضعف

فأي معد كان في رماحه كما قد أفأنا والمفاخر منصف

ونحن منعنا يوم أود ذمارنا ويوم أخي والأسنة ترعف

ونحن حمينا يوم مكة بالقنا قصيا وأطراف القنا تتقصف

فحطنا لهم أكناف مكة بعدما أرادت بها ما قد أبى الله خندف

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان:

إلى القرم الذي فاتت يداه بفعل العرف سطوة من ينيل

إذا ما أغلى الحمد اشتراه فما إن يستقيل ولا يقيل

أمين الصدر يحفظ ما تولى بما يكفي القوى به النبيل

أبا مروان أنت فتى قريش وكهلهم إذا عد الكهول

توليه العشيرة ما عناها فلا ضيق الذراع ولا بخيل

إليك تشير أيديهم إذا ما رضوا أو غالهم أمر جليل

كلا يوميه بالمعروف طلق وكل فعاله حسن جميل

غابك في الذؤابة من قريش بناة المجد والعز الأثيل

أروم ثابت يهتز فيه بأكرم منبت فرع طويل

والرابع نصيب مولى عبد العزيز بن مروان، فحدثني أبو الغراف قال: مر جرير بنصيب وهو ينشد، فقال له: اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك! – وكان نصيب أسود – فقال: وجلدتك يا أبا حزرة! وحدثني أبو اليقظان قال، حدثني جويرية بن أسماء قال: قلت لنصيب مولى عبد العزيز: يا أبا محجن: من أشعر الناس؟ قال: أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال: أنا. فقلت: ثم من؟ قال: ابن يسار. فلقيت إسماعيل بن يسار فقلت: من أشعر الناس؟ قال: أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال: أنا. قلت: ثم من؟ قال: نصيب. قلت: إنكما لتقارضان الثناء! قال: وما ذاك؟ قلت: لقت نصيبا فقال فيك ما قلت فيه! قال: إنه لشاعر والله

كريم ولا أظنه إلا بدأ بابن يسار قبل نصيب.

فمن قوله:

حريب أصاب المال من بعد ثروة ... لديه فأضحى وهو أسوان معدم

فإن تك ليلى العامرية أصبحت ... على النأي مني غير ذنبي تتقم

فما ذاك من ذنب أكون اجتنبته ... إليها فتجزيني به حيث أعلم

ولكن إنسانا إذا مل صاحبا ... وحاول صرما لم يزل يتجرم

وقال أيضا:

وكيف يقودني كلف بسعدي ... وهذا الشيب أصبح قد علاني !

وودعني الشباب وكنت أسعى ... إلى داعي الشباب إذا دعاني!

فإن يفن الشباب فكل شيء ... من الدنيا فلا يغررك فإني

ولو أني بقيت لمسى ليل ... وصبح نهاره يتداولاني

صحيحا لا ألاقي الموت حتى ... أدب على القناة لأبلياني

وقال يذكر الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز:

في قرى مجد وجدت له ... فراط مكرمة كانوا لنا قدما

ملك تقود الناس كلهم ... قود الجنائب خضعا تتبع الخزما

بلادا أن يصاب به ... حق وإن نسبوا فالقوم من كرما

ستعمل الأنضاء دائبة ... في الخرق لابسة أعلامها قتما

قن مروق النبل من علم ... مرت أخذن بنا من بعد علما

أتتك بنا خوصا مقدمة ... قد باشرت بعد غرب الجدة الخدما

ومن قوله أيضا:

الصبا والرأس قد ظهرت به ... روائع شيب هز عته عواسله

الشباب فإنه ... أخ لك إن طالت حياتك عاذلة

ثوبية الجديدين بعدما ... لبستهما حينا وعادت مباذلة

وقال أيضا:

أيقظان أم هب الفؤاد لطائف ألم فحيي الركب والعين نائمه

سرى من بلاد الغور حتى اهتدى لنا ونحن قريب من عمود سوادمه

بنجد وما كانت بعهدي رجيلة ولا ذات فكر في سرى الليل فاطمه

فو الله ما من عادة لك في السري سريت ولا أن كنت بالأرض عالمه

ولكنما مثلت ليلا لذي الهوى فبت صديقا ثم فارقت سالمه

فيالك ذا ود ويالك ليلة تجلت وكانت بردة العيش ناعمه

فلو دمت لم أملل ولكن تركتني بدائي وما الدنيا لحي بدائمه

وذكرتني أيامنا بسويقة وليلتنا إذ النوى متلائمه

الطبقة السابعة

من الإسلاميين أربعة رهط: المتوكل الليثي، ويكنى أباجهمة: وهو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وكان كوفيا، وكان في عصر معاوية.

والثاني يزيد ين ربيعة بن مفرغ بن مصعب الحميري.

والثالث: زياد الأعجم، وهو زياد بن سليم العبدي.

والرابع عدي بن الرقاع، وهوعدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عدة بن شعل بن معاوية بن قاسط بن عميرة ابن زيد بن الحاف بن قضاعة.

فحدثني أبي سلام، عمن حدثه قال: كانت رهيم، امرأة المتوكل، أقعدت فسألته الطلاق، فقال: ليس ذا حين طلاق! فأبت عليه، فطلقها، فبرأت بعد الطلاق، فقال يذكرها:

قفي قبل التفرق يا أماما وردي قبل بينكم السلاما

سعى الواشون حتى أزعجوها ورث الحبل فانجذم انجذاما

فلست بزائل ما دمت حيا مسرا من تذكرها هياما

ترجيها وقد شحطت نواها ومنتك المنى عاما فعاما!

خدلجة لها كفل وبوص ينوء بها إذا قامت قياما

صليني وأعرفي أني كريم وأن حلاوتي خلطت سماما

وأني ذو محافظة صليب خلقت لمن يضارسني لجاما
فلا وأبيك لا أنساك حتى تجاور هامتي في القبر هاما

ومن قوله أيضا:

أرعى الأمانة للأمين بحقها فيبين عفا سره مكتوم
وأشد للمولى المدفع ركنه شفقا من التعجيز وهو مليم
ينأى بجانبه إذا لم يفتقر وعلى للخصم الألد خصيم
إن الأذلة واللئام معاشر مولاهم المتهضم المظلوم
وإذا أهنت أخاك أو أفردته عمدا فأنت الواهن المذموم
لا تتبع سبل السفاهة والخنا إن السفيه معنف مشتوم
وأقم لمن صافيت وجها واحدا وخليقة إن الكريم قؤوم
لاتنه عن خلق تأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
وإذا رأيت المرء يقفو نفسه والمحصنات فما لذاك حريم
ومعيري بالفقر قلت له اقتصد إني أمامك في الأنام قديم
وقد يكثر النكس المقصر همه ويقل مال المرء وهو كريم

قال: كان رجل من بني جشم يقال له: الهذيل بن حية صديقا لأبي المتوكل، ثم جفاه قليلا فقال المتوكل:

ألا أبلغ أبا قيس رسولا فإني لم أخنك ولم تخني
ولكني طويت الكشح لما رأيتك قد طويت الكشح عني
وكنت إذا الخليل أراد صرمي قلبت لصرمه ظهر المجن
كذاك قضيت للخلان إني أدين عليهم وأدين مني
ولست بآمن أبدا خليلا على شيء إذا لم يأتمني

وقال:

ولقد علمت لو أن علمي نافع وأتاك ما يتحدث الأكفاء
الذين حصونهم رزق الأسنة والحصون فضاء
إنا أناس تستتير جدودنا ويموت أقوام وهم أحياء

ول المجتنى ودعائم الإسلام والنجباء

اخ سوابقا زرق القتير كأنهن نهاء

معتفيهم مرحبا مع ذاك فيهم قوة ووفاء

على المضاف إذا دعا حتى ينفس والرماح رواء

بيض كأن شعاعها تحت العجاجة بالأكف ضياء

قد يعلم الأقوام غير تنحل أنا نجوم فوقهم وسماء

والثاني: يزيد بن مفرغ الحميري، فحدثني يونس ابن حبيب: أن يزيد بن ربيعة بن مفرغ كان رجلا من أهل يحصب وكان عديدا لبني أسيد بن أبي العيص بن أمية، من أهل البصرة وكان رجلا شريرا هجاء للناس. فصحب عباد بن زياد – وعباد يومئذ على سجستان –، عامل عبيد الله بن زياد، وعبيد الله يومئذ على البصرة دون الكوفة، وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فهجا ابن مفرغ عبادا، فبلغه ذلك. وكان على ابن مفرغ دين، فأمر عباد الديان فاستعدوا عليه، فبيع ماله في دينه، فقضى الديان. وكان فيما بيع غلام يقال له برد، وجارية يقال لها أراكه فقال ابن مفرغ:

أقفرت من آل ليلى الهضاب وعفى بعد الأنيس الجناب

منزل منا ومن آل ليلى إذ خيام دارهم وقباب

داركم دار لنا إن سلمنا وانقضى الغزو وحان الإياب

أيها الشاتم جهلا سعيدا وسعيد في الحوادث ناب

ما أبوكم مشبها لأبيه سائلوا الناس بذاكم تجابوا

إن دهرا كنت فيه أميرا تخطب الناس لدهر عجاب

وسعيد هذا الذي ذكره في شعره: سعيد بن عثمان بن عفان، وكان عاملا لمعاوية على خراسان، وكان دعا يزيد بن مفرغ أن يصحبه، فأبى عليه وصحب عباد بن زياد.

وقال ابن مفرغ أيضا لعباد بن زياد:

أصرمت حبلك من أمامة من بعد أيام برامه؟.

لهفي على الرأي الذي كانت عواقبه ندامه!

تركي سعيدا ذا الندى والبيت ترفعه الدعامه

وتبعت عبد بني علا ج تلك أشراط القيامة!
جاءت به حبشية سكاء تحسبها نعامه
من نسوة سود الوجو ه ترى عليهن الندامه
وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه!
هامة تدعو صدى بين المشقر واليمامة
العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة
والريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامه
ورمقتها فوجدتها كالضلع ليس له استقامه

ثم أقبل ابن مفرغ حتى قدم البصرة، وكان عبيد الله وافدا على معاوية، فعرف ابن مفرغ الذي أثر في بني زياد، فأتى الأخنف ابن قيس التميمي فقال: أجرني من بني زياد. فقال: لا أجسر عليهم، ولكني أكفيك شعراء بني تميم أن يهجوك. فقال: أما هذا فلا أريد أن تكفينيه: فأتى أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال له: أجرني. فوعده. وأتى عمر بن عبيد الله بن معمر، فوعده. وأتى طلحة الطلحات فوعده. وأتى المنذر بن الجارود، فأجاره. وبلغ عبيد الله الذي كان من هجاء ابن مفرغ عبادا، وهو عند معاوية، فقال: إن ابن مفرغ قد هجانا، فأذن لي في قتله. قال: أما قتله فلا، ولكن ما دون القتل. فلما قدم عبيد الله البصرة، لم يكن له همة إلا ابن مفرغ. فسأل عنه، فقيل: أجاره ابن الجارود، وهو في داره. فأرسل إلى المنذر فأتاه، فلما دخل عليه أرسل عبيد الله الشرط إلى دار المنذر، فأخذوا ابن مفرغ، فأتوا به عبيد الله بن زياد، فلم يشعر المنذر حتى رآه واقفا عليه وعلى عبيد الله. فقام إلى عبيد الله فكلمه فيه فقال: أجرته! فقال عبيد الله: يا منذر، ليمدحن أباك وليهجون أبي، وليمدحنك وليهجوني، ثم أرضى بذلك! قال: فخرج المنذر من الدار، وحبس ابن مفرغ، وأسلم إلى الحجامين ليعلموه الحجامة فهو الذي يقول:

وما كنت حجاما ولكني أحلني بمنزلة الحجام نأيي عن الأهل

وقال يهجو الذين أجاروه ثم خفروا:

غدرت جذيمة غدرة مذكورة طوق الحمامة يعرفون بها ضحى

سائل بني الجارود أين نزيلهم أغدا مع الغادين يوما أو ثوى
لا يبعد الجار الذي أسلمتموا زين المجالس والفتى كل الفتى

لعن الثلاثة منذر وابن استها وطليحة الداعي جهارا للردى

وأمية الكذاب قال مقالة كانت منى منه وما تغني المنى !

وقال أيضا:

تركت قريشا أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر

أناس أجاروني فكان جوارهم أعاصير من فسو العراق المبذر

فأصبح جاري من جذيمة نائما ولا يمنع الجيران غير المشمر

وقال في عبيد الله بن زياد:

إن العبيد وما أدت طروقته لأعبد من زوان لا يصلونا

بزندورد خذوا منها مساحيكم واستبدلوا بالمآزير التبا بينا

أنتم قريش لئن لم تخب ناركم موتوا فإن قريشا قد يموتونا

قد يقتل المرء لم يسلم حليلته ولم يقل لابنتيه: استعرضا البينا

ولم يذر أمه في الدار والهة قد استجار لها إذ هم يجارونا!

والثالث: زياد الأعجم، وكان زياد رجلا هجاء قليل المدح للملوك والوفادة إليهم. ولم تكن له همة تدعوه، وكانت همته ومركزه بخراسان وما يليها، وكان أكثر نزوله بإصطخر من أرض فارس، وكان يهاجي كعبا الشقري شقرة بني تميم. وكان صاحب بديهة وقدرة في الشعر.

فحدثني أبو الغراف: أن خالد بن عبد الله القسري قال للأقيشر التميمي: أي الناس أسرع بديها؟ قال: أنا، أصلحك الله. قال: فأين زياد الأعجم؟ قال: والله لوددت، أنه بيني وبينك! فكتب خالد إلى أسد بن عبد الله، وزياد عنده بخراسان: أن وجهه إلي. فلما قدم جمع بينهما، فقال: يا أبا أمامة، زعم هذا أنه أسرع بديها منك! قال: إن شاء فليبدأ، وإن شاء بدأت. فقال: هات يا أبا أمامة! فأطرق غير طويل ثم أنشأ يقول:

ألم تر أنني وترت قوسي لأبقع من كلاب بني تميم

عوى فرميته بسهام موت يصبن عوادي الكلب اللئيم

وكنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيم

ثم قال: هات يا أقيشر! فأطرق طويلا ثم قال: خنقت..... فأعطى زيادا وحباه.

وقال زياد:

وما ترك الهاجون لي إن هجوته مصحا أراه في أديم الفرزدق

ولا تركوا الحما يرى فوق عظمه لآكله أبقوه للمعترق

سأكسر ما أبقوا له من عظامه وأنكت مخ الساق منه فأنتقي

وإنا وما تهدي لنا هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

قال: وحدثني أبي سلام قال، حدثنا بعض أصحابنا: أن زيادا أتى عبد الله بن الحشرج الجعدي، وهو على قهستان، فأجازه بثلاثين ألفا، فقيل له: ترحل، فإنه إن احتاج إليها أخذها. وقالوا له: إنه قد كان يعطي الرجل، فإذا نابته نائبة أخذ ما أعطاه، فإذا أتاه مال رد عليه. فخرج زياد و لم يسلم عليه، ففقده وسأل عنه فقال: ما فعل زياد؟ فقالوا: خرج. فأرسل غلاما له بفرو، فقال: الحقه فقل له: البس هذا الفرو لا تقر! فلحقه الغلام فدفعه إليه، فقال زياد:

نبأتني أن عبد الله منتزع مني عطاياه لكاع بن لكاع

كذبت لم تغذه سوداء مقرفة بشر ثدي كأنف الكلب دماع

إلا بألبان حور كالدمى شمس من عامر ونمته بين أفراع

وقال يهجو بني يشكر:

ألم تر أن اللؤم حل عماده على يشكر الحمر القصار السوالف

إذا ما رأيت الخز فوق ظهورهم عرفت بحار اللؤم تحت المطارف

وقال يهجو جرما:

تكلفني سويق الكرم جرم وما جرم وماذاك السويق

فما شربوه إذ كانت حلالا ولا غالوا بها يوم سوق

فأولى ثم أولى ثم أولى ثلاثا يا ابن جرم أن تذوقي

ولما نزل التحريم فيها إذا الجرمي عنها لا يفيق

وقال أيضا:

إني لأكرم نفسي أن أكلفها هجاء جرم وما يهجوهم أحد

ماذا يقول لهم من كان هاجيهم؟ لا يبلغ الناس ما فيهم ولو جهدوا

وقال الأعجم يهجو بني يشكر:

لو أن بكرا براه الله راحلة لكان يشكر منها موضع الذنب

ليسوا إليه، ولكن يعلقون به كما تعلق راقي النخل بالكرب

الرابع: عدي بن الرقاع العاملي، فحدثني أبو الغراف قال: لما أتت الخلافة سليمان بن عبد الملك، أتته وهو بالسبع، فكتب إلى عامله: أن أبعث إلى عدي بن الرقاع في وثاق مع ثقة، فوجهه إليه. فلما دخل عليه قال: إن كنت لكارها لخلافتي! قال: وكيف ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: حين تقول في مدحة الوليد:

عذنا بذي العرش أن بنقىونفقده أو أن نكون لراع بعده تبعا

قال ابن الرقاع: والله ما هكذا قلت، يا أمير المؤمنين، ولكني قلت:

عذنا بذي العرش أن نبقى ونفقدهم أو أن نكون لراع بعدهم تبعا

قال: وكذلك قلت؟ قال: نعم. قال: فكوا حديده، وردوه على مركبه إلى أهله. وإنما كان يخص بتلك المدحة الوليد.

وحدثني أبي سلام قال: قام روح بن زنباع الجذامي يوم الجمعة إلى يزيد بن معاوية، حين فصل بين الخطبتين، فقال: يا أمير المؤمنين، ألحقنا بإخوتنا، فإنا قوم معديون، والله ما نحن من قصب ولا من غاف – شجر اليمن –، فألحقنا بإخوتنا. فقال يزيد: إن أجمع على ذلك قومك، فنحن جاعلوك حيث شئت. فبلغت الدعوى عدي بن الرقاع فقال:

إنا رضينا وإن غابت جماعتنا ما قال سيدنا روح بن زنباع

يرعى ثمانين ألفا كان مثلهم مما يخالف أحيانا على الراعي

فبلغ ذلك ناتل بن قيس الجذامي، فجاء يركض حتى دخل المقصورة، فقال: أين جلس الفاجر الكاذب روح بن زنباع؟ فأشاروا له إلى مجلسه، فانتظر يزيد، حتى إذا كان عند فصل خطبته قام فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن روح بن زنباع قام فزعم أنه من معد، وذلك مالا نعرفه ولا نقر به، ولكنا من قحطان، يسعنا ما وسع قحطان، ويعجز عنا ما يعجز عنهم، فبلغ ذلك ابن الرقاع فقال:

لو أن أطعتك يا غرار كسوتني في كل مجمعة ثياب صغار

أضلال ليل ساقط أكنافه في الناس أعذر أم ضلال نهار

قحطان والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمة خندف بن نزار

أنبيع والدنا الذي ندعى له بأبي معاشر غائب متواري

تلك التجارة لا نجيب لمثلها ذهب يباع بآنك وأبار!

فقالوا: غيرت يا ابن الرقاع! فقال: إنه والله أعزهما سخطا – يعني ناتلا –.

وحدثني يونس النحوي قال: استسقى ابن الرقاع بني بحر، من بني زهير بن جناب الكلبيين، فلم يسقوه، وهو على ماء لهم يقال له الدمعانة، فورد على بني تغلب ماء يقال له خالة، وفيه جفر يقال له القنيني. فكانت بنو تغلب قد رعت فيه، فوقع قعب في اللقنيني، فزعم أنه وجد في التراب القعب، فاقتتلت في ذلك الجفر بنو تغلب حتى كادت تتفانى. ثم اصطلحوا على أن ملأوه حجارة وقتادا، واحتفروا حوله. فموضع القنيني من خالة معروف يقال لما حوله القنينيات فقال ابن الرقاع:

غابت سراة بني بحر ولو شهدوا ... يوما لأعطيت ما أبغى وأطلب

لما دفعت إلى الماحوز قلت له: ... هل أنت مفتعل خيرا ومحتسب

إذا خطيت قضى منا مقالته ... ثنى بأخرى خطيب فاصل أرب

حتى وردنا القنينيات ضاحية ... في ساعة من نهار الصيف تلتهب

فجاء بالبارد العذب الزلال لنا ... ما دام يمسك عودي دلونا الكرب

من ماء خالة جياش بجمته ... مما توارثه الأوحاد والعتب

العتب، يريد عتبة بن سعد، وعتاب بن سعد، وعتبان ابن سعد. والأوحاد: عوف وكعب، ابنا سعد، من بني تغلب.

وقال يمدح عبد الملك بن مروان، ويهجو مصعب ابن الزبير:

لعمري لقد أصحرت خيلنا ... بأكناف دجلة للمعصعب

وجرت سنابكها بالعرا ... ق حتى تركناه كالمشجب

وردنا الفرات وخابوره ... وكانا هما ثقة المشرب

على كل ريق ترى معلما ... يصرف كالجمل الأجرب

لضاحية الشمس في رأسه ... شعاع تلألأ كالكواكب

إذ ما منافق أهل العرا ... ق عوتب ثمت لم يعتب

دلفنا إليه بذي تدرأ ... قليل التفقد للغيب

يقومنا واضح وجهه ... كريم المضارب والمنصب

أغر يضيء لنا نوره ... إذا ما انجلت غمرة الموكب

تظل القنابل يكسونه رواقا من النقع لم يطنب

أعين بنا ونصرنا به ومن ينصر الله لا يغلب

وقال أيضا:

والقوم أشباه وبين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء

كالبرق منه وابل متتابع جود وآخر ما يجود بماء

والدهر يفرق بين كل جماعة ويلف بين تباعد وتنائي

والمرء يورث مجده أبناءه ويموت آخر وهو في الأحياء

وقال أيضا:

تزجي أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

ركبت به من عالج متخيرزا قفرا تربب وحشة أولادها

بمجر مرتجز الرواعد بعجت غر السحاب به الثقال مزادها

إني إذا ما لم تصلني خلة وتباعدت عني اغتفرت بعادها

وإذا القرينة لم تزل في نجدة من ضغنها سئم القرين قيادها

إما ترى شيبي تفشغ لمتي حتى علا وضح يلوح سوادها

فلقد تبيت يد الفتاة وسادة لي جاعلا إحدى يدي وسادها

الطبقة الثامنة

من الإسلاميين، أربعة رهط: عقيل بن علفة المري.

وبشامة بن الغدير المري، أحد بني سهم بن مرة.

وشبيب بن البرصاء واسمه شبيب بن زيد بن جمرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة، وأمه البرصاء بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة.

وقراد بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن عبد العزي بن صبيح بن سلامة بن الصارد بن مرة.

قال: فحدثني أبو عبيدة: أن يزيد بن عبد الملك خطب إلى عقيل بن علقة ابنته وقال: زوجني، فلست بواجد في قومي مثلي. قال عقيل: بلى والله، لأجدن في قومك مثلك، وما أنت بواجد في قومي مثلي.

فحبسه، فضرب عقيل كتف ابنه وقال: زوجه يا بني، فأنت أحق بالأمة مني! فزوجه أم عمرو بنت عقيل. فلما أهداه عقيل، تمثل جثامة بن عقيل فقال:

أيعذر لاهينا ويلحين في الصبا! وهل هن والفتيان إلا شقائق؟

فرماه عقيل بسهم وقال: تمثل بهذا عند بناتي! فخرج جثامة مراغما لأبيه، فأتى يزيد بن عبد الملك. فكتب عقيل إلى يزيد: إنه أتاك أعق خلق الله. وكان يزيد قد أعطاه وحباه، فأخذ ذلك منه وحبسه.

وحدثني أبو عبيدة قال: كان علفة بن عقيل بن علفة هوى امرأة من قومه من بني مالك بن مرة وهويته، فأراد أن يتزوجها، فخطبها أبوه فتزوجته. فأقامت عنده حينا، ثم إن قومها ادعوا عليه طلاقا، فهرب بها إلى الشأم، فقال في ذلك علفة بن عقيل بن علفة:

لعمري لئن كانت سلافة بدلت من الرملة العفراء قفلا تزاوله

ونوحا يغنيها دوين حمامة إذا هي ضجت بزله وجوازله

قال: وخرج عقيل ومعه بنوه: علفة، وعملس، وجثامة، وابنته الجرباء، حتى إذا كانوا بجنب دومة الجندل، تغنى علفة بن عقيل فقال:

قفي يا ابنة المري نسألك ما الذي تريدين فيما بيننا إنه سهل

نخبرك إن لم تنجزي الوأى أننا ذوا خلة لم يبق بينهما وصل

فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا وإن شئت لم يفن التكارم والبذل

ونسألك ما تغني عن الجاهل المنى؟ وهل يستقيدن الجنيب ولا حبل

فعدا عليه أبوه بالسيف وقال: يا عدو الله، ما هذه المرية؟ واهمه بامرأته وقال: تشبب بأمك؟ فكلمه أخوه، فحمل عليهما، ويرميه عملس بسهم في فخذه فصرعه، فقال عقيل:

إن بني رملوني بالدم شنشنة أعرفها من أخزم

من يلق أحدان الرجال يكلم وقال عقيل بن علفة يهجو بني بدر بن عمرو:

إذا جارة حلت على الهجم لم تجد كريما ولم تعدم لئيما يزورها

ألم تر بدرا لا تماني دماءهم دماء ولم يعقد لجار مجيرها

أتقصر عن باع الكرام أكفها وتبلغ أنصاف المخازي أيورها

وحدثني أبو عبيدة: أنه كان لعقيل بن علفة نديم من بني كلاب، يقال له غثراء وكان عقيل يسمر عند عبد الملك، فأصاب وجه عقيل أثر، فترك إتيان عبد الملك، فبعث إليه فأتاه، فرأى ما بوجهه، فقال: ما هذا بوجهك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لا والله إلا أنني اشتهيت اللبن فقمت إلى الفلانية، – ناقة له – لأجلها، فزبنتني.

فقال عبد الملك: أشهدك غثراء؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لقد ذهبت مذهبا، وظننت ظنا سائلك عنه. قال: أنا أسئل عنه أم من عمله يا ضب؟ وحدثني أبو عبيدة أنه قيل لعقيل بن علفة: والله ما نراك تقرأ شيئا من كتاب الله! قال: بلى والله، إني لأقرأ. قالوا: فاقرأ. فقال: إنا بعثنا نوحا – وقيل: ما قال: إنا فرطنا نوحا – فقالوا: قد والله أخطأت! قال: فكيف تقولون؟ قالوا: إنا أرسلنا نوحاً. فقال: أرسلنا وبعثنا أشهدكم أنكم تعلمون أنهما سواء، ثم قال:

خذا صدر هرشى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق

وقال يرثي ابنه علفة بن عقيل:

لتمض المنايا حيث تشئن فإنها محللة بعد الفتى ابن عقيل

فتى كان مولاه يحل بنجوة فحل الموالي بعده بمسيل

وكان عقيل بن علفة زوج ابنته الجرباء يحيى بن الحكم ابن أبي العاص: فطلقها يحيى، فأقبل إليها عقيل، ومعه ابناه العملس وحزام، فحملها فقال في ذلك:

قضت وطرا من دير يحيى وطالما على عرض ناطحنه بالجماجم

فأصبحن بالموماة ينقلن فتية نشاوي من الإدلاج ميل العمائم

ثم قال: أجز يا حزام، فأرتج عليه، فقالت الجرباء:

كأن الكرى يسقيهم صرخدية عقارا تمشى في المطا والقوائم

فقال عقيل: شربتها ورب الكعبة! ثم شد عليها بالسيف، فطرح حزام نفسه عليها، فضربها فأصاب حزاما.

وحدثني أبو عبيدة: أنه كان لعقيل جار من بني سلامان، فخطب إليه، فأخذه فقطمه ودهن استه بشحم، وألقاه في قرية النمل، فأكلن خصييه، فخلاه، وقال له: يخطب إلى عبد الملك فأرده، وتجترئ على! ثم إنه بعد ذلك ورد وادي القرى، فثار بنو حن بن ربيعة، فعقروا به، فقال في ذلك:

لقد عقرت حن بنا وتلعبت وما لعبت حن بذي حسب قبلي

رويد بني حن تسيحوا وتأمنوا وتنشر الأنعام في بلد سهل

وحدثني أبو عبيدة: أن عقيل بن علفة جاور جذاما، فبينا هو ذات يوم بفنائه، إذا أتته جماعة منهم فخطبه إليه، فقام يسعى حتى صعد شرفا، ثم رمى ببصره إلى الحجاز، ثم عوى عواء الكلب، فقالوا: والله لقد جن! فانصرفوا. فقالت ابنته: يآبه، إنه والله ما أنت ببلاد غطفان حيث تقول ما أحببت لا تخاف أحدا، وإني أخاف أن يغتالك القوم، فالحق ببلادك. فعرف ما قالت: فلما أمسى قرب رواحله وانصرف إلى قومه، وقال عقيل:

ألا ليت شعري هل أشنن غارة ... بغضيان أو وادي تبوك المصوب
وهل أشهدن خيلا كأن غبارها ... بأسفل علكد دواخن تنضب
تصب على رمص كأن عيونهم ... فقاح الدجاج في الودي المعصب

والثاني: بشامة بن الغدير بن عمرو بن ربيعة بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف.

قال محمد بن سلام الجمحي، فحدثني أبو عبيدة: أن بشامة ابن الغدير كان كثير المال، وكان ممن فقأ عين بعير في الجاهلية، وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقأ عين فحلها.

وكان قد أقعد، فلما حضره الموت، ولم يكن له ولد، قسم ماله بين إخوته وبني أخيه وأقاربه، فقال له زهير بن أبي سلمى وهو ابن أخته: ماذا قسمت لي يا خالاه؟ قال: أفضل ذلك كله! قال: ما هو؟ قال: شعري! فيزعم من يزعم أن زهيرا جاءه الشعر من قبل بشامة بن الغدير.

قال بشامة:

يا قومنا لا تسوموا التي كرهت ... إن الكرام إذا ما أكرهوا غشموا
لا تظلمونا ولا تنسوا قرابتنا ... إطوا إلينا فقد ما تعطف الرحم
لا ترجعن أحاديثا وتنتهكوا ... منا محارمنا قد تتقى الحرم
ولا يكن لكم يا قومنا مثلا ... فيما مضى من زمان سالف جلم

وقال أيضا:

إن الخليط أجد البين فابتكروا ... لنية ثم ما عاجوا وما انتظروا

زموا الجمال وقالوا: إن مشربكم ... ماء بكلية لا ملح ولا كدر
ما كان بينهم إلا مجاهرة ... أشفقت منها فماذا زادك الحذر؟
استقبلوا المسقط الشرقي يحفزهم ... في السير أشوس فيه الفحش والضجر

كأن ظعنهم والآل يرفعها نخل المشقر أو ما ربيت هجر

ما زلت أرمقهم في الآل مرتفعا حتى تقطع دون الجيرة البصر

فاقر الهموم التي نابت مذكرة وشواشة سرحا في دفها زور

تذرى الحصى رثما من تحت منسمها كما يرض سوادى القرى حجر

تمر جثلا على الحاذين ذا خصل كالعذق لا كشف فيه ولا زعر

كأن أوب ذراعيها إذا انحدرت وأحرز الظل في أعدائه الشجر

أوب ذراعي لجوج جاد واحدها حتى إذا ما انتهى أودى به القدر

فأبلغن قومنا إن جئتهم عذرا عنا وهل ينفعهم عندنا عذر

إنا نذكرهم بالله واحدة وبالقرابة والأخرى التي وذروا

حسن البلاء وأياما لنا سلفت يبيض منها إذا ما تذكر الشعر

فلا تعدوا علينا الزور وارتدعوا فإن عندكم من مسنا خبر

لا تبطروا السلم واستأنوا بإخوتكم إن الندامة تعدو سبقها البطر

وإن فينا صبوحا غير ممتزج يصرى الدماء عليه الصاب والصبر

فينا فتو وفينا سادة حشد عند الصباح وفينا جامل عكر

كم من رئيس فريناه بأجمعهبالمشرفيةحتى يعدل الصعر

وقال أيضا:

نحن الفوارس يوم الشعب ضاحية والضاربون على ما كان من ألم

والمعلمون وعظم الخيل لاحقة مبثوثة كعجيم تر عن جرم

هلا سألت وقول الحق أصدقه عنا وعنكم وعن من نلق بالرقم

أنا جدعنا بصغر من أنوفكم أنفا أشم فأمسى حق مصطلم

يا عام لا تفسد الدعوى وقد تركت منكم عصائب بين العرج والرخم

مالت عليهم لغيظ غبية بركت فيهم أحاديثهم في الناس كالحلم

وقال أيضا:

ونبئت قومي ولم ألقهم أجدوا على ذي شويس حلولا

فإنكم وعطاء الرهان إذا جرت الحرب جلا جليلا
كثوب ابن بيض وقاهم به فسد على السالكين السبيلا
فإما هلكت ولم آتكم فأبلغ أماثل سهم رسولا
بأن التي سامكم قومكم هم جعلوها عليكم عدولا
هوان الحياة وخزي الممات وكلا أراه طعاما وبيلا
فإن لم يكن غير إحداهما فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
ولا تهلكوا وبكم منة كفى بالحوادث للمرء غولا

والثالث شبيب بن البرصاء، وهو الذي يقول:

أنا ابن برصاء بها أجيب! هل في هجان اللون ما تعيب؟

واسمه: شبيب بن يزيد بن جمرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة، وأمه البرصاء بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة.

وقال:

يدل علينا الجار آخر قبله وأحلامنا معروفة وسدادها
وجاراتنا مادمن فينا بعزة كاروى ثبير لا يحل اصطيادها
ترى إبل الجار الغريب كأنها بمكة بين الأخشبين مرادها
يكون علينا نقصها وضماها وللجار إن كانت تزيد ازديادها

وقال أيضا:

هل عند سعدى ابنة العمري من زاد أم هل لعان لديها موثق فادي
قامت تراءى لنا سعدى فقلت لها: ماذا تريدين من قتلي وإقصادي؟
أبدت ترائب عبلات وسالفة وجيد مغزلة من خير أجياد
حالي الترائب والذفري عقدن به من لؤلؤ وجمان غير أفراد

تبدو وساوس منها كلما ارتفقت هز الجنوب استخفت عشرق الوادي
في ضامر الكشح والأحشاء تحسبه مما تخضد منه طي أسناد
منها إلى كفل نهد روادفه مرتجة كارتجاج الدعص مياد

ووارد كعذوق النخل زينه ... من الجداول لا زعر ولا كادي

طال اتباعي أمورا ما تجود بها ... حتى يئست فهبني غير مزداد

ثم استمرت ولم تقض التي وعدت ... لا يهنئنك إذ أخلفت ميعادي

دعها لشأنك وانظر أنت كيف ترى ... شأن أمرأين ذوي مال وأولاد

إني امرؤ لي رواب لا يشققها ... سيل الأتي ولا تسطاع أو تادي

إن المكارم والأحساب عودها ... من آل مرة: أعمامي وأجدادي

أنا ابن عوف! ومني، إن فخرت بهم ... بنو سنان ومسعود بن شداد

وقال أيضا:

ماذا تلمس سلمى في معرسنا؟ ... كر الغريم لدين كان قد وجبا

أوكر صاحب ذي الأوجاع مسنده ... إذا تأوه ألقى فوقه الهببا

ألم تكن زعمت بالله مسلمة؟ ... ولم تكن هي مما قضت الأربا

فلا يحل لسلمى أن تؤرقنا ... بعد المنام ولو كنا لها نصبا

وقال أيضا:

كأن ابنة العذري يوم بدت لنا ... بواد القرى، روعى الجنان سليب

من الأدم ضمتها الحبال فأفلتت ... وفي الجسم منها علة وشحوب

حدثني أبو عبيدة قال: خطب شبيب بن البرصاء إلى نهر بن علي بن جابر، أحد بني غيظ بن مرة، فقال: نعم أزوجك. قال شبيب: أؤامر أخي. فقال: أتؤامر رجلا في تزويجك! والله لا أزوج رجلا لا يملك أمره! فقال شبيب:

لعمر ابنة المرى! ما أنا بالذي ... له أن تتوب النائبات ضجيج

وقد علمت أفناء مرة أنني ... إلى الضيف قوام السنات خروج

وإني لأغلى اللحم نيا وإنني ... لممن يهين اللحم وهو نضيج

إذا المرضع العوجاء باتت يعزها ... على ثديها ذو ودعتين لهوج

والرابع: قراد بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن عبد العزي ابن صبح بن سلامة بن مرة.

قال محمد بن سلام: فحدثني أبو عبيدة قال: كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان قليل الشعر

جيده، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه فتدعيه، منهم زهير بن أبي سلمى، ادعى هذه الأبيات:

إن الرزية لا رزية مثلها ما تبتغي غطفان يوم أضلت
إن الركاب لتبتغي ذا مرة بجنوب نخل إذا الشهور أحلت
ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا نهلت من العلق الرماح وعلت
ينعون خير الناس عند كريهة عظمت مصيبتهم هناك وجلت
فوارس كالنيران يحمون نسوة عقائل لم يدنسن بيض المحاجر
إذا ما نسبن ينتسبن إلى الذرى لبدر بن عمرو أو لعمرو بن جابر
وعودن أن يعبأن حصا وفارة ذكيا وما عودن نسج الغرائر
وما هن من سعد بن ذبيان كلها ولا من مواليها حميس بن عامر

الطبقة التاسعة

رجاز، منهم: الأغلب العجلي، وكان مقدما، يقال إنه أول من رجز.

وأبو النجم، واسمه الفضل بن قدامة بن عبيد بن محمد بن عبيد الله بن عبدة بن الحارث بن إياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل.

والعجاج، واسمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كثيف بن عمرو بن حني بن ربيعة سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

ورؤبة بن العجاج.

قال محمد بن سلام، حدثني الأصمعي قال: كانت للأغلب سرحة يصعد عليها ثم يرتجز فقال:

قد عرفتني سرحتي وأطت وقد شمطت بعدها واشمطت

قال: فاعترض له رجل من بني سعد، ثم أحد بني الحارث بن عمرو ابن كعب بن سعد، فقال له:

قبحت من سالفة ومن قفا شيخ إذا ما رسب القوم طفا
كما شرار الرعي أطراف السفا

قال: وأنشدنا للأغلب في سجاح، لما تزوجت مسيلمة الكذاب:

قد لقيت سجاح من بعد العمى! تاح لها بعدك حزاب وزي

ملوحا في العين مجلوز القرا مثل الفنيق في شباب قد أنى

من اللجيميين أصحاب القرى ليس بذي واهنة ولا نسا

نشا بخبز وبلحم ما اشتهى حتى شتا تنتح ذفراه الندى

خاظي البضيع لحمه خظا بظا كأنما جمع من لحم الخصي

إذا تمطى بين برديه صأى كأن عرق أيره إذا ودى

حبل عجوز ضفرت سبع قوى يمشي على قوائم خمس خسا

يرفع وسطاهن من برد الندى

قالت: متى كنت أبا الخير؟ متى؟ قال :حديثا لم يغيرني البلى

ولم أفارق خلة لي من قلي فانتشغت فيشته ذات الشوي

كأن في أجيادها سبع كلى ما زال عنها بالحديث والمنى

والحلف السفساف يردى في الردى قال: ألا ترينه؟ قالت: أرى!

قال :ألا أشيمه؟ قالت: بلى! فشام فيها مثل محراث الغضى

تقول لما غاب فيها واستوى: لمثلها كنت أحسيك الحسى

يبرى لها كينا كأطراف النوى وقد تطلت حين هما وأدنى

من طيب مصان الذي كان اشترى تقذف عيناه بعلك المصطكى

قال: وحدثني أيضا أنه كان يقول إن هذه القصيدة في الجاهلية لجشم بن الخزرج.

وقال أيضا:

نحن وردنا واديى جلاجل بجحفل جم الوغى من وائل

عند اختلاف الأسل النواهل في ديلم يزحف بالقنابل

في جذم عجل في العديد الذائل ومن بني شيبان غير خامل

والخيل تعدو بالوشيج الذابل تحت قتام الغبر القساطل

في حسب بخ وقبص كامل وعدد كالدبر غير جافل

وقال أيضا:

إن لنا شابكة وعورا لا يملك الناس لها تغييرا

نحن إذا الداعي دعا ثبورا ولم يجد مجاور مجيرا
قمنا بحد لم يكن عثورا وشزب قد طويت شهورا
حتى انطوت أقرابها ضمورا يهوين بالمستلئمين زورا
فهي تباري منهبا طحورا

الثاني: أبو النجم. فحدثني أبي سلام قال: دخل أبو النجم العجلي على هشام بن عبد الملك فقال: كيف رابك يا أبا النجم في النساء؟ قال: مالهن عندي خير، وما أنظر إليهن إلا شزرا، ولا ينظرن إلى إلا خزرا. قال: فما ظنك بأمير المؤمنين؟ قال: ظني بنفسي! قال: لا علم لك يا أبا النجم. ثم أرسل إلى جوار له، فسألهن عما ظن أبو النجم. فقلن: يا أمير المؤمنين، وما علم هذا؟ ثم أقبلن على أبي النجم، فقلن له: يا أعرابي، أتقول هذا لأمير المؤمنين، وليس منا امرأة تصلي إلا بغسل منه؟ فقال هشام: يا أبا النجم، دونك هذه الجارية – لواحدة منهن – فأخذ بيدها، ثم أمره أن يغدو عليه بخبرها، فغدا عليه و لم يصنع شيئا. فلما رآه قال: ما صنعت يا أبا النجم؟ قال: ما صنعت شيئا ولقد قلت في ذلك شعرا، قال: وما هو؟ قال: قلت:

نظرت فأعجبها الذي في درعها من حسنه ونظرت في سربالیا
فرأت لها كفلا ينوء بخصرها وعثا روادفه وأخثم ناتيا
ضيقا يعض بكل عرد ناله كالقعب أوصرح يرى متجافيا
ورأيت منتشر العجان مقبضا رخوا حمائله وجلدا باليا
أدني له الركب الحليق كأنما أهدي إليه عقاربا وأفاعيا
إن الندامة والسدامة فاعلمن لو قد صبرتك للمواسي خاليا
ما بال رأسك من ورائي خالفا أظننت أن حر الفتاة ورائيا
فاذهب فإنك ميت لا ترتجى أبد الأبيد ولو عمرت لياليا
أنت الغرور إذا خبرت وربما كان الغرور لمن رجاه شافيا

قال: فضحك هشام، وأمر له بجائزة.

وقال أيضا:

الحمد لله الوهوب المجزل أعطي فلم يبخل ولم يبخل
كوم الذرى من خول المخول تبقلت من أول التبقل

بين رماحي مالك ونهشل يدفع عنها العز جهل الجهل

يريد: مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، ونهشل بن دارم. ويروى عن أبي النجم أنه قال: "بين رماحي دارم" وهم حي من بني تيم الله بن ثعلبة، ونهشل من بني عجل.

قال: وكان أبو النجم ربما قصد فأجاد، ولم يكن كغيره من الرجاز الذين لم يحسنوا أن يقصدوا، وكان صاحب فخر وبذخ وهو الذي يقول:

علق الهوى بحبائل الشعثاء والموت بعض حبائل الأهواء

ليت الحسان إذا أصبن قلوبنا بالداء جدن بنعمة وشفاء

لشم عندي بهجة وملامة وأحب بعض ملاحة الذلفاء

وأرى البياض على النساء جهارة والعتق تعرفه على الأدماء

والقلب فيه لكلهن مودة إلا لكل دميمة زلاء

فلئن فخرت بوائل لقد ابتنت يوم المكارم فوق كل بناء

ولئن خصصت بني لجيم إنني لأخص مكرمة وأهل غناء

قوم إذا نزل الفظيع تحملوا حسن الثناء وأعظم الأعباء

ليست مجالسنا تقر لقائل زيغ الحديث ولا نثا الفحشاء

محمد بن سلام، عن يونس – وحدثني أبي سلام ببعض هذا الحديث –، قال: اجتمع شعراء العرب عند سليمان بن عبد الملك فأمرهم أن يقول كل رجل منهم قصيدة يذكر فيها مآثر قومه ولا يكذب. ثم جعل لمن برز عليهم جارية مولدة. فأنشدوه، وأنشد أبو النجم حتى أتى على قوله:

عدوا كمن ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يعد في الأحياء

فقال سليمان: أشهد، إن كنت صادقا، إنك لصاحب الجارية! فقال: أبو النجم: سل الملأ عن ذلك يا أمير المؤمنين. قال الفرزدق: أما أنا فأعرف منهم ستة عشر، ومن ولد ولده أربعة، كلهم قد ربع. فقال سليمان: ولد ولده هم ولده، ادفع إليه الجارية.

وقال أبو النجم في نعت الفرس:

في ذي شكيم عضه يرمله ثم تناولنا الغلام ننزله

عن متن سامي الطرف ما يعلله والسوط في يمينه ما يعمله

يجول في أشطانه ويسعله تعمج الماء يفيض جدوله

فوافت الخيل ونحن نشكله كل مكب الجري أو منعثله

والضرب يحشوها بربو تسعله والجن عكاف به تقبله

وهو نشيط النفس حر طلله

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي إجازة، عن محمد بن سلام قال، قال أبو عمرو بن العلاء: "كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج" "الأغاني".

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال، قال عامر بن عبد الملك المسمعي: "كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندي، فأطلب لهما النبيذ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفه عنه" "الأغاني".

والثالث: العجاج. وإنما اكتفينا من نسبة، لشهرة اسمه وبعد ذكره، وأنا لم نجد شاعرا له اسمه غيره، وكما قال الشاعر:

أحب من النسوان كل قصيرة لها نسب في الصالحين قصير

يقول: تعرف بأبيها الأدنى، لشرف أبيها وشرفها.

قال محمد بن سلام الجمحي، فحدثني أبو الغراف قال: لما توجه عمر بن عبيد الله بن معمر إلى أبي فديك الشاري امتدحه العجاج فقال:

قد جبر الدين الإله فجبر وعور الرحمن من ولى العور

يعني أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وذاك أنه توجه إلى أبي فديك فهزمه. فكتب في ذلك إلى عبد الملك بن مروان، فقال لعمر بن عبيد الله بن معمر: أرأيتك لو كان بين عيني وتد أكنت تترعه؟ قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين! قال: فهذا أبو فديك وتد بين عيني، فاخرج إليه. قال: أعفني يا أمير المؤمنين. فلما أبى عليه قال: ارفع إلينا ما جرى على يديك من خراج فارس. فأقر له بالخروج فتلقاه العجاج وهو متوجه إلى أبي فديك، فلما قال:

هذا أوان الجد إذ جد عمر وصرح ابن معمر لمن ذمر

قال عمر: لا قوة إلا بالله. فلما قال:

لا قدح إن لم تور نارا بهجر ذات سنا يوقدها من افتخر

قال عمر: توكلت على الله، ولن أدع جهدا. فلما قال:

شهادة فيها طهور من طهر

فكأن عمر تطير من ذلك، ثم قال: ما شاء الله.

وقال العجاج:

يا رب رب البيت والمشرق ... والمرقلات كل سهب سملق

إياك أدعو فتتقبل ملقى ... واغفر خطاياى وثمر ورقى

إنا إذا حرب غدت لا نتقى ... دينا ولا مستأخرا لم يلحق

نرد حد الناب منها الأروق ... في كل عام كالليلح الأبلق

فقد علمته عصبة المروق ... ورهط شؤبوب ورهط الخندق

والحمس قد تعلم يوم ملزق ... أنا نقي أحسابنا ونعتقي

بالمشرفيات افتخار الأحمق

"شؤبوب" و "خندق"، رجلان، و "الحمس"، يعني قريشا.

وقال أيضا:

الحمد لله العشى والضحى ... والحمد لله فما شاء أتى

أسأل رب الناس هديا بالهدى ... هو الذي أنزل آيات التقى

بل لو سألت خابرا عما أتى ... عن جمع بكر إذ حساما قد حسا

وجمع عبد القيس إذ لاقى ثأي ... ضافا علينا وسعى حيث سعى

لاقى جوادا فعلاه إذ جرى ... وعن فوق شأوه حتى ارعوى

وبينما هم ينظرون المنقضي ... منا إذا هن أراعيل ربي

مثل جراد الدبر من كل لوى ... من كل شقاء ومنشق النسا

ساط إذا ابتل رقيقاه ندا ... شديد جلز الصلب معصوب الشوى

كالكر لاشخت ولا فيه لوى ... وطرفة نبرى له إذا انبرى

جرداء سرحوب إذا باعت ردى ... نأي ولن يسبقها وإن نأى

أضر بالخيل الغوار فانطوى ... منها الكشوح فهي أمثال النوى

مستقدمات جحفلا جم الوغى ... كثير مجرى المقربات والحصا

ذا لجب يسرح من حيث اغتدى ... حتى توارت شمسه وما انقضى

ينكر ذو الحاجة منه ما ابتغى حيران لا يشعر من حيث أتى

عن قبص من لاقى أخاس أم زكا غرق في القمقام أم لاقى هوى

والرابع: رؤبة بن العجاج، ويكنى أبا الجحاف، وهو أول من قال في تقصير الاسم، وتخفيف عدد النسب، فقال:

قد رفع العجاج ذكري فادعني باسمي إذا الأسماء طالت يكفني

ورؤبة أكثر شعرا من أبيه. وقال بعضهم: إنه أفصح من أبيه. ولا أحسب ذلك حقا، لأن أباه قد أخذ عليه في قصيدته التي أولها:

وقاتم الأعماق خاو المخترق مشتبه الأعلام لماع الخفق

يكل وفد الريح من حيث انخرق

ثم قال فيها:

مضبورة قرواء هرجاب فنق

فضم، وأولها مفتوح.

وقال أيضا يمدح سلم بن قتيبة الباهلي:

يا سلم أعلى كعبك القدوس على عدي أوبقهم إبليس

يوم بني المهلب البئيس أصلاهم ما تصطلي المجوس

إذ صبحتهم فيلق رجوس ملمومة ذفراء دردبيس

وصبحت سفيانها النحوس جرت بذاك اللجم العطوس

فصبحتهم برحا ملطيس فلا يحس منهم حسيس

قد علم العالم والقسيس أن امرءا حاربكم ممسوس

بئس الخليط الجرب المدسوس بكم يداوي الفقم الشخيس

وهذه طويلة وقال فيه أيضا:

يا سلم قد عرفك التعريف حقا وأنت المسلم الحنيف

وقال أيضا:

يا سلم يا ابن الأكرمين شجرا حيا عروقا في الثرى وثمرا

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلى، عن محمد بن سلام، عن أبي زيد الأنصاري والحكم بن قنبر قالا: كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رحبة بني تميم، فاجتمعنا يوما، فقطعنا الطريق، ومرت بنا عجوز، فلم تقدر على أن تجوز في طريقها، فقال رؤبة:

تنح للعجوز عن طريقها إذ أقبلت رائحة من سوقها

دعها فما النحوي من صديقها

أخبرني أبو خليفة في كتابه، عن محمد بن سلام، عن يونس قال: غدوت يوما، أنا وإبراهيم بن محمد العطاردي، على رؤبة، فخرج إلينا كأنه نسر، فقال له ابن نوح: يا أبا الجحاف، أصبحت والله كقولك:

كالكرز المشدود بين الأوتاد ساقط عنه الريش كر الإبراد

فقال له رؤبة: يا ابن نوح ما زلت لك ماقتا! فقلت: بل أصبحت يا أبا الجحاف كما قال الآخر:

فأبقين منه وأبقى الطرا د بطنا خميصا وصلبا سمينا

فضحك وقال: هات حاجتك.

قال ابن سلام: ووقف رؤبة على باب سليمان بن علي يستأذن، فقيل له: قد أخذ الإذريطوس. فقال رؤبة:

يا منزل الوحي على إدريس ومنزل اللعن على إبليس

وخالق الاثنين والخميس بارك له في شرب إذريطوس

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلى، عن محمد بن سلام، عن عبد الله بن محمد بن علقمة الضبي قال: خرج شاهين بن عبد الله الثقفي برؤبة إلى أرضه، فقعدوا يلعبون بالنرد، فلما أتوا بالخوان قال رؤبة:

يا إخوتي جاء الخوان فارفعوا حنانة كعابه تقعقع

لم أدر ثلاثها والأربع

قال: فضحكنا ورفعنا، قدم الطعام.

وقال ابن سلام، عن يونس قال لي رؤبة: حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوقها لك؟ أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك!!.

الطبقة العاشرة

أربعة رهط: مزاحم بن الحارث العقيلي ويزيد بن الطثرية، والطثرية أمه: وهو يزيد بن المنتشر، أحد بني عمرو بن سلمة بن قشير. والطثرية، نسب إلى حي من قضاعة يقال لهم: طثرة، فنسب إليها.

وأبو داود الرواسي، أحد بني رواس بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة.

والقحيف بن سليم العقيلي.

قال محمد بن سلام، فحدثني أبو عبيدة: أن مزاحم بن الحارث العقيلي كان رجلا غزلا، وكان شجاعا، وكان شديد أسر الشعر حلوه، وكان مع رقة شعره صعب الشعر هجاء وصافا.

وقال في يوم أغار عليهم دهر الجعفي في قبائل مذحج وهمدان، ومعه علقمة الجعفي، فسبوا وغنموا، وأصابوا إبلا كثيرة، فاتبعتهم بنو كعب ثلاثا، ثم رجع بعض القوم، ومضى عقال بن خويلد في بني عقيل، فجعل يندى أبعار الإبل ببوله، ثم يرى أصحابه البعر نديا، ويقول لأصحابه: ما أقربكم منهم! حتى ورد عليهم النخيل في يوم قائظ، ورأس دهر في حجر جارية من بني بجلة تفليه متوسدا قطيفة، فكأن الجارية أحست نفسها بالطلب، فجعلت تضفر شعره بهدب القطيفة، فلم ينتبه إلا بالخيل. فكان أول من لقى دهرا هبيرة بن النفاضة، فضرب وجهه دهر بقوسه، فهشم وجهه، ولحقه عقال بن خويلد فطعنه فنثر بطنه، فسال من بطنه البرير مطبوخا، فقتلت جعفي ومن معها في ذلك الجيش، وهزمت هزيمة فاحشة، فقال مزاحم بن الحارث في ذلك اليوم:

منا الذين استنشطوا الأمر جهرة ... يقدمهم عاري الأشاجع أروع

على أثر الجعفي دهر وقد أتى ... له منذ ولى يسحج السير أربع

بسير طراحي ترى من نجائه ... جلود المهارى بالندى الجون تنتع

فما ذاق طعم النوم حتى تفرجت ... جبال وليل والنجائب تقرع

عن الحي من عليا حريم وفيهم ... سوام وسبى من سليم موزع

طلوع نجاد القوم ما يستفزه ... جنان وما يغتاله الدهر يفجع

وقال أيضا:

خليلي عوجا بي على الربع نسأل ... متى عهده بالظاعن المحتمل

فإن تعجلاني بانصراف أهجكما ... على عبرة أو ترق عين معول

فعجت وعاجا فوق صحراء غادرت ... بها الريح جولان التراب المنخل

وما هاجه من دمنة بان أهلها ... وأمست قوى بين الحصير ومحبل

ألا لا تذكرني أميمة إنه ... متى ما يراجع ذكرها القلب يجهل

وتعلم ريعات الهوى أن حبها ... تتبع مني كل عظم ومفصل

كما تبعت صرف عقار مدامة مشاش المروى ثم لما تنصل

ويوم تلافيت الصبا أن يفوتني بصهباء تطوي نفنف البعد عنسل

تلاعب حاذيها وتطرح الشذا بأصهب ضاف سابغ المتذيل

تنيف به طورا وطورا تخاله مخاريق بالأيمان أو نفح مشمل

لها ورك كالجوب شدت فقاره حبت قدما ما في مكمن الخلق مكمل

وله:

كأني وعبد الله لم تسر بيننا أحاديث يثنى سالف الدهر لينها

ولم نطلب دون الحجون ظعائنا تبارى بها أدم المهارى وجونها

ظعائن من عليا نمير بن عامر مصححة الأجساد مرضى عيونها

تنكرن من أنسى فلما عرفنني بدت كل مبهاج أغر جبينها

وقلن :اعجلا لا عين نخشى وأبشرا بليلة سعد غاب عنها ظنونها

فجئنا كما انقض القرينان أشرفا على خلوة ناء من الحي بينها

فبتنا ندامى ليلة لم نذق بها حراما ولم يبخل بحل ضنينها

صفاحا بأيمان نرى أن مسها شفاء الصدى من غلة طال حينها

وبتنا وأيدينا وساد وفوقنا رياط وعالي بركة لانصونها

فلما بدا ضوء من الصبح ساطع عصى خلة لم ينج إلا قرينها

بدت زفرات الحب من كل وامق ومحجوبة لم تعط صبرا بعينها

فأصبحن صرعى في الحجال وأصبحت بنا العيس بالموماة جعدا لجينها

والثاني: يزيد بن الطثرية. قال محمد بن سلام، حدثني أبو الغراف قال: كان يزيد بن الطثرية صاحب غزل ومحادثة للنساء، وكان ظريفا جميلا، ومن أحسن الناس كلهم شعرة. وكان أخوه ثور رجلا سيدا كثير المال والنخل والرقيق، وكان متنسكا كثير الحج والصدقة. وكان كثير الملازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يلم بالحي إلا وقعة، وكانت إبله ترد مع الرعاء على أخيه يزيد بن الطثرية فتسقى على عينه. فبينا يزيد مارا في الإبل وقد صدرت عن الماء، إذ مر بخباء فيه نسوة من الحاضر، فلما رأينه قلنا: يا يزيد، أطعمنا لحما.

قال: أعطيني سكينا. فأعطينه، فنحر لهن ناقة من إبل أخيه. وبلغ الخبر أخاه، فأقبل، فلما رآه أخذ بشعره وفسقه وشتمه، فأنشأ يزيد يقول:

ياثور ولا تشتمن عرضي فداك أبي ... فإنما الشتم للقوم العواوير
ما عقر ناب لأمثال الدمى خرد ... عون كرام وأبكار معاصير؟
عكفن حولي يسألن القرى أصلا ... وليس يرضين مني بالمعاذير
هبهن ضيفا عراكم بعد هجعتكم ... في قطقط من سقيط الليل منثور
وليس قربكم شاء ولا لبن ... فيرحل الضيف عنكم غير محبور؟
ما خير واردة للماء صادرة ... لا تنجلي عن عقير الرجل منحور؟

وقال أيضا في امرأة كان يتحدث إليها ويعجب بها، فبينا هو عندها، إذا حدث لها سواه قد طلع عليها، ثم جاء آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعة وهو الثامن، فقال:

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم ... له عند ليلى دينة يستدينها
فألقيت سهمي وسطهم حين أوخشوا ... فما صار لي من ذاك إلا ثمينها
وكنت عزوف النفس أشنأ أن أرى ... على الشرك م ورهاء طوع قرينها
فيوما تراها بالعهود وفية ... ويوما على دين ابن خاقان دينها
يدا بيد من جاء بالعين منهم ... وإن لم يجئ بالعين حيزت رهونها

وقال فيها وقد صارمها:

ألا بأبا من قد برى الجسم حبه ... ومن هو موموق إلى حبيب
ومن هو لا يزداد إلا تشوقا ... وليس يرى إلا عليه رقيب
وإني وإن أحموا على كلامها ... وحالت أعاد دونها وحروب
لمثن على ريا ثناء يزينها ... قواف بأفواه الرواة تطيب
أريا! احذري نقض القوى لا يزل لنا ... على النأي والهجران منك نصيب
وكوني على الواشين لداء شغبة ... كما أنا للواشي ألد شغوب
فإن خفت أن لا تحكمي مرة القوى ... فردي فؤادي والمرد قريب

والثالث: أبو دواد الرواسي. قال محمد بن كعب ونمير بن عامر، فلم يقم لهم بنو عقيل، وجعلت نمير تسرف عليهم. فلما رأت ذلك بنو كعب وبنو كلاب وما تلقى عقيل من بني نمير، أجمعوا على قتال بني

نمير. فارتحلت نمير ليلحقوا ببني سعد بن زيد مناة، فلحقتهم كلاب فردهم، وتحملوا ما كان لهم من دم في بني كعب، ووهبوا لهم ما كان فيهم، فقال أبو داود:

دفعنا والأحبة من دفعنا ... وكنا ملجأ لبني نمير
حوينا حجرنا لهم فحلوا ... إلينا بعد تظعان وسير

وكان الرأس يوم قراص منا ... ومنا الرأس يوم أبي عمير
فإن ذهب العمى وأمنتموهم ... فلا تستبدلوا أخيال طير
صديق كلما كنتم بشر ... وأعداء إذا كنتم بخير

وقال أيضا في وقعتهم بمذحج:

ألاهل أتاك ما لقيت قنان ... وما لقيت ببلدتها صداء؟
وما لاقيت بنو الديان منا ... غداة تضج بالخبر الثناء؟
أتانا أن بالخرماء منهم ... سوامهم ودون الفيف شاء
وأن بها قراضبة غساسا ... يدبر أمر سادتها النساء
فوجهنا كتائب غير ميل ... ولا كشف إذا كره اللقاء
وأفلتنا المحجل في صلاه ... طرير الحد ينهاه اللواء
وغادرنا بني الديان صرعى ... كأن رؤوس سادتها الغثاء
فغودر منهم لما التقينا ... بمعترك تمور به الدماء
أبو خلف وصاحبه ووهب ... ورداد وفارسهم عداء
وذو الرمحين أحمر قد أتاه ... فداء ثم إن نفع الفداء
تنادوا نحونا ودعوت قومي ... كلابا والأمور لها بداء
فآب لنا شريك حيث أبنا ... جنيبا لا يراد به الغلاء
فأنعمنا هناك على شريك ... وكنا من سجيتنا الحباء

وقال أبو دواد أيضا:

لليلى خيال قل ما يتعرج ... يهيج من أحزاننا ما يهيج

يؤرق أصحابي وبيني وبينها مناكب رعم فالنباح فأخرج
وعهدي بها والدار تجمع أهلها لها مقلتا ريم وخلق خدلج
تواصل أحيانا وتصرم تارة وشر الأخلاء الخليل الممزج
كأنا توافينا مع الليل مغزل من الأدم جماء المدامع عوهج
تظل بأجزاع المرير مربة وسال عليها من فجيرة أشرج
فإن تك أضحت بعد ساكن غبطة بها العين ترعى والظليم السفنج
فكل جميع صائر لتفرق وكل جديد لا محالة منهج
ونحن منعنا بطن مج وحائل وأبلى من الأعداء حتى تفرجوا
بحي حلال لا تكاد تجيرهم وضاج ونفؤ والبطاح فمنعج
نقاذف بالأسياف عبسا وطيئا وقد أحجمت عنا تميم ومذحج
بعزو كولغ الذئب غاد ورائح وسير كصدر السيف لا يتعترج
بكل جواد مشرف حجباتها تشاركت الرعشاء فيها وأعوج
ونحن حبسنا الجيش عنا وقد بدا لهم نعم حوم بعثران محدج
فما انصرفوا بقيا ولكن نهاهم حصيفان منهم حاسر ومدجج
وقد سد فيف الريح جأواء فيلق وألفان أو ألف من الرجل يدرج
ونحن أباة الخسف في كل موطن إذا كان يوم ذو كواكب مرهج
فتلك نمير ثم لم تغن نقرة وقالت: هلا أهل إليكم مولج
ولما رأينا أنما سعينا لنا وقد يفلح الساعي المجد ويفلج
وكنا بني أم حمينا ذمارنا ولم يك فينا العاجز المتزلج
سيخبر عن أيامنا وبلائنا وشداتنا في الحرب حدج وحندج

"حدج" و "حندج"، ابنا البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

والرابع: القحيف. قال محمد بن سلام، حدثني أبي سلام قال: كان القحيف خرج زائرا لإبراهيم بن عاصم العقيلي، فبعث الأشهب بن كليب العقيلي إلى إبراهيم بن عاصم رسولا يخبره أن القحيف قد هجاه وأساء القول فيه، ليحرمه وليقصيه. ففعل. فقال القحيف:

متى ما تحط خبرا بنا يا ابن عاصم تجد لي رجالا من بني العم حسدا

وما ذاك عن ذنب إليهم جنيته سوى أن لي ذكرا أغار وأنجدا

وقال القحيف في يوم الفلج، حين جاءهم صريخ بني كعب ابن ربيعة على بني عجل:

ديار الحي تضربها الطلال من الخافي بها أهل ومال

وأجذم ذبها عودا وبدءا بدفيه تعبقرت السخال

بها الفدر الرياد وكل هقل كبيت الرفقة احترقوا فقالوا

أما ومعلم التوراة موسى ومن صلى وصام له بلال

لقد كانت تودك أم عمرو بذات الصدر إذ نسى الخلال

أتانا بالعقيق صريخ كعب فحن النبع والأسل النهال

ثلاثا ثم وجهنا إليهم رحى للموت ليس لها ثفال

وحالفنا السيوف وصافنات سواء هن فينا والعيال

بنات بنات أعوج طامحات مدى الأبصار جلتها الفحال

شعير زادها وفتيت قت ومن ماء الحديد لها نعال

وكردست الحريش فعارضونا بخيل في فوارسها اختيال

وسالت من أباطحها قشير بمثل أتى بيشة حين سالوا

نقود الخيل كل أشق نهد وكل طمرة فيها اعتدال

تكاد الجن بالغدوات منا إذا اصطفت كتائبنا تهال

فبتن على العسيلة ممسكات لهن غدية رهج جفال

فلما شق أبيض ذو حواش له حال وللظلماء حال

صبحناهم نواصيهن شعثا بهن حرارة وبنا اغتلال

فلما جحدلت مئتان منهم وفر حنانهم عنه فزالوا

وصاروا بين ممتن عليه ومنصوب له جذع طوال

تكفنهم حنيفة بعد حول! وكيف يكفنون وقد أحالوا؟

أمنكم يا حنيف! نعم لعمري لحي مخضوبة ودم سجال!

ولولا الريح أسمع أهل حجر صياح البيض تقرعها النصال

كأن الخيل طالعة عليهم بفرسان الصباح قطا رعال

وقال أيضا:

وماء قد يظل على جباه

جعلت عمامتي صلة لدلوى

لأسقى فتية ومنفهات

ركبناها سمانتها فلما

صبحناها السياط محدرجات

الفهرس

طبقات الشعراء الجاهليين 15
الطبقة الأولى 15
الطبقة الثانية 26
الطبقة الثالثة 32
الطبقة الرابعة 36
الطبقة الخامسة 38
الطبقة السادسة 40
الطبقة السابعة 41
الطبقة الثامنة 42
الطبقة التاسعة 44
الطبقة العاشرة 50
طبقة أصحاب المراثي 53
شعراء القرى العربية 57
شعراء مكة 62
شعراء الطائف 68
شعراء البحرين 71
شعراء يهود 73
طبقات الشعراء الإسلاميين 76
الطبقة الأولى 76
الطبقة الثانية 137
الطبقة الثالثة 146
الطبقة الرابعة 148
الطبقة الخامسة 150
الطبقة السادسة 161

الطبقة السابعة.....170
الطبقة الثامنة.....178
الطبقة التاسعة.....185
الطبقة العاشرة 192
الفهرس.....200

To PDF: www.al-mostafa.com